



حكيم أم صوفي؟

دراسة تحليلية لقضية العرفان الإسلامي
عند الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي

مراجعة وتقديم الشيخ
عبد المنعم العمران

تأليف الشيخ
ابراهيم القديم

الشيخ الأوحـد
حكيم أم صوفي؟

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٣٩ هـ



هوية الكتاب

الشيخ الأوحـد حكيم أم صوفي؟	اسم الكتاب
الشيخ إبراهيم علي القديم	المؤلف
الشيخ عبد المنعم العمران	المراجع والمقدم
الشيخ علي الملا محمد الشبيث	المدقق اللغوي
دار الباقيات الصالحات للطباعة والنشر - بيروت - بئر العبد	الناشر
DarAlBaqyatAlSalihat@gmail.com	البريد الإلكتروني

الشيخ الأوحـد

حكيم أم صوفي؟

دراسة تحليلية لقضية العرفان الإسلامي
عند الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي



موقع الأوحـد
Awhad.com

مراجعة وتقديم
الشيخ عبد المنعم العمران

تأليف
الشيخ إبراهيم القديم

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الإهداء

إلى الكُتاب الذين اتهموا الشيخ الأوحى في عرفانه ، فأدرجوا اسمه ضمن
المدارس الصوفية في مباحثهم بقصد أو بدون قصد.
إلى المفتريين الكسالى الذين استمعت لحكايات العجائز من أفواههم زمناً ،
ولم يفتحوا ولو صفحة واحدة من مصنفاته.
إلى القراء الذين يفهمون ما يقرأون...

أهدي هذا الكتاب

شكروعرفان خاص

اشكر جناب المولى الحكيم الإلهي والفقيه الرباني - مولاي - الميرزا عبد الله ابن المرجع الراحل خادم الشريعة الغراء الميرزا عبد الرسول الحائري الإحقاقي ، لما يوليه من اهتمام خاص بساحة الفكر الإسلامي الأصيل ، خصوصاً في عملية إثراء مكتباتها بالمؤلفات والتحقيقات وغيرهما.

واسأل الباري أن يديم علينا لطفه ورحمته ؛ ليبقى لنا فخراً وذخراً في زمنٍ ندر فيه وجود أمثاله الذين أمتحت قلوبهم للأيمان.

مقدمة المراجع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد.. لقد أوجد الله تعالى كوكب الأرض، وخلقه غنياً بطاقاته، وزاخراً بأنواع المخلوقات، إلا أن الإنسان يُشكل المخلوق الأهم بينها، والصنع المحير، والمحور الذي تدور عليه الكائنات الأخرى على الأرض. وهذه الأهمية الكبرى حصلت له بسبب النعم الكثيرة والعظيمة التي أنعمها تعالى عليه، والسمات التي ميزه تعالى بها عن غيره، ومما يُشير إليها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَا لَهُمُ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَهَدَّيْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَقْضِيًّا﴾^(١).

فسبحان من أبدع الإنسان إبداعاً عجبياً، وكرّمه على كثير من خلقه. وقد تجلّى تكريمه تعالى للإنسان جهات كثيرة، ومنها: ذاته، وصفاته،

(١) سورة الإسراء: (٧٠).

وأفعاله ؛ لأنه تعالى ميزه بالقامة المعتدلة ، والصورة الحسنة ، والروح الصافية ، والعقل السامي . كما إنه تعالى قد زوده بوسائل متعددة لإفهام الآخرين لا توجد عند أكثر الخلق ، حيث إنَّ الإنسان يوضح مراده للآخرين بطرق متنوعة ، وبوسائل مهمة ، منها النطق باللسان ، والإشارة بالجوارح ، والكتابة ، وغير ذلك . وبذلك ضمن انتشار علمه وتجاربه إلى أكثر عدد ممكن ، وساهم في حفظها لأجيال المستقبل ، وفي مختلف العصور ، وشارك عقله عقول الباحثين في عملية تراكم المعرفة .

وأنعم تعالى عليه نعمة جليـلة ، بأن جعل الأنبياء والأئمة والأوصياء عليهم السلام يعيشون بين البشر ، ويتحاورون بينهم ، وبذلك ارتبط الإنسان بعوالم الغيب ، وانفتح على عالم الجهول ؛ لكونهم عليهم السلام يتلقون التعاليم الإلهية منه تعالى ، والحكم الربانية ، ومن ثم يثونها بين البشر ، ويعلمونهم ما فيه سعادتهم ، ويبينون لهم مواطن الخطر عليهم ، ويكشفون لهم أسرار هذا الكون الواسع ، ويعرفونهم على مخلوقات لا يرونها .

وقد خص الله تعالى هذه الأمة بسوابغ آلائه ، مما شرفها على بقية الأمم ؛ لأنها حضت بالقرآن الكريم والسنة الشريفة ، حيث إن الله تعالى ورسوله الأعظم ﷺ ، وأهل بيته - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - ، قد أشاروا إلى النظم المعرفية الحقيقية ، والأسس السلوكية الصحيحة ، والأخلاق العالية العظيمة ، والتي ساهمت في رقي الحضارة الإنسانية ، وما فيه سمو الإنسان ، وعمارة الأرض على جميع الأصعدة .

وتفضل عليه تعالى - مرة بعد مرة - بأن سخر له ما في الأرض ، ومكنه منها ، ووظف له العوامل الطبيعية ، والسنن الكونية ، والقوانين الفلكية ، وجعلها تصب في مصلحته ، وتعينه على بناء حضارته . وكذلك هداه وعلمه تعالى إلى طرق تنمية قدراته ، وتطوير سلطاته ، وكيفية الاستفادة منها ، وتنمية موارده^(١) .

وبسبب عظم قدرات الإنسان ، وسعة فكره ، وقوة إدراكه ، تفاعل مع كل ما يحيط به ، وحاول الاستفادة منه ، وتوظيفه في عملية التطور المعنوي والمادي ، مما ساهم في حصول تغيرات جداً خطيرة ، كان لها الأثر البالغ في نمو المعالم الفكرية والحضارية والسلوكية له ، وقد نتج من ذلك علوم كثيرة لم تكن متداولة عنده ، وكلما مر الزمان وتطور العقل البشري تشعبت العلوم ، وازدادت فروعها ، وتعمقت مباحثها ، وهذا ما جعلها ذات مناهج مختلفة ، اختلفت باختلاف الغرض منها ، والهدف الذي بسببه دون هذا العلم أو ذاك .

ومن هنا برزت أهمية معرفة المنهج المتبع لكل علم على حدة ، والاطلاع على المناهج التي تسلكها المدارس المنطوية تحت راية العلم الواحد .

ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما وقع في علم العقائد ، فقد تعددت المدارس فيه إلى كلامية ، وفلسفية ، وعرفانية ، وصوفية ، وغيرها . وكذلك

(١) شرح الزيارة الجامعة ، الأحسائي : ج ١ ص ٣٢١ .

تشعبت هذه المدارس إلى مدارس فرعية مهمة، فالفلسفة - مثلاً - منها المشائية، ومنها الرواقية، ومنها الإشراقية، ومنها الحكمة المتعالية، ومدرسة الشيخ الأوحـد أحمد بن زين الدين الأحسائي - أعلى الله تعالى مقامه -، وغيرها. وبما أنه لا يمكن معرفة هذه المدرسة من تلك، أو تمييز مشرب هذا العالم من ذاك إلا بمعرفة منهجه المعرفي، فقد اتضح أهمية كتاب:

(الشيخ الأوحـد حكيم أم صوفي؟)

والذي ألفه الأخ العزيز سماحة الشيخ إبراهيم القديم - حفظه الله تعالى -؛ لأن الكتاب - الذي بين يديك - يعد خطوة مهمة في طريق تعريف الباحثين لمنهج مدرسة الشيخ الأوحـد أحمد بن زين الدين الأحسائي - أعلى الله تعالى مقامه -، وتحديد الأسس الفكرية التي تقوم عليها معالم مدرسته. وهنا أحب أن أتكلم عن أمرين مهمين، وهما:

الأمر الأول

في الكلام حول العرفان

إن (العرفان) يمثل قضية شائكة في الفكر الإنساني بشكل عام، وفي النظم المعرفية بشكل خاص، ولقد كان ولا يزال محط جدل بين المفكرين والدارسين، ولذلك لا بد من توضيح بعض المسائل المهمة، والتي من خلالها يرتفع بعض الجدل.

والكلام حول ذلك يقع في مطالب:

المطلب الأول

في العرفان في اللغة

العرفان في اللغة: (العِرْفَانُ: العلم...، عَرَفَهُ يَعْرِفُهُ عَرِفَةٌ وَعِرْفَانًا وَعِرْفَانًا وَمَعْرِفَةً وَاعْتَرَفَهُ...، ورجل عَرُوفٌ وَعَرُوفَةٌ عَارِفٌ يَعْرِفُ الْأُمُورَ وَلَا يُنْكِرُ أَحَدًا رَأَاهُ مَرَّةً. والهَاءُ فِي عَرُوفَةٍ لِلْمَبَالِغَةِ. والعَرِيفُ والعَارِفُ بِمَعْنَى مِثْلِ عَلِيمٍ وَعَالِمٍ...، والجمع عُرَفَاءُ)^(١).

من خلال كتب اللغة نستخلص أن أصل كلمة (المعرفة) وكلمة (العرفان) واحد، وهو (عرف)^(٢)، ومعناها واحد، وهو (العلم)، ويُستثنى من ذلك بعض الاستعمالات^(٣).

المطلب الثاني

العرفان في السنة الشريفة

إن لفظ (عرف) ومشتقاته قد استعمل في كلام المعصومين عليهم السلام بكثرة، ومثال ذلك ما ورد عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «يا أبا حمزة، إنما يعبد الله من عرف الله، فأما من لا يعرف الله كأنما يعبد غيره هكذا ضالاً. قلت: أصلحك الله، وما معرفة الله؟. قال: يصدق الله،

(١) لسان العرب، ابن منظور: ج ٩ ص ٢٣٦، عرف.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ج ٤ ص ٢٨١، عرف.

(٣) لسان العرب، ابن منظور: ج ٩ ص ٢٣٦، عرف.

ويصدق محمداً رسول الله ﷺ في موالاته علي، والايتمام به، وبأئمة الهدى من بعده، والبراءة إلى الله من عدوهم، وكذلك عرفان الله^(١).
 وبناءً على هذه الرواية وغيرها - وما تفيده اللغة - يتبين لنا أن كلمة (المعرفة) عندهم عندهم تدل على ما تدل عليه كلمة (العرفان).

المطلب الثالث

العرفان في استعمال العلماء

لقد استعمل العلماء كلمة (العرفان) في كتبهم ومباحثاتهم، ويمكن القول بأن استعمالهم لها على قسمين:
القسم الأول: وهو من استعمل لفظ (العرفان) في المعنى الذي ورد على لسان الشرع المقدس، وقالوا: (إن العرفان، المثبت، الحقيقي، هو أساس المعتقدات المذهبية الصحيحة، وذلك بموجب الآية الكريمة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢)، وفي تفسيرها: إن العلة الغائية من خلق الجن والإنس هي العرفان، أي معرفة الله، التي تقود إلى العبادة^(٣).

وبعبارة أخرى، المعرفة والعرفان في اصطلاحهم بمعنى واحد.

(١) تفسير العياشي - العياشي: ج ٢ ص ١٦٦، سورة التوبة ح ١٥٥.

(٢) سورة الذاريات: (٥٦).

(٣) الولاية، الإحقاقي: ج ١ ص ١٣١.

ولهم أسماء يطلقونها على هذا العلم، ومنها: المعرفة، والعرفان، والحكمة، والعلم الإحاطي الذوقي^(١)، والهدى^(٢)، وغيرها. ثم إنَّ منه ما هو معقول وهو ما يُسمى بالعرفان النظري، والحكمة النظرية، والحكمة العلمية، والسلوك العلمي. ومنه ما يتعلق بالعمل ويُسمى بالعرفان العملي، والحكمة العملية، والسلوك العملي^(٣).
ولذلك قُسم العرفان - الحكمة - إلى نوعين:

١- العرفان النظري: هو معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر^(٤)، بالدليل الذوقي^(٥).

إنَّ المعرفة الحقيقية - العرفان النظري - لا يمكن الحصول عليها إلا بالتقيد بما جاء به الشرع المقدس في البعد النظري، والحكمة العلمية^(٦)؛ لأنها (عبادة القلوب، وعبودية الأفتدة... يعني معارف القلوب والأفتدة...

فإن العارف إذا محا جميع شئونه، وما ينسب إليه ويرتبط به - وهو سبحات ذاته - من وجدانه، بحيث لا ينظر إلى شيء يخالف مفهوم ذاته، مثل فعله، فإنه غير ذاته، وكونه ابن فلان أو أبا فلان غير ذاته، وعلى شيء أو

(١) شرح الزيارة الجامعة - الأحسائي: ج ١ ص ١٧٣.

(٢) شرح الزيارة الجامعة - الأحسائي: ج ٢ ص ٢٣٦.

(٣) شرح الزيارة الجامعة - الأحسائي: ج ٢ ص ٢٣٦. شرح العرشية - الأحسائي: ج ٣ ص ٨٢. شرح الفوائد - الأحسائي: ج ١ ص ٢١٧.

(٤) شرح الفوائد - الأحسائي: ج ١ ص ١٩٩.

(٥) شرح الزيارة الجامعة - الأحسائي: ج ٢ ص ٦٠.

(٦) شرح الزيارة الجامعة - الأحسائي: ج ٢ ص ٢٣٦.

في شيء غير ذاته، ومن كذا وإلى كذا غير ذاته، وهكذا ينفي من وجدانه كل ما يغير حقيقته، حتى التكلم والخطاب والغيبة والإشارة والمحو، بقي شيء ليس كمثل شيء، وهو صفة الله التي وصف نفسه بها لذلك العارف، وهي آية الله التي تدل عليه، لا ذاته كما توهم القائلون بوحدة الوجود، المحكوم بكفر معتقدها؛ لأن الله سبحانه يقول: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا﴾^(١)، ولم يقل: سنريهم ذاتنا...

ولا يذهب عارف بالله إلى أنه يعرف الذات البحت، وإنما المعروف لكل عارف - غير محمد وآله عليهم السلام - هو عنوان مقاماته التي لا تعطيل لها في كل مكان، وأما محمد وآله عليهم السلام، فالمعروف عندهم هو المقامات المشار إليها. وأما الذات البحت فلا سبيل للخلق إليها بوجه من الوجوه، والمدعي للكشف عن الذات فهو مشبه ملحد؛ لاستحالة إدراك الحادث للقديم، فافهم^(٢).

٢- العرفان العملي: هو إتيان الأعمال والأقوال على وفق ما جاء به

الرسول الأعظم وأهل بيته عليهم السلام عن الله تعالى.

أو قل: هو (إيقاع الأفعال والأقوال والأعمال، على حسب ما يريد الله

تعالى بمحدوده المشفوعة بالإخلاص لوجه الله الكريم، بالتوحي) للرسول الأعظم وأهل بيته عليهم السلام، (والتبري من أعدائهم، والتسليم لهم، والرد إليهم، والإقتداء بهم، والانتظار لفرجهم.

(١) سورة فصلت: (٥٣).

(٢) شرح المشاعر - الأحسائي: ج ١ ص ٤٢-٤٥.

وبهذا يحصل الهدى إلى ثمرات تلك المعارف^(١)؛ لأنَّ (الإيمان الحقيقي لا يكون حاصلًا للأنفس - كما هو المدعى - بالبراهين الاصطلاحية، وإنما يحصل ببراهين أهل البيت عليهم السلام، ولا يهتدي إليها إلا من اتبعهم في الأعمال والأقوال، والمتكلف لا يقدر على الصدق؛ لأن كل معتقد ومتيقن يرى يقينه في عمله، كما قال أمير المؤمنين - صلوات الله عليه -^(٢): «لأنسبن الإسلام نسبة لا ينسبه أحد قبلي ولا ينسبه أحد بعدي إلا بمثل ذلك: إن الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو العمل، والعمل هو الأداء. إن المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكن أتاه من ربه فأخذه، إن المؤمن يرى يقينه في عمله، والكافر يرى إنكاره في عمله، فوالذي نفسي بيده ما عرفوا أمرهم، فاعتبروا إنكار الكافرين والمنافقين بأعمالهم الخبيثة»^(٣).

القسم الثاني: وهو من استعمل لفظ (العرفان) على المعرفة التي تحصل عن طريق الشهود القلبي والرؤية الحضورية، ولا تتحقق - هذه المعرفة - عن طريق الحس والعقل والنقل^(٤)؛ لأنَّ المعرفة العقلية والفلسفة لا تتجاوز المفاهيم الذهنية؛ إذ بالعقل والفلسفة نعرفه تعالى معرفة حصولية، وأما بالعرفان نعرفه تعالى معرفة حضورية شهودية^(٥).

(١) شرح الزيارة الجامعة - الأحسائي: ج ٢ ص ٢٣٧.

(٢) شرح المشاعر - الأحسائي: ج ١ ص ٤١.

(٣) الكافي - الكليني: ج ٢ ب / نسبة الإسلام ص ٤٥ ح ١.

(٤) محاولة للبحث عن العرفان الإسلامي - البيزدي: ص ٣٣.

(٥) محاولة للبحث عن العرفان الإسلامي - البيزدي: ص ٥٢.

وعلى هذا يكون العارف (هو الذي وجد الله تعالى وأدركه بقلبه وروحه)^(١).

ولهم أسماء يطلقونها على هذا العلم، ومنها: العرفان، والتصوف، والمعرفة الشهودية، والمعرفة القلبية، والمعرفة العرفانية^(٢).

وقد قسموا العرفان إلى قسمين، وهما:

١- العرفان النظري: هو معرفة الله تعالى والإنسان والعالم بالكشف والشهود^(٣).

٢- العرفان العملي: (هو عبارة عن القواعد الخاصة التي تقود الإنسان إلى المعرفة الحضورية والشهودية لله تعالى)^(٤).

وهذا الاستعمال للعرفان تبناه جملة من العلماء، وأفوا فيه، ولكن يُعد ابن عربي رأس مدرسة العرفان النظري^(٥)، والبانى الأساس لها^(٦)، كما تعد وحدة الوجود الأصل والأساس فيه، وغيرها - من المسائل - مبني عليها^(٧).

(١) محاولة للبحث عن العرفان الإسلامي - البيزدي: ص ٣٣.

(٢) محاولة للبحث عن العرفان الإسلامي - البيزدي: ص ٥٨، ٥٢، ٥١. العرفان - مطهري: ص ١٢.

(٣) العرفان - مطهري: ص ٢١، ١٧. العرفان الشيعي - الحيدري: ص ١٦.

(٤) محاولة للبحث عن العرفان الإسلامي - البيزدي: ص ٣٨.

(٥) فلسفة صدر المتألهين - الحيدري: ص ٦٨.

(٦) الحكمة المتعالية عند صدر المتألهين الشيرازي - حسن: ص ١٣٦.

(٧) الحكمة المتعالية عند صدر المتألهين الشيرازي - حسن: ص ١٤١.

إلا أن الكثير من العلماء قد انتقدوا هذا الاستعمال للعرفان، وكتبوا كتباً كثيرة في رده^(١)، والكتاب - الذي بين يديك - قد تكفل بيان جملة من المآخذ والانتقادات على هذا الاستعمال والاصطلاح.

الأمر الثاني الكلام حول الكتاب

لقد تكلم الكتاب - الذي بين يديك - حول الاستعمالين السابقين للعرفان، ودارت أبحاثه حولهما؛ لأن كل استعمال واصطلاح يختلف عن الآخر في المعنى والأسس التي يقوم عليها، والقواعد التي نتجت عنه. وقد فرق الكتاب بين الاستعمالين بأن خص أصحاب الاستعمال الأول باسم (الحكيم)، ومدرستهم بـ (الحكمة)، وأطلق على أهل الثاني اسم (الصوفي)، ومدرستهم بـ (الصوفية)، وذلك تبعاً لأصحاب كل استعمال كما مر سابقاً.

وقد تميز الكتاب بمميزات متعددة، وخصائص مهمة، ومن أهمها:

١- إن الكتاب يدور حول الشيخ الأوحّد أحمد بن زين الدين الأحسائي - أعلى الله تعالى مقامه -، وهي شخصية مهمة، تمثل منارة شاحخة في الفكر الإسلامي، ومدرسة منبثقة من عمق تعاليم أهل البيت - صلوات الله وسلامه عليهم -.

(١) حديقة الشيعة - الأردبيلي: ص ٧٥٠. جوامع الكلم (الرسالة الرشتية) - الأحسائي: ج ٨ ص ٣١٥. محاولة للبحث عن العرفان الإسلامي - اليزدي: ص ٥٣، ٥٨، ٦٢. العرفان الشيعي - الحيدري: ص ٨٠. عون المعبود في الرد على وحدة الوجود - أحمددي: ص ٦٢.

- ٢- رد فيه دعوى انتساب الشيخ الأحسائي للصوفية، وبين فيه إن للشيخ منهجاً عرفانياً حكيمياً خاصاً، مستنبطاً من تعاليم الشريعة الإسلامية، وأشار فيه إلى أهم معالم منهجه.
- ٣- إنه تكلم عن مناهج أهم المدارس العقائدية في الإسلام، والخصائص التي تتميز بها، معتمداً على مصادر كثيرة مهمة ومتنوعة، تعطي الكتاب الحيادية والموضوعية.
- ٤- تكلم عن منهج الصوفية، وبين ونقد أهم عقائدهم، وعرف أهم شخصياتهم، ورموز فكرهم.

الشيخ عبد المنعم العمران

١٤٣٩/٥/٥ هـ

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه ، وأشرف بريته ؛ محمد المصطفى وعترته البررة الأتقياء ، حجج الله على الخلق أجمعين ، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين.

إِنَّ اللَّهَ ﷻ لما أحب خلق الخلق لمعرفته ، جعل لهم منهجاً إلهياً يحوي القوانين والنُّظم الربانية ، التي من شأنها إيصالهم للسعادة الأبدية ، واقتضت حكمته جعل الخطابات المولوية الصادرة منه ، ومبدأ الوساطة الكلية الكبرى بينه وبين خلقه متجلية في محمد وآله ﷺ .

فهم السبيل المتصل بين الأرض والسماء ، وهم الحجج على جميع الموجودات ، وما من علم إلا وصادر من تلك القرى المباركة ، كما قال سبحانه وتعالى :

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَلَّكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيْرًا فِيهَا لَيْلٍ وَآيَّامًا آمِينَ﴾^(١).

فإحراز الواقع العلمي والعملي في جميع شؤون هذه الحياة يقتضي الرجوع إليهم في كل حال ؛ لأنهم خزينة الأسرار الربانية ، ومظهري الحقائق الإلهية ، لقوله ﷺ : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ إِمامٍ مِّمِينَ﴾^(١) .

وكل نظرية بشرية لابد أن تكون ولادتها من تعاليم هياكل التوحيد الحمـدية ، وكل فكرة نستنبطها لابد أن تكون من رحم النصوص الواردة في الكتاب والسنة ؛ فورشة الإبداع البشري الفكري ليست متروكة لساحة الممارسات والتجارب العقلية والفنية ؛ بل هي مقيدة بالنصوص الربانية .

فإنجاح الحقائق والثوابت والضوابط التي من خلالها نحتق جميع الأصعدة ، سواء كانت علمية أو عملية ، فلسفية أو عرفانية ، ثقافية أو اجتماعية ، أو غيرها ، يكون بمناسبة كينونتها وحققتها وواقعيتها بالشكل المطلوب من قبلهم ﷺ . فقد ورد عنهم ﷺ : «ذهب من ذهب ، فإنما ذهب الناس إلى عيون كدرية يفرغ بعضها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري عليهم بإذن الله لا انقطاع لها ولا نفاذ»^(٢) .

وحيثما نطرح هذا الأمر في مسرح الفكر الإسلامي ومناهجه ، ونجعله الميزان في ردِّ وقبول ما ينتج عنه ، سيتضح لنا امتياز المدرسة التكاملية^(٣) .

فما أتى به مؤسسها الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي رحمته الله المعروف "بالشيخ الأوحـد" - من أطروحات جديدة ، ورؤى جوهرية ، يجعلنا

(١) سورة يس - الآية : (١٢) .

(٢) الكافي - الشيخ الكليني : ج ١ ب / معرفة الإمام والرد إليه ص ١٨٤ ح ٩ .

(٣) مصطلح يطلق على مدرسة الشيخ (الأوحـد). الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي رحمته الله .

فكر ملياً بقدرة هذا الحكيم في تقيده بالنص والرواية، وبالعقل المستنير بنورهما، أثناء صياغته السحرية لمدرسته الحكمية التي أبدع فيها.

فالعيش في وسط عبارات هذه المدرسة، تجذبنا نحو مغامرة فريدة من نوعها في عالم المعارف الإلهية، فما إن نبدأ بالسير في ربوعها، بعد ترك العناد والركون والأنس للمسائل، وعدم الالتفات إلى ما لدينا من قواعد، وإنما نجعل نظرنا إلى محكم الكتاب والسنة في كل شيء^(١)؛ حتى نجد نفوسنا قد حَلَّتْ نحو أفقٍ بعيد الأمد، وكأنها تطير من خلال أجنحة تلك العبارات الحكمية نحو مبدئها، فتعكس عليها صور الحقائق بقدر الجهد، واستعداد القابلية؛ وذلك لأن حداثة الأبنية، ورسانة القوالب والآليات في منهج هذا الحكيم المتأله، سيجعلك تطمئن بنتاجه؛ حتى في معالجة أصعب المسائل الحكمية والفلسفية والعرفانية، وغيرها.

كيف لا؟!

وقد أثرت معارفه المكتبات الإسلامية والأجنبية، وجذبت نتائجه في أصعب المسائل نفوس من رام الوصول إلى كنه التوحيد وحقيقته.

وبغض النظر عن مدى انتشار معارف الشيخ الأوحَد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند أتباعه ومؤيديه؛ إلا أن هناك عدة تساؤلات نحتاج من محكمة التاريخ الإجابة عليها بشفاافية تامة، وهي:

(١) هذه من الوصايا التي أوصى بها الشيخ الأحسائي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. كل من أراد فهم مضامين حكمته. وسوف يأتي ذكرها في سطور البحث لاحقاً. وللزيادة انظر/ شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ١٩٥.

إذا كان هناك اسم عظيم قد استحق بجدارة لقب "الأوحد" في زمانه :

فلماذا لا نرى ذكره في سطورك أيها التاريخ !؟

ولماذا لا نرى انعكاس شعاع فكره في نفوس البشر، كما هو شأن

العظماء الذين ساهموا في تقدم الحضارة، ورقبها في شتى فروعها؟!!

إنَّ الجواب واضح جلي لمن لديه خبرة بتاريخ حضارات الأمم، فلو

فتشنا أبحاث سطورها، سنجد كثيراً من المصلحين، والعلماء الرساليين،

وكبار المكتشفين، وغيرهم، قد ذهبوا ضحية عملية كيل التهم؛ بسبب

ضيق الأفق والتعصب، والجهل والحسد من قِبَل الأَداني. بل حتى الأنبياء

والأئمة عليهم السلام لم يسلموا من أقوامهم، فقد وجهت إليهم أنواع التهم

والافتراءات، فقد قالوا - عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم -: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ

الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾^(١)، وقالوا: ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا

مَسْحُورًا﴾^(٢).

وإذا سلطنا الضوء على تاريخ العلماء الكرام، ونواب الأئمة عليهم السلام،

الذين أثروا بمعارفهم تاريخ الحضارة الإسلامية، سنجد أن عملية كيل

التهم، وبث الأكاذيب والأراجيف ليست جديدة عليهم.

فالشيخ البهائي قدس سره^(٣) لم يفسق فقط؛ بل إن قراءة كتبه كانت تعدُّ

(١) سورة الحجر - الآية: (٦).

(٢) سورة الإسراء - الآية: (٤٧).

(٣) هو الشيخ محمد ابن الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي الجبعي العاملي. ولد في سنة (٩٥٣هـ) بمدينة بعلبك في

لبنان. جليل القدر. عظيم الشأن. توفي بأصفهان في سنة (١٣٠هـ). [أمل الآمل - الحر العاملي: ج ١ ص ١٥٥].

كافية لتفسيق قارئها^(١)، فقد كثر حساده ومناوؤه، فرشقوه بوابل التهم والافتراءات، حتى قال بِسْمِ اللَّهِ : (وآل الأمر أن تصدى لمعارضتي كل جاهل، وجسر على مباراتي كل خامل)^(٢).

والشيخ محمد تقي المجلسي بِسْمِ اللَّهِ^(٣) اتهم بالخروج عن المذهب؛ رغم أنه أول من نشر أحاديث الشيعة بعد ظهور الدولة الصفوية^(٤).

والشيخ المفيد بِسْمِ اللَّهِ^(٥)، قد قال عنه أعداؤه ما قالوا^(٦).

والعلامة الحلبي بِسْمِ اللَّهِ لم يسلم هو كذلك من صنوف التهم وأنواع الأكاذيب^(٧).

وابن إدريس الحلبي بِسْمِ اللَّهِ^(٨) اتهم بأنه: (مخلّط لا يُعتمد على تصانيفه)^(٩)؛ رغم مكانته العالية التي قال عنها العلامة المجلسي بِسْمِ اللَّهِ : (وكتاب السرائر لا يخفى الوثوق عليه وعلى مؤلفه)^(١٠).

(١) أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين: ج ٩ ص ١٦٨.

(٢) أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين: ج ٩ ص ٢٤٠.

(٣) هو الشيخ محمد تقي بن مقصود علي المجلسي. ولد في سنة (١٠٠٣هـ) بأصفهان. وتوفي في سنة (١٠٧٠هـ). لأعيان الشيعة - السيد محسن الأمين: ج ٩ ص ٤١٢.

(٤) أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين: ج ٩ ص ١٩٣.

(٥) هو الشيخ محمد بن محمد بن النعمان بن عبدالسلام الحارثي العكبري. يكنى بأبي عبدالله. ولد في سنة (٣٣٦هـ) ببغداد. وهو من أبرز علماء الشيعة الإمامية. توفي في سنة (٤١٣هـ) ودفن بالكاظمية. لرجال النجاشي - النجاشي: ص ٣٩٩.

(٦) أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين: ج ٩ ص ٤٢٢.

(٧) أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين: ج ٥ ص ٤٠١.

(٨) هو محمد بن منصور بن أحمد بن إدريس الحلبي. ولد في سنة (٥٤٣هـ) بالعراق. وتوفي في سنة (٥٩٨هـ).

(٩) روضات الجنات - السيد محمد باقر الخونساري: ج ٦ ص ٢٧٤.

(١٠) أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين: ج ٦ ص ٢٧٩.

والعلامة السيد هاشم التوبلاني البحراني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(١) صاحب كتاب "البرهان في تفسير القرآن"، قدح البعض في كتابه "ترتيب التهذيب" وسمّاه "تخريب التهذيب"، والتهذيب من الكتب الأربعة للحديث، الذي ألفه الشيخ الطوسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ "شيخ الطائفة"، والسيد البحراني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هو من قام بترتيبه وتبويبه.

والشيخ محمد حسن النجفي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٢) صاحب كتاب "الجواهر"، شكك بعض الفقهاء المعاصرين له - وهو الشيخ محسن خنفر^(٣) - في قوة استنباطه^(٤)؛ رغم أنه كان قد أتم دورة الجواهر حينذاك، حيث كان يقول للشيخ: (أعط جواهرك هذا لبائعي الفلفل والكمون يَصْرُونَ بها!)^(٥).

وفخر المحققين الحلبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٦) رشقوه بوابل التهم، ونغصوا عليه أيامه ولياليه، حتى اضطر إلى الهجرة إلى أرض آذربيجان، كما يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (فبكِت بكاءً شديداً، وشكوت إليه [أي إلى والده العلامة الحلبي] قلة

(١) هو السيد هاشم بن سليمان بن إسماعيل التوبلاني البحراني. ولد في النصف الأول من القرن الحادي عشر. وتوفي في سنة (١١٠٧هـ). [أنوار البدرين - الشيخ علي البلادي: ص ١٣٦].

(٢) هو الشيخ محمد حسن ابن الشيخ باقر ابن الشيخ عبدالرحيم النجفي الأصفهاني العاملي. ولد في سنة (١٧٨٥م). من مراجع الشيعة في القرن الثالث عشر بعد الهجرة. ومعروف بصاحب الجواهر. توفي في سنة (١٨٤٩م). [الذريعة - آقا بزرك الطهراني: ج ١١ ص ٢١٤].

(٣) هو الشيخ محسن بن محمد بن خنفر الباهلي النجفي. توفي في سنة (١٢٧١هـ). [الذريعة - آقا بزرك الطهراني: ج ٢١ ص ٣٨٦].

(٤) شرح القواعد (كتاب المتاجر). - الشيخ جعفر الجناحي: ج ١ ص ٤٠ هامش رقم (١).

(٥) أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين: ج ٩ ص ٤٨.

(٦) هو الشيخ محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر الحلبي. ولد في سنة (٦٨٢هـ). وتوفي في سنة (٧٧١هـ).

المساعدة، وكثرة المعاندة، وهجر الأخوان، وكثرة العدوان، وتواتر الكذب والبهتان؛ حتى أوجب لي ذلك جلاء الأوطان، والهرب إلى أرض آذربيجان، فقال لي [يعني: قال له والده رَضِيَ اللهُ عَنْهُ]: اقطع خطابك! فقد قطعت نياط قلبي، قد سلّمتك إلى الله؛ فهو سند من لا سند له...^(١).

والشيخ الأوحد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هو واحد من أولئك العظماء المتفوقين الذين ذهبوا ضحية لعملية كَيْل التهم والافتراءات من قِبَل الأَدَانِي؛ فكفروه، وأنكروا عليه حسداً وبغضاً، ورموه بالغلو والقول بالتفويض - وغيرها من الاتهامات التي لا يشم منها رائحة الصدق والتحقيق -؛ على الرغم من أن أساطين زمانه، ونوابغ دهره من معاصريه وغيرهم، قد أكثروا من مدحه، والثناء عليه، ولم يقدحوا بكلمة واحدة في حقه؛ بل ذكروا أنه كان من صنف الرعيل الأول من بين العلماء العظماء في تاريخ الفكر الإسلامي^(٢).

ولا أخفيك حقيقة، أن ما قمت به من جهد في تأليف هذا الكتاب، ما هو إلا بسبب تألمي من تفرق أهل الحق في هذا الزمن، وتراشقهم بالباطل فيما بينهم؛ فالناس حولهم: إما متفرجٌ يتألم، ويرى أن التفرقة قَدْرٌ بلا مفرٍّ منها، وإما متحركٌ لمعالجة الأمور وتوضيحها؛ وعسى أن يكتبني صاحب الأمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من الصنف الثاني، ويكون جهدي الذي بذلته ولو بمقدار وضع شمعة في درب من رام إلى الحقيقة وصولاً.

(١) روضات الجنات - السيد محمد باقر الخونساري: ج ٦ ص ٣٣٢.

(٢) سيأتي شهادة العلماء العظماء له في أثناء الحديث عن سيرته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وفي هذا الكتاب - الذي بين أيدينا - تعرضت لتحليل مسألة تعتبر من المسائل الشائكة في تاريخ الحضارة الإسلامية بشكل عامة، وفي فكر الشيخ الأوحـد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بشكل خاصة؛ ألا وهي مسألة حقيقة العرفان. وذلك لأن الذين كفروه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قد افتروا عليه بجملة من الافتراءات، ومنها اتهامه بإتباعه منهج الصوفية - الذين ذمهم أهل البيت عليهم السلام - في الكشف عن الحقائق!

والحقيقة أنهم لم يفهموا معاني كلماته، فشبه لهم ذلك؛ ولو أنهم صرفوا جهداً في فهم المصطلحات الخاصة التي تضمنها منهجه، لأيقنوا أن ما جاء به هو عين ما دعا إليه أهل البيت عليهم السلام في هذا الصدد. ولذا انصب هدف مبحثنا في الإجابة عن التساؤل التالي:

هل سار الشيخ الأوحـد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مسار الصوفية في كشفه، أم أنه انفرد بمسارٍ معرفي خاص به؟

وقد انتظم الكتاب في أربعة مباحث، كل مبحث يحوي على عدة مطالب. فأما المبحث الأول: استطرادنا فيه المطالب التمهيدية التي من شأنها وضع مقدمة ومسار - للقارئ الكريم - لما نحن فيه، وأما المبحث الثاني: فبحثنا فيه قضية التصوف الإسلامي، وأما المبحث الثالث: فجاء في بيان عقائد الصوفية وأدلة بطلانها، وأما المبحث الرابع: ففصلنا فيه قضية دليل الحكمة (العرفان) عند الشيخ الأوحـد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ بعدما ذكرنا سيرته ومكانته العلمية، وبعدها استطرادنا مباحث سريعة لمصادر وأدوات منهجه.

وفي نهاية المقدمة عليّ أن أقول :

من الصعب جداً أن تجد كاتباً حيادي الأسلوب ؛ أي : يعيش في وسط بحثه من دون الركون إلى جانب معين ، فالعاطفة ، والانتماء الطائفي ، والبيئة المحيطة به ، والزمان والمكان ، جميع هذه الأمور وغيرها ، تلعب دوراً هاماً في إجبار الكاتب على طمس الحقيقة - أحياناً - ، أو تجاهل الأمانة العلمية والتاريخية ؛ خصوصاً إذا كان الجانب المبحوث عنه من الجوانب التي تقصم ظهر البعير لو ظهرت حقيقتها للعيان ، وانكشفت دقائقها لآذان الجدران .

ولكننا لم نأخذها بعين الاعتبار ، وتمسكنا بالمنهجية الموضوعية التي يجب أن يتبعها كل باحث عن الحقيقة ؛ وهي الأخذ من أصحابها لا من غيرهم ، خصوصاً حينما يرتبط الأمر بفكر مدرسة ظلمت في صفحات التاريخ ، واندست معظم معارفها بسبب الهفوات الدنية ؛ كالحسد ، ومغالبة علم آل محمد عليه السلام ، وغيرهما .

وأخيراً : من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق ، أرى لزاماً عليّ أن أقدم شكري الجزيل وثنائي الجميل إلى مرشدي في الطريق ، الرجل الشهم ، محب الخير والفضيلة ، والأخلاق النبيلة ، المحقق البارِع في منهج المدرسة التكاملية ، سماحة الشيخ عبد المنعم العمران الأحسائي ، فيما أبداه من خدمات جليلة قيمة في تمشية هذا المبحث وغيره ؛ بشحن همتي حين الوهن ، وبالإجابة على أسئلتي - بصدر رحب - حين الاشتباه في المطالب والمثالب ، وبالمراجعة العميقة المنصفة لكل مؤلفاتي ، والتقديم الثري لها .

فشكراً له ، ولكل من ساهم في مـد يد العون لي معه ، في طليعتهم
أخينا المؤمن الفاضل الشيخ علي ابن الملا محمد آل شبيث الأحسائي ، الذي
لم يدخر جهداً في المراجعة اللغوية لهذا الكتاب ، وفي تقديم دعمه المعنوي ،
من خلال ما قام به من تذييل على وجه نسخة المراجعة التي قُدمت له ^(١) .

الشيخ / إبراهيم علي القديم كربلاء المقدسة

(١) قال الشيخ علي ابن الملا محمد ابن الشيخ علي آل شبيث في تذييله بعد مراجعته اللغوية لهذا الكتاب - في شهر
شعبان المعظم ١٤٣٩ هـ :

(لقد تشرفت بمراجعة هذا السفر العظيم. من يراع أخينا وعزنا وتاجنا. الشيخ إبراهيم ابن الحاج علي القديم. وقد
وجدته نعم المؤلف. يثلج صدر التابعين لهذا المنهج. ويلقم المعاندين حجراً. بما حواه من تحقيق وافٍ واستدلالٍ
أنيق. وإنه لمفخرة لجماعتنا وجود أمثال هذا الشيخ.

ومما يلفت النظر اعتماده على الكثير من المصادر. والعديد من المراجع. وهذا يثري البحث. ويدعم الاستدلال.
وإني لأشدد على عضده. وأشجعه على مواصلة هذا العمل بجدٍ واجتهاد وورع.

كما وأوصيه ألا ينساني من دعواته. وأن يشركني في مجهوداته ؛ لأحظى بالأجر والثواب في يوم العرض
والحساب. كما وأوصيه أن يزكي علمه ليس بالتأليف فحسب ؛ ولكن في الدرس. فالكثير من شبابنا متعطش لهذا
المعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على ساداتنا محمد وآله الطاهرين. وجزى الله علماءنا
خير جزاء المحسنين. سيما شيخنا ؛ الشيخ أحمد ابن زين الدين).

المبحث الأول في المطالب التمهيدية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الرؤية الكونية الإلهية

المطلب الثاني: نشأة الحياة الفكرية في الإسلام

المطلب الثالث: أشهر المناهج الفكرية في الإسلام

المطلب الأول الرؤية الكونية الإلهية

اعلم - عزيزي القارئ - :

إن قضية الرؤية الكونية^(١) ، وما يحيط بها من تساؤلات فكرية ،

من قبيل :

من هو خالق هذا الكون؟

كيف خُلِقنا؟ وما هي الغاية من خُلِقنا؟

وإذا كان هناك نهاية لنا ، فما هي؟

قد شغلت البشرية منذ العصور القديمة ، واشتغل مجموعة كبيرة

منهم في تفسيرها ، ووضع إجابات لكل ما يطرح من تساؤلات متعلقة بها.

وعلى الرغم مما تم الوصول إليه من إجابات إلا أنها لم تصنع

أيديولوجية صحيحة ؛ يمكن الارتكاز عليها لنظم القوانين الإلهية في الحياة ،

وتكون صالحة لكل زمان ومكان ، ومن شأنها الإجابة عن سيل التساؤلات

(١) مصطلح الرؤية الكونية مرادف لمصطلح العقيدة الإلهية أو الحكمة الإلهية.

الكونية الطارئة ؛ وذلك بسبب هشاشة المصدر المعرفي الذي تم استقاء جملة الإجابات الكونية منه^(١).

فالمصدر المعرفي إذاً يلعبُ دوراً بليغاً في صمود الإيديولوجية التي سيعيش عليها فكر أي أمة من الأمم.

وبما أن ما يبحث عنه خارج عن إطار المادة، والتجربة الحسية، وقوة العقل الحادث ؛ لأنه واقع في عالم ما وراء المادة^(٢)، إلا أن الباحث قد علق مصدره عليها في بادئ الأمر ؛ لأنها الأقرب إليه ، فأخذ ينظر إليها كمصدر يستقي منه جلّ رؤيته الكونية. فتكوّن من اعتبار المصدر هو المادة نهج الماديين ، ومن اعتباره التجربة نهج التجريبيين ، ومن اعتباره العقل نهج العقلين^(٣).

ولو أخذنا المحاولات الحثيثة التي قدمتها تلك المناهج الفكرية في تفسير الرؤية الكونية بعين الاعتبار ، فنحن لا ننكر بأن محاولاتنا قد كشفت لنا عن طريق لا يؤدي إلى صنع مصباح نور الحقيقة المطلقة ؛ وذلك لكثرة الإشكالات الواردة على إجاباتها، من تغير ومحدودية، وتصادم مع ما

(١) فلسفتنا - السيد الصدر: ص ١٨٧.

(٢) يطلق مصطلح «عالم ما وراء المادة» أو «عالم ما وراء الطبيعة» أو «الميتافيزيقا» أو ما يعرف حالياً في العلم الحديث «بالبارا سيكولوجي para psychology» في مقابل عالم المادة أو عالم الطبيعة. ويقصد به: مجموع العوالم الحقيقية المتعالية عن حضيض المادة؛ كعالم البرزخ. وعالم الملكوت. وغيرها. وهو العالم الذي يرى فيه الإنسان حقائق الأشياء. وقد ذكر في القرآن الكريم في مواضع عديدة منها: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَكُمُ الْيَوْمَ لِيَوْمٍ حَدِيدٍ﴾ سورة ق- الآية: (٢٢).

(٣) أسس الفلسفة - د. توفيق الطويل: ص ٤٥.

جاءت به الرسائل السماوية، ومع الوجدان كذلك؛ لأن نشدان الأجوبة الحقيقية بات متوقفاً على مصدر متصف بالثبات لا التغير، والمطلقية لا النسبية، وبشكل أعم، لا بد أن يكون مساوياً للحقيقة؛ لأن المعرفة هي الحقيقة.

وهذا ما تميز به مصدر الرؤية الكونية الإلهية، فما حملته الشرائع السماوية بين طياتها، منذ دعوة أبينا آدم عليه السلام إلى دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كان كافياً ووافياً للإجابة عن جميع تلك التساؤلات وأكثر.
كيف لا؟!

وهي الصادرة من الحكيم الأعلم بشؤون خلقه.

وبغض النظر عن مكانة الشرائع السماوية الأخرى، والتي تعتبرها باقي الأديان الإلهية مصدراً لرؤيتها الكونية؛ إلا أننا ندينُ بدينِ خاتم الرسل والأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال صلى الله عليه وسلم: «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا»^(١)، فمصدر الرؤية الكونية الإلهية لدينا هو الشريعة الإسلامية المحمدية؛ أي: الكتاب والسنة - مع إعطاء العقل حقه وحدوده تبعاً لهما -؛ لأنها كاملة الجوانب، مترامية الأطراف، ولها القدرة على تلبية جميع الاحتياجات البشرية إلى يوم القيامة، ومن دونها لا تخلو أي رؤية كونية من الجهل والأوهام والخرافات، فما أكثر من حاول سلوك الطرق الملتوية من أجل ذلك، فكان مصيره

الخسران^(١)، كما ورد عنهم عليهم السلام : «حيث ذهب من ذهب، فإنما ذهب الناس إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري عليهم بإذن الله تعالى لا انقطاع لها ولا نفاد»^(٢).

وعلى هذا، فإن أول ما يؤخذ في حسابان كل طالب لمراتب الكمال الدنيوية والأخروية، هو أن يكون إيمانه قائماً على رؤية كونية صحيحة، وتحقيق هذه الغاية لا يكون إلا عن طريقهم عليهم السلام ؛ لأنهم الباب الذي يقودنا إلى ما نطمح إليه، وهو تحصيل المعارف الإلهية الحقّة^(٣)، فقد قال أبو عبد الله عليه السلام : «بنا عرفَ الله، وبنا عبدَ الله، نحن الأدلاء على الله، ولولانا ما عبد الله»^(٤).

وعليه، فلا اعتبار للآراء الشخصية، والقواعد الفكرية، ما دامت لم تشرب من نبع الشارع المقدس، ولم تُلذَّب بقراء الظاهرة، فهي مردودة - جملة وتفصيلاً - إن لم يَقم عليها دليل من ذلك.

وسوف نأخذ هذا الأمر بعين الاعتبار، ونضعه أمام أعيننا خلال التنظير، وأثناء البحث ؛ فلا تغفل عنه.

(١) شرح فوائـد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ١٨٨-١٨٩.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٢٤ ب ٦٢ / أنهم أهل الأعراف الذين ذكرهم الله... ص ٢٤٩ ح ٤.

(٣) شرح المشاعر - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ٤١.

(٤) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٢٦ ب ٥ / جوامع مناقبهم وفضائلهم عليهم السلام ص ٢٦٠ ح ٣٨.

المطلب الثاني

نشأة الحياة الفكرية في الإسلام

كان العرب قبل الإسلام يعيشون حياة بسيطة، ولم يكن لهم نظامٌ فكريٌّ يكشف عن أمر يمكن أن نطلق عليه فلسفة أو حكمة بالمعنى المعروف، ويكون له دور الإفصاح عن النظرة الحقيقية لتفسير الرؤية الكونية.

وحتى النظام الاجتماعي الباعث على تجلي الوحدة بينهم، كان غائباً تماماً في شعور الفرد بقبيلته، فلم يتحدوا تحت لواء نظام معين، أو مآلٍ ضروري لأمتهم؛ بل كانوا أمة متفرقة تمزقها الحروب القبلية.

وأما الجانب الديني؛ فقد انطوى على الوثنية التي دان بها دُهماء العرب، هذا إلى جانب النحل الأخرى المنتشرة في بلادهم؛ كالصابئة في بلاد اليمن والعراق، والزرادشتية في بلاد فارس، والمسيحية في قبائل تغلب وغان^(١).

(١) تاريخ الإسلام - حسن إبراهيم حسن: ج ١ ص ٧٣.

وكانت هناك فئـة قليلة من أشرف العرب الذين لم يسجدوا لصنم، واحترزوا عن الآثام، وامنوا بالله ﷻ وباليوم الآخر، وكانوا ينتظرون خروج نبيه ﷺ، ومنهم عبد المطلب، وابنه أبو طالب^(١).

واستمرت حياتهم على هذه السجية حتى جاءت دعوة النبي الأعظم محمد ﷺ، فتفجرت الثورة الفكرية لديهم، وأحدثت نقلة ضخمة للحضارة البدوية آنذاك.

وقد ساهمت عدة أمور في نشأة الحياة الفكرية في الحضارة الإسلامية، منها ما هو عامل أصلي انبثق من رحم الإسلام، ومنها ما هو مؤثر ساهم في عملية التنمية والبلورة، وإن لم يكن نابعاً من صميم وحقاق الإسلام. أما العوامل الأصلية، فيمكن تحديدها بالتالي:

١- القرآن الكريم

اعتنى المسلمون في بداية الدعوة الإسلامية بالقرآن الكريم؛ لأنه الأصل في دعوته ﷺ، والشامل لجميع جوانب المعارف الإسلامية، حيث إنه من خلال (النظر في قوانين القرآن العملية نشأ الفقه، ومن النظر فيه ككتاب يضع الميـتافيزيقيا نشأ الكلام، ومن النظر فيه ككتاب أخروي نشأ الزهد والتصوف والأخلاق، ومن النظر فيه ككتاب للحكم نشأ علم السياسة، ومن النظر فيه كلغة إلهية نشأت علوم أخرى...)^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد: ج ١ ص ١١٩.

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام - د. علي النشار: ج ١ ص ٢٢٧.

وعلى الرغم من تنوع مصادر المعارف التي تضمنها القرآن الكريم؛ إلا أنه اهتم اهتماماً بالغاً فيما يتعلق بقضية الرؤية الكونية. وقد تجلّى هذا الاهتمام في العديد من آياته التي دعت إلى إعمال الفكر، والنظر في الآيات الآفاقية والأنفسية^(١)، ومنها:

قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَمْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجِينَ آثِنِينَ يُغَشِّي اللَّيْلَ النَّهْلَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢).

وقوله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ لَوْ كُنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

وقوله ﷻ: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَلَقْتُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٤).

وقوله ﷻ: ﴿يُنَبِّئُكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخْلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٥).

وقوله ﷻ: ﴿ثُمَّ لِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَلَمَلِكِي سُبُلَ رَبِّكَ ذُلَّالِيحْرَجُ

(١) الإيديولوجية المقارنة - الشيخ محمد تقي البيزدي: ص ١٤.

(٢) سورة الرعد - الآية: (٣).

(٣) سورة لقمان - الآية: (٢٥).

(٤) سورة آل عمران - الآية: (١٩٠).

(٥) سورة النحل - الآية: (١١).

مِنْ بَطُونِهِمْ نَشَرَ لَبٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّفِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾.

٢ - النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام

لقد انصب جزءٌ كبيرٌ من مهامه ﷺ في بداية دعوته على إقامة نظام الدين الإسلامي، ودحض الانحرافات المنفشية في المظاهر الاعتقادية والاجتماعية والأخلاقية. وقد انطلق في تكوينها من خلال لفت نظر الإنسان إلى عقيدة التوحيد الحقّة، وإرشاده إلى واقعه الفطري، وحقيقته الإنسانية الكاملة^(٢)؛ فأيقظت روح النظرة الفكرية في بداية الإسلام، وأخذ من حوله يتطلعون في البحث عن الحقائق الكونية، قال الله ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٣).

وهناك مواقف حكمية عديدة له ﷺ، كان لها الدور البارز في تركيز المقولات الأساسية للحياة الفكرية، منها:

أ - احتجاجاته ﷺ: كاحتجاجه مع نصارى نجران في العام العاشر من الهجرة، ودعوته لهم إلى المباحلة، حيث حفل التاريخ وكتب السير والتفسير بما دار بينه ﷺ وبين بطارقة نجران وقساوستهم^(٤).

(١) سورة النحل - الآية: (٦٩).

(٢) تاريخ الإسلام - حسن إبراهيم حسن: ج ٧٣.

(٣) سورة الإسراء - الآية: (٨٥).

(٤) إقبال الأعمال - السيد ابن طاووس: ج ٢٦ / فيما يتعلق بمباحلة سيد أهل الوجود لذوي الجحود... ف ٣ / من

فضل يوم المباحلة من طريق العقول ص ٣٥١.

ب - مناظراته عليه السلام: كمنابرتة للراهب شمعون بن لاوي بن يهودا، حينما سأله عن مسائل كثيرة، فلما أجاب جميعها عليه السلام، آمن به وصدقته^(١).

ج - وصاياه عليه السلام: كوصيته لأبي زر: «يا أبا زر! أعبد الله كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك. واعلم: إن أول عبادة الله المعرفة به، فهو الأول قبل كل شيء فلا شيء قبله، والفرد فلا ثاني له، والباقي لا إلى غاية، فاطر السموات والأرض، وما فيهما وما بينهما من شيء، وهو الله اللطيف الخبير، وهو على كل شيء قدير، ثم الإيمان بي، والإقرار بأن الله تعالى أرسلني إلى كافة الناس بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً، ثم حب أهل بيتي الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا...»^(٢).

د - مواعظه عليه السلام: كموعظته التي قالها وهو على ناقته: «أيها الناس! كأن الموت فيها على غيرنا كتب، وكأن الحق فيها على غيرنا وجب، وكأن الذي يشيع من الأموات، سفر عما قليل إلينا راجعون، بيوتهم أجداثهم، ونأكل تراثهم كأننا مخلدون بعدهم، قد أمنا كل جائحة، ونسينا كل موعظة، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وأنفق من مال اكتسبه من حلال من غير معصية، ورحم أهل الذل والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة، واتبع السنة ولم يعدها إلى بدعة، فأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، طوبى لمن حسنت سريرته، وطهرت خليقته»^(٣).

(١) تحف العقول عن آل الرسول - ابن شعبة الحراني: ص ١٦.

(٢) ميزان الحكمة - محمد الريشهري: ج ٤ وصايا الرسول عليه السلام ص ٣٥٣.

(٣) كنز العمال - المتقي الهندي: ج ١٦ ب ٣/ في الحكم والمواعظ ص ١٤٣ ح ٤٤١٧٥.

ولم تقتصر مهمة بث روح الحياة الفكرية في الإسلام على النبي ﷺ ؛ بل كان لأهل بيته عليه السلام دورٌ أساسيٌّ في ذلك أيضاً ، وفي طليعتهم أمير المؤمنين عليه السلام ، حيث يظهر دوره الفكري من خلال التمعن في آثار مروياته ، من خطب ورسائل وقصار كلمات ، كما في نهج البلاغة وغيره . ومن جملة آثاره الشريفة التي اشتملت على مضامين فكرية حكيمة عميقة : الخطبة المسماة (بالأشباح)^(١) ، والخطبة المسماة (بالطالوتية)^(٢) ، والخطبة التي يقول عليه السلام فيها : «أيها المخلوق السوي»^(٣) ، والخطبة التي يقول فيها عليه السلام : «أول الدين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيده ، وكمال توحيده الإخلاص له ، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه»^(٤) .

وأخذت مآثر الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام أهمية قصوى عند جهاذة العلم ، وأفذاذ المفكرين ؛ لما شملته من روائع الحكمة بين سطورها ، منها : خطبتها في فدك^(٥) التي شملت عيون المعارف الإلهية ، وخطبتها لنساء المهاجرين والأنصار^(٦) وهي على فراش المرض .

(١) نهج البلاغة - الشريف الرضي : ج ١ ص ١٢٤ الخطبة رقم (٩١) .

(٢) الكافي - الشيخ الكليني : ج ٨ ك / الروضة / خطبة الطالوتية ح ٥ ص ٣١ .

(٣) نهج البلاغة - الشريف الرضي : ج ٢ ص ٦٥ الخطبة رقم (١٦٣) .

(٤) نهج البلاغة - الشريف الرضي : ج ١ ب / المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام ... خطبة يذكر فيها ابتداء خلق السموات والأرض وخلق آدم ص ١٤ .

(٥) اللعة البيضاء - التبريزي : ف / في ذكر احتجاجات فاطمة عليها السلام ص ٣١٧ .

(٦) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٤٣ ب / ٧ ما وقع عليها من الظلم وبكاتها وحزنها ... ص ١٦٠ ح ٩ .

وكان دور مناظرات وأحاديث وخطب وأدعية باقي الأئمة عليهم السلام ؛ لا يقل أهمية عن دور جدهم ووالدهم وأمهم الزهراء - صلوات الله عليهم - ، ومنها :

مناظرة الإمام الصادق عليه السلام مع الزنديق الذي سأله : ما الدليل على صانع العالم؟^(١) ، ومناظرة الإمام الرضا عليه السلام مع أبي قره حينما سأله : عن كلام الله لموسى؟^(٢) .

والدعاء المروي بسند معتبر عن الإمام الحجة عليه السلام في مفاتيح الجنان ، الذي يقول في بدايته : «اللهم عرفني نفسك ، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف رسولك ، اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك ، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني»^(٣) ، وغيرها من كلماتهم التي ملأت صفحات الكتب ، وما زالت محط بحث ونظر إلى يومنا هذا .

وعلى ضوء ما سبق ، يمكننا أن نقرر :

أن القرآن الكريم ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأهل بيته عليهم السلام ، هم (نقطة الانطلاق في التأمل الفلسفي عند الشيعة)^(٤) ، ويجب على (كل محاولة تنزع إلى عرض الفلسفة النبوية التي نشأت عن هذا التأمل ، أن تنطلق من نفس المنهل الذي

(١) الاحتجاج - الطبرسي : ج ٢ احتجاج أبي عبد الله الصادق عليه السلام في أنواع شتى من العلوم الدينية... ص ٦٩ .

(٢) الاحتجاج - الطبرسي : ج ٢ احتجاجه عليه السلام على أبي قره المحدث ص ١٨٤ .

(٣) مفاتيح الجنان - الشيخ عباس القمي : الدعاء في زمان الغيبة ص ٨٤٣ .

(٤) تاريخ الفلسفة الإسلامية - هنري كوربان : ص ٨٢ .

نهلت منه هذه الفلسفة^(١)؛ لأنها الأصل والمصدر الحقيقي للمعارف الإسلامية.

وأما المؤثرات التي ساهمت في تنمية وبلورة الحياة الفكرية في الإسلام؛ فهي إما مؤثرات خارجية، أو مؤثرات داخلية.

وقبل التطرق لها نود لفت النظر هنا، إلى أننا لا نعني بأن هذه المؤثرات كانت لها آثار إيجابية دائماً على الحياة الفكرية؛ بل نقصد أن انعكاساتها كان لها تأثير في بلورتها ونموها، فحتى التأثير السلبي قد يكون له نوعٌ إيجابيٌ في ظروف معينة.

١- المؤثرات الخارجية

لقد تجلّى نقل التراث المعرفي والعقائدي للملل والمذاهب الخارجية - النصرانية، اليهودية، الزرادشتية، اليونانية - إلى ساحة الإسلام، بمعونة حكام الجور والضلال؛ لأهدافهم السياسية، والتي من أهمها: تكوين قاعدة فكرية لهم من شأنها مغالبة علوم أهل البيت عليهم السلام، وصرف الناس عنهم؛ أي: محاولة مقارعة الفكر بالفكر، ورد الرأي بالرأي، كما يقول الميرزا مهدي الأصفهاني^(٢):

(ومن كان عارفاً بسياسة الخلفاء، يظهر له أن العلة في ترجمة الفلسفة، وترويج مذهب التصوف المأخوذ من اليونان، ما كانت إلا

(١) تاريخ الفلسفة الإسلامية - هنري كوربان: ص ٨٢.

(٢) هو الآقا ميرزا مهدي الأصفهاني الخرساني. ولد في سنة (١٣٠٣هـ) في أصفهان. وتوفي سنة (١٣٦٥هـ) في

خرسان. [مستدرك سفينة البحار - الشيخ علي النمازي: ج ١ ص ٢٩].

السياسة؛ لمغالبة علوم أهل البيت عليهم السلام، وإغناء الناس عنهم، بعد ما فتحوا باب التكلم في جميع الأبواب قبل الترجمة.

وقد ظفروا بمقصدهم بعد أخذ النتيجة، وغلبوا عليها كما غلبوا عليهم من حيث السلطنة الظاهرية؛ فإن المسلمين اشتغلوا بالعلوم البحثية النظرية، وبعد ترجمة الفلسفة استغنوا بها عن علوم آل محمد عليهم السلام، حتى آل الأمر إلى البحث والاحتجاج معهم عليهم السلام، كما يظهر من تاريخ ثامن الأئمة عليهم السلام.

بل انتهى الأمر إلى أن صغرت علومهم في أنظار تابعيهم، فأولوا كلماتهم على العلوم البشرية اليونانية، وزعموا أن فهم مراداتهم متوقف على تعلم العلوم اليونانية. والحال أن حُمِلَ ألفاظ الكتاب والسنة على المعاني الاصطلاحية، وتوقف تكميل البشر على تعلمها بعد بدهة جهل عامة الأمة إلى يوم القيامة بتلك المصطلحات؛ إلا شرذمة قليلة ممن تعلمها بعد انتشار الترجمة، مساوق لخروج كلام الله، وكلام رسول الله عن طريق العقلاء، وإحالتهم تكميل الأمة إلى العالم بالفلسفة.

وهذا نقض غرض البعثة، وهدم آثار النبوة والرسالة، وهو أشنع الظلم دونه السيف والسنان^(١).

فقد شجع حكام الجور والضلال الاستلهام من الموروثات الخارجية، ومن جملة مواقفهم في ذلك:

(١) أبواب الهدى - الميرزا مهدي الأصفهاني: ص ٤٣.

أ - السماح للأسرى والمتأسلمين الذين دخلوا نفاقاً في الإسلام بنشر ما عندهم من أفكار من دون وجود رقابة عليهم^(١).

يقول ابن عساکر^(٢): (كان عدّة من أبحار اليهود ورهبان النصارى وموابذة المجوس، أظهروا الإسلام في عهد الراشدين، ثم أخذوا بعدهم في بث ما عندهم من الأساطير، بين من تروج عليهم، ممن لم يتهذب بالعلم من أعراب الرواة، وبسطاء مواليهم؛ فتلقفوها منهم، ورددتها الآخرون بسلامة باطن، معتقدين ما في أخبارهم جانب الله من التجسيم والتشبيه، ومستأنسين بما كانوا عليه من الاعتقاد في جاهليتهم، وقد يرفعونها افتراءً إلى الرسول ﷺ، أو خطأً، فأخذ التشبيه يتسرب إلى معتقدات الطوائف، ويشيع شيوع الفاحشة)^(٣).

ب - استنـجاد معاوية بالنصارى، حيث كان عنده مستشار سياسي في قصره اسمه (سرجون) النصراني، وابن هذا المستشار اسمه (يوحنا الدمشقي) الذي تربى في حضن الأمويين، وكان (يـبث بين علماء النصارى في البلاد الإسلامية طرق المناظرات التي تشكك المسلمين في دينهم)^(٤)، وصنّف العديد من الكتب ضد الإسلام؛ خصوصاً لما اعتزل السياسة،

(١) السلفية بين أهل السنة والإمامية - السيد محمد الكثيري: ص ٤٨.

(٢) هو الشيخ علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله. أبو القاسم الدمشقي الشافعي، المعروف بابن عساکر. ولد في سنة (٤٩٩هـ) في مدينة دمشق. وتوفي سنة (٥٧١هـ). [تاريخ مدينة دمشق - ابن عساکر: ج ١ / المقدمة ص ١١].

(٣) تبين كذب المفتري - ابن عساکر: ص ١٠.

(٤) الطريق إلى المهدي المنتظر - سعيد أيوب: ص ٤٩.

وجلس في دير حتى توفي سنة (١٦٠هـ). وأعظم ما نشره هو مسألة القضاء والقدر التي أخذها الأمويون لصالح مطالبهم السياسية، ومسألة الحلول التي نبع منها الاتجاه الصوفي في الإسلام^(١).

ج- لما هادن المأمون بعض ملوك النصارى - صاحب جزيرة قبرص -، طلب منهم خزانة كتب اليونان، حيث كانت عندهم مجموعة كتب في بيت لا يظهر عليه أحد، فجمع الملك خواصه من ذوي الرأي واستشارهم في ذلك، فأشار جميعهم بعدم تجهيزها إليه إلا مطراناً واحداً، قال: جهزها إليهم! فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلا أفسدتها، وأوقعت الخلاف بين علمائها^(٢).

د- كان للترجمة - وما لحقتها من أخطاء - النصيب الأكبر في عملية نشر الموروثات الخارجية. فقد أمر حفيد معاوية، خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، (بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان، ممن كان ينزل مدينة مصر، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة، من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي، وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة، ثم نقل الديوان، وكان باللغة الفارسية إلى العربية في أيام الحجاج)^(٣).

٢- المؤثرات الداخلية

استدعت إفرزات الصراعات السياسية في القرون الأولى وجود

(١) معالم الفتن - سعيد أيوب: ج ٢ ص ٣٧١.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٥٧ ب ٣٤/المعادن. وأحوال الجمادات والطباع وتأثيرها... ص ١٩٧.

(٣) فهرست ابن النديم - ابن النديم البغدادي: ص ٣٠٣.

مذاهب معينة في وسط الحضارة الإسلامية ؛ كـ الخوارج الذين ظهر منهم الخلاف على أمير المؤمنين عليه السلام في حرب صفين ، والمرجئة التي استند عليها الأمويون حينما قالوا: بأن مرتكب الكبيرة مؤمن ، والمعتزلة التي استغل حكام العصر العباسي تهربهم من قضايا الثورة العلمية ، التي كان يقودها أهل البيت عليهم السلام دفاعاً عن الرسالة الإلهية ، فحاولوا نشر مذهبهم القائم على المنهج الأرسطي المشائي وتأيينه^(١) ، وغيرها من المذاهب التي أثمرت جهود التصدي لها ، ودحض تفشي معتقداتها - من قبل العترة الطاهرة عليهم السلام وأصحابهم - التطور الطبيعي للحياة الفكرية التي نشأت آنذاك ؛ سواء جاء ذلك من خلال :

أ - بيان خطر أفكارهم الضالة ، والتحذير من الوقوع في شباكها ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب : المرجئة ، والقدرية»^(٢) ، وكما نقل أن الإمام العسكري عليه السلام كلم أبا هاشم الجعفري ، فقال له : «يا أبا هاشم ! سيأتي على الناس زمان وجوههم ضاحكة مستبشرة ، وقلوبهم مظلمة منكدرة ، السنة فيهم بدعة ، والبدعة فيهم سنة ، المؤمن بينهم محقر ، والفاسق بينهم موقر ، أمراؤهم جاهلون جائرون ، وعلمائهم في أبواب الظلمة سائرون ، أغنياؤهم يسرقون زاد الفقراء ، وأصاغرهم يتقدمون على الكبراء ، كل جاهل عندهم خبير ، وكل

(١) تاريخ الفكر العربي - عمر الفروخ : ص ١٤٤-١٤٥ .

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٥ أبواب العدل ب ١ / نفي الظلم والجور عنه تعالى ... ص ٧ ح ٧ .

محيل عندهم فقير، لا يميزون بين المخلص والمرتاب، ولا يعرفون الضأن من الذئاب.

علماءهم شرار خلق الله على وجه الأرض؛ لأنهم يميلون إلى الفلسفة والتصوف، وأيم الله إنهم من أهل العدول والتحريف، يبالغون في حب مخالفينا، ويضلون شيعتنا وموالينا، وإن نالوا منصباً لم يشبعوا من الرشا، وإن خذلوا عبدوا الله على الريا؛ لأنهم قطاع طريق المؤمنين، والدعاة إلى نخلة الملحدين، فمن أدرکہم فليحذرهم، وليصن دينه وإيمانه.

ثم قال: يا أبا هاشم! بهذا حدثني أبي عن آبائه عن جعفر بن محمد عليه السلام، وهو من أسرارنا فاكتمه إلا عن أهله»^(١).

ب - أو من خلال ترسيخ القيم التي تضبط مسيرة الحياة الفكرية الإسلامية، وتحصينها من الضلالة؛ كحثه عليه السلام بالتمسك بالعترة الطاهرة، كما في قوله عليه السلام: «إني تارك فيكم الثقلين، أما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»^(٢).

ج - أو من خلال تصديهم أنفسهم عليه السلام لها بمناظرة أصحابها، وتعليم وحث أصحابهم على فعل ذلك، كما قال أبو عبد الله عليه السلام ليونس ابن يعقوب حين ورد عليه الشامي لمناظرته: «وددت أنك يا يونس كنت تحسن

(١) مستدرک الوسائل - الطبرسي: ج ١١ ب ٤٩ / جملة مما ينبغي تركه من الخصال المحرمة والمكروهة ص ٣٦٩ ح ٢٥.

(٢) بصائر الدرجات - الصفار: ب ١٧ / في قول الرسول ﷺ إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ص ٤٣٣ ح ٣.

الكلام»^(١) ، وكما قال عليه السلام لهشام بن الحكم ، وقد سأله عن أسماء الله تعالى واشتقاقها ، فأجابه عن ذلك ، ثم قال له بعد الجواب : «أفهمت يا هشام ! فهماً تدفع به وتنافر أعداءنا ، والملحدين في الله ، والمشركين مع الله وَعَبَدُوا غيره»^(٢) .

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٢٣ ب ١ ، الاضطرار إلى الحجة... ص ٩ ح ١٢ .

(٢) التوحيد - الشيخ الصدوق : ص ٢٢١ ح ١٣ .

المطلب الثالث

أشهر المناهج الفكرية في الإسلام

إن السؤال عن ماهية الوجود؟

قد شغل البشرية منذ قديم الزمان - كما قلنا سابقاً - ، واعتُقد في بداية الأمر أن محاولة الإجابة عليه هو أمر ساذج ؛ لأن مفهومه بدهيّ معقول بنفس ذاته^(١).

والحقيقة أن المتمعن في أجزاء مسائله المطروحة ، وما وصلت إليه ، مع بسط النظر في مدى تشعبها وتشابكها ، سيصل حتماً إلى فجوة غير متناهية من صعوبة الإجابة على ذلك السؤال !

فما يُفتح للباحث من مسائل فيه ولو إجمالاً ؛ سواء كانت متعلقة بعالم المادة ، أو بعوالم أخرى غير محسوسة كعالم ما وراء المادة ، سيجدها كفيلة بأن تشعل فتيل الحرب في إعطاء الرؤية الكونية الصحيحة حول محاور الوجود الأساسية: خالق هذا الكون ، المخلوق ، الكون ، وكيفية العلاقة

(١) بداية الحكمة - السيد محمد حسين الطباطبائي: ص ١٠.

الرابطـة بينهما. وما ذلك إلا بسبب اختلاف المناهج الفكرية المنظرـة في هذا الأمر على مر الزمن؛ سواء كان ذلك قبل الإسلام أو بعده^(١).

ويعزو الاختلاف فيما بينها إلى اختلاف مصادر المعرفة، واختلاف الأدوات النظرية لكل منها، المقتضي تباين النتائج النهائية التي تم الوصول إليها بها.

ونوع المصدر والأداة وإن كان هاماً في عملية البحث؛ إلا أن الأهم هو كيفية الاستخدام في حين واقع الاستعمال، ومدى تلاؤم أو توافق النتائج المعرفية مع المعطيات السماوية الإلهية؛ لأن ما يبحث عنه واقع في هذا الجانب.

فقد يكون المصدر صحيحاً؛ ولكن كيفية الاستخدام لا توافق الأطر المدلول عليها، كما لو استند على مصدرية القرآن في مبحث إلهي ما، وفُسر آياته بطريقة لا توافق مقتضيات التفسير المنصوص عليها في الإسلام، وكما لو أُستخدمت أداة الإلهام؛ ولكن أُستندت كيفية استخدامها على طرق ليست قائمة على المعين الكاشف للحقيقة المرجوة.

وبالبداية ما كان مصدره سماوياً، وواقع استعماله منطوياً على ما دلل عليه من أمور؛ فنتيجته حتماً سوف تكون موافقة له، وما لم يكن كذلك فلا؛ خصوصاً حينما يكون مجال البحث مرتبطاً بأمر مربوط بها من أساسه.

(١) الإيديولوجية المقارنة - الشيخ محمد تقي اليزدي: ص ٢٢.

ونحن حينما نشد الأمور المربوطة بقضية الوجود، نحتاج إلى المصدر المهيمن والحاكم عليها، وإلى الأداة المستنبطة منه، والمستخدمة بالتبعية المقهورة له؛ وليس هناك أكمل وأوفق من مصدرية وحي السماء، ومن الأدوات المثبقة منها^(١).

فإن الإنسان لو حاول منذ بداية بحثه - في هذه القضية - تقنين المصدر السماوي له، بتعاليمه الإلهية، ورسله النبوية، وكتبه السماوية، وغيرها؛ لما وقع الاختلاف بين تلك المناهج؛ (لأن كلام الله سبحانه، وكلام نبيه وأهل بيته عليه وإيهاً يجمعهم)^(٢). ولكنه حينما تجرأ على تفسير الوجود بمعزل عن وحي الرسالات السماوية، واعتمد على جموح نفسه البشرية في ذلك، فتح لنا باباً من أبواب الاجتهاد على مصراعيه في ساحة الفكر البشري، واختلفت عندها مشارب ومطاعم الخائضين فيه، واختلفت اعتقاداتهم أيضاً؛ لأنهم اعتمدوا على ما (يخطر على خواطرهم، من غير أمرٍ جامعٍ ترجع تلك الخواطر إليه، بل كل واحد منفرد عن غيره)^(٣).

ومطاوي هذا الأمر لم تحدث فقط مع الإنسان الذي عاش في الحضارات السابقة؛ بل حدثت حتى مع الإنسان الذي عاش في وسط الحضارة الإسلامية، فقد سارت بعض قوافلها الفكرية على طريق مشابه لطريق السابقين لها؛ وهو محاولة إعطاء تفسيراً للرؤية الكونية بمعزل عن

(١) الهدف السامي للحياة الإنسانية - الشهيد مرتضى مطهري: ص ١٣.

(٢) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ١٨٨.

(٣) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ١٨٨.

المصدر الأساسي للإسلام، النقل والعقل المستنير بنوره؛ فانقسمت مشارب علمائها مع مرور الزمن إلى عدة طرق أو مناهج، أهمها:

١ - منهج مدرسة علماء الكلام

لقد حملت مدرسة علماء الكلام^(١) التي أسسها الرسول ﷺ وأهل بيته ﷺ البذرة الأولى للمعارف الإلهية، وكان لها الأثر البالغ في جلي الحكمة الإسلامية بالذات، والتصدي لأفكار المذاهب الفكرية التي نشرتها وأيدتها الساحة السياسية آنذاك^(٢).

وفي بداية الأمر، كان غاية علمائها هو البحث عن الرؤية الكونية ضمن إطار ظواهر النقل واليقينيات العقلية؛ لتبين أمور العقيدة في الشريعة الإسلامية، والذب عنها؛ ولكن مسارها (قد تغير بعد الطوسي بشكل كامل، واتخذ طابعاً فلسفياً)^(٣)، فلم يتورع علماءها فيما بعد من الأكل من مائدة المشرب الذي كانوا يناضلونه بضراوة شديدة، وهو مشرب الفلاسفة.

فشب منهجهم، واشتد عظمه من لحم النظريات الفلسفية، حينما آمن علمائه بالبراهين والأقيسة المنطقية، والمسلمات العقلية، التي اعتبرها الفلاسفة بمثابة المقدسات التي لا يمكن تجاوزها في طي مراحل البحث والاستدلال؛ فشت معظمهم مع مرور الزمن عن المصدر الأصيل الذي

(١) علم الكلام: (هو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه). [شرح الواقف - الأبيجي:

ج ١ ص ٢٣١.]

(٢) خلاصة علم الكلام - الشيخ عبدالهادي الفضلي: ص ٩.

(٣) مدخل إلى العلوم الإسلامية - الشهيد مطهري: ص ٥٠.

كانوا يستقون منه معارفهم ، وتحول منهجهم من صورته الحكيمة إلى صورة الجدل في إثبات القضايا ، ومنه سميت حكمتهم (بالحكمة الجدلية)^(١).

وأسلوب الجدل وإن أُخذ بحقيقته الكاملة ؛ فإن نتائجه لا يمكنها الوصول إلى المعرفة الإلهية الحقّة ؛ بل إن جلّ غايته هو إفحام الخصم عادة ؛ لأن (ما يكون مُدركاً ومتحصلاً بدليل المجادلة ، لا ينفك عن الإشارة العقلية أو الحسية ، وكل ذلك مستلزم للحصر والإحاطة ، وكلُّ شيء من ذلك غير جائز في معرفة الذي لا تدركه الأبصار ، ولا تحويه خواطر الأفكار)^(٢).

وقد تنبأ أهل البيت عليهم السلام بهذا التحول في مسار هذا المنهج ؛ فكانوا يوصون أصحابهم بالتمسك بالروافد الأصلية فيه ، ونبذ كل ما من شأنه صرفهم عن غايته ، كما في حديث يونس بن يعقوب - الذي تقدم ذكره سابقاً - ؛ فإنه قد اشتمل الحث على تعلم علم الكلام ، جاء في قوله عليه السلام : «وددت أنك يا يونس كنت تحسن الكلام»^(٣) ، وعلى بيان الروافد الأصلية فيه ، التي جاءت في رده عليه السلام على يونس حينما قال له : جعلت فداك ، سمعتك تنهى عن الكلام وتقول : ويل لأهل الكلام ، يقولون هذا ينقاد وهذا لا ينقاد ، وهذا ينساق وهذا لا ينساق ، وهذا نعقله وهذا لا نعقله ، فقال له عليه السلام : «إنما قلت ويل لهم إذا تركوا قولي وصاروا إلى خلافه»^(٤).

(١) مدخل إلى العلوم الإسلامية - الشهيد مطهري : ص ٤٩

(٢) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ١٩٨ .

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٢٣ ب ١ ، الاضطرار إلى الحجة ... ص ٩ ح ١٢ .

(٤) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٢٣ ب ١ ، الاضطرار إلى الحجة ... ص ٩ ح ١٢ .

فـذم ﷺ الكـلام ، أو الجـدل ، أو المـحاجة التي قال فيها ﷺ : ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَفِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِّنْ مَّحِيصٍ﴾^(١) ، وقال : ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَفِي آيَاتِ اللَّهِ بغيرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ بَهْرٌ مَّقْتَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَبٌ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾^(٢) ، وقال : ﴿وَالَّذِينَ يُجَادِلُونَفِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا لَمْ تُحْيَبْ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾^(٣) .

وأمر ﷺ بالكلام أو المحاجة المأخوذة منهم وعنهم ﷺ ، كما في قوله ﷺ : «حاجوا الناس بكلامي ، فإن حجوكم فأنا المحجوج»^(٤) ، وكما في قوله ﷺ : ﴿أَلَمْ تَرَ لِيَ الَّذِي حَلَجَّ إِبرَاهِيمَفِي رَبِّهِ﴾^(٥) ، فقال النبي إبراهيم ﷺ لذلك الكافر : ﴿بِئْسَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾^(٦) ، فقال له الكافر : ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾^(٧) ، فقال له ﷺ : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتْلِي بِالسَّمْسِ مِنْ الشَّرْقِ فَلَئِنْ هَرَامِنَ المَغْرِبِ﴾^(٨) ، ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾^(٩) ، وانهزم بأسلوب الحكمة الذي استخدمه نبي الله إبراهيم ﷺ معه .

(١) سورة الشورى - الآية : (٣٥) .

(٢) سورة غافر - الآية : (٣٥) .

(٣) سورة الشورى - الآية : (١٦) .

(٤) تصحيح اعتقادات الإمامية - الشيخ المفيد : ص ٧١ .

(٥) سورة الشورى - الآية : (١٦) .

(٦) سورة الأنعام - الآية : (٨٣) .

(٧) سورة الأنعام - الآية : (٨٣) .

(٨) سورة الأنعام - الآية : (٨٣) .

(٩) سورة الأنعام - الآية : (٨٣) .

ومن هنا جاءت بعض الآيات والروايات في مقام الحث على الكلام، وجاء بعضها الآخر بالنهي عنه؛ خصوصاً في موضع الجدل الباطل. على أي حال؛ سواء كان الإطلاق الذي أطلق على هذه المدرسة مأخوذاً من أشهر موضوع تم تناوله في هذا العلم، وهو كلام الله ﷻ، أو لأن علماء تقيّدوا بوضع عبارة (إن الكلام في...) في مقدمة عناوين مواضيعهم، أو لأنهم أطلقوا على أنفسهم ذلك، مفارقة لعلمهم عن علم الفلسفة^(١)؛ فهو إطلاق أخذ فيه أبعاد تغير الظروف، والأحوال الزمانية والمكانية لهذا المنهج، واختلاف التوجهات الفكرية لعلمائه، من إمامية ومعتزلة وأشعرية^(٢).

وهو أمرٌ وإن كان يُبين لنا المسار الذي اتخذه علم الكلام خلال التاريخ، ومدى طروا التداخلات والمؤثرات عليه؛ إلا أننا إذا أردنا أن نستعمل كلمة - أو تسمية - تحمل في طياتها طريقتهم الأصلية، التي نشأت على يد الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، والتي كانت غايتها بيان العقيدة الحقّة في أصول الدين، والدفاع عنها؛ فلا يوجد أفضل من إطلاق كلمة (الحكمة الإلهية)^(٣) على أسلوبهم الأصيل.

لأن أمر الوصول إلى العقيدة الحقّة، والدفاع عنها، يحتاج إلى دليل أظهر من دليل المجادلة الذي مني به علماء الكلام في استدلالاتهم؛ وليس

(١) الملل والنحل - الشهرستاني: ج ١ ص ٢٩.

(٢) خلاصة علم الكلام - الشيخ عبد الهادي الفضلي: ص ١٠.

(٣) استخدم الشيخ أحمد الأحساني قدسُ هذا المصطلح في كتبه؛ وسوف نقوم ببيانه لاحقاً.

هناك أظهر من دليل الحكمة، (الذي يوصل من استعمله إلى معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر)^(١)، أما (دليل المجادلة بالتي هي أحسن - على كمال ما ينبغي فيه - لا يوصل إلا إلى عالم الصور)^(٢)؛ لعدم انفكاكه عن الإشارة العقلية والحسية، ولأن أدلته (مستنبطة من إدراكات عقولهم وأفهامهم، ولو عُرف بها الله تعالى؛ لكان مُدركاً بعقولهم وأفهامهم)^(٣)، (ومثل هذا لا تحصل به المعرفة الحقة، وإنما يقطع [به] حجة المخالف)^(٤).

وهذا الدليل - أي: دليل الحكمة -، هو الذي شدد الرسول ﷺ وأهل بيته عليه على استخدامه في إثبات الحقائق الإلهية، وهو الذي تضافرت عليه الآيات والروايات، كما في قوله ﷺ: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُفِيَ خَيْرٌ كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٥)، وقوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ تَذْكُرَ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^(٦)، وقول أبي عبد الله عليه السلام: «الحكمة ضالة المؤمن، فحيثما وجد أحدكم ضالته فليأخذها»^(٧).

(١) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ١٩٩.

(٢) نفس المصدر السابق: ج ١ ص ١٩٨.

(٣) نفس المصدر السابق: ج ١ ص ١٩٧.

(٤) نفس المصدر السابق: ج ١ ص ٢٠٥.

(٥) سورة البقرة - الآية: (٢٦٩).

(٦) سورة لقمان - الآية: (١٢).

(٧) الكافي - الشيخ الكليني: ج ٨ ك/ الروضة رسالة أبي عبدالله عليه السلام إلى جماعة الشيعة ص ١٦٧ ح ١٨٦.

فعلم الكلام وإن اصطنع بإطلاقات عديدة، وهفا مساره بعيداً عن المصدر الذي نشأ عليه، وعن الغاية التي قام لأجلها؛ إلا أن البذرة التي دعا إليها - صلوات الله عليهم - لتبيان الحقائق الإلهية، والدفاع عنها، كان بديل الحكمة، لا بديل المجادلة المبني على البراهين والأقيسة العقلية ولا بغيرها. ومن أهم وأبرز متكلمي الشيعة الإمامية:

- ١- أبو الحسن زرارة بن أعين الشيباني^(١)، له كتاب "الاستطاعة والجبر".
- ٢- علي بن إسماعيل بن ميثم التمار^(٢)، له كتاب "الكامل"، وكتاب "الاستحقاق".
- ٣- هشام بن الحكم^(٣)، له كتاب "الرد على من قال بإمامة المفضول"، وكتاب "اختلاف الناس في الإمامة"، وكتاب في "الجبر والقدر".
- ٤- الفضل بن شاذان الأزدي^(٤)، له كتاب "المسائل الأربعة" في الإمامة، وكتاب "التنبيه في الجبر والتشبيه"، وكتاب "الإيضاح".

(١) اسمه عبد ربه. وزرارة لقبه. ويكنى أبا الحسن. كان من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام. توفي في سنة (١٥٠هـ). لتاريخ

آل زرارة - أبو غالب الزراري: ص ٣٨٣٦

(٢) كان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. ومن أوائل متكلمي الشيعة الإمامية. توفي في سنة (١٧٩هـ). لفهرست ابن النديم - ابن النديم البغدادي: ص ٤٢٢٣.

(٣) هو أبو محمد هشام بن الحكم، مولى بنى شيبان. من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام. كان حاذقاً بصناعة الكلام. توفي بعد نكبة البرامكة سنة (٢٠٠هـ). لفهرست ابن النديم - ابن النديم البغدادي: ص ٤٢٢٤.

(٤) هو أبو محمد الفضل بن شاذان بن الخليل الأزدي النيشابوري. صاحب الإمام الهادي والإمام العسكري عليه السلام. كان فقيهاً متكلماً جليل القدر. توفي في سنة (٢٦٠هـ). لرجال النجاشي - النجاشي: ب/الفاء ص ٣٠٦

٥- الحسن بن موسى النونجتي^(١)، له كتاب "التوحيد وحدوث العـلل"، وكتاب "فرق الشيعة".

٦- أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان المفيد^(٢)، له كتاب "الإيضاح" في الإمامة، وكتاب "النكت الإعتقادية"، وكتاب "شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الإعتقاد".

٧- علي بن الحسين الموسوي الشريف المرتضى^(٣)، له كتاب "الذخيرة في أصول الدين"، وكتاب "الشافي" في الإمامة، وكتاب "إنقاذ البشر في القضاء والقدر".

٨- محمد بن محمد بن الحسن بن نصير الدين الطوسي^(٤)، له كتاب "تجريد الاعتقاد"، وكتاب "قواعد العقائد".

٩- محمد بن أبي جمهور الأحسائي^(٥)، له كتاب "المجـلي"، وكتاب "معين الفكر في شرح الباب الحادي عشر".

-
- (١) كان متكلماً فيلسوفاً عارفاً بالفلك والنجوم. توفي في سنة (٣٠٢هـ). (أعيان الشيعة - الأميني: ج ٢١ ص ٣٤٣).
- (٢) يكنى أبا عبدالله. انتهت إليه رئاسة متكلمي الشيعة في زمانه. كان عالماً في الفقه والكلام. وصدـره له توقيعان من الناحية المقدسة عليه السلام. توفي في سنة (٤١٣هـ) ببغداد. (الكنى والألقاب - الشيخ عباس القمي: ج ٣ ص ١١٩٨).
- (٣) علي بن الحسين الموسوي، الملقب ذا المجدين علم الهدى، ينتهي نسبه من جهة أبيه بالإمام موسى بن جعفر عليه السلام ومن جهة أمه بالإمام زين العابدين عليه السلام. كان أوحد أهل زمانه فضلاً وعلماً وكلاماً وحديثاً. ولد في سنة (٣٥٥هـ)، وتوفي في سنة (٤٣٦هـ). (لروضات الجنات - الخونساري: ج ٤ ص ٢٩٤-٣١٢).
- (٤) كان عالماً بالفلسفة والرصد. وله حرمة وافرة ومنزلة عالية عند هولاء. وله جميع الأوقاف في سائر البلاد في عهده. توفي في سنة (٦٧٢هـ) ببغداد. (الوفاء بالوفيات - الصفدي: ج ١ ص ١٥٠-١٥١).
- (٥) هو الشيخ محمد بن أبي جمهور الأحسائي الهجري. وهو ابن علي بن إبراهيم بن أبي جمهور؛ إلا أنه مشهور بالنسبة إلى جده. كان عالماً عارفاً حكيماً متكلماً محققاً مدققاً. وله مناظرات عديدة مع المخالفين ذكر بعضها القاضي نور الله في "مجالس المؤمنين". توفي في سنة (٩٠١هـ). (الذريعة - آقا بزرگ الطهراني: ج ١ ص ٢٤١).

٢ - منهج المدرسة الفلسفية المشائية

إن منهج هذا المدرسة التي تزعمها ابن سينا^(١)، وشرحها، ووضع أسسها، ولقب على أثر ذلك (بالمعلم الأول في الفلسفة)، لم يكن وليد رحم الإسلام؛ بل هو في الحقيقة مجرد امتداد، أو - التعبير الأدق - هو مجرد ولادة جديدة للفلسفة اليونانية المشائية التي تزعمها الفيلسوف اليوناني أرسطو طاليس^(٢).

ولا بأس هنا في بسط المقام قليلاً، باستطراد بعض الكلمات المجملة عن الفلسفة اليونانية؛ لحشية كونها الأم والمنبع الأصلي لهذا المنهج، فنقول: من الصعب جداً تحديد المعنى الحقيقي للفلسفة، ومعرفة بداية نشأتها بدقة، فما وصل إلينا من معاني عديدة لها، ما هي إلا آراء لعبت فيها التوجهات الفكرية دوراً هاماً في تعدد مدلول مفهومها؛ لدرجة أن فلاسفة اليونان أنفسهم أجمعوا على أن معناها لم يكن محددًا، ولا حتى مضبوطاً عندهم^(٣).

ولكنها بشكل عام، تشير إلى نشاط إنساني يتعلق بممارسة نظرية أو عملية فكرية؛ نشأت في المجتمعات والثقافات البشرية منذ أقدم العصور.

(١) ولد الشيخ أبو علي بن سينا بقريه بخارى في سنة (٣٧٠ هـ). وأشتهر بالفلسفة والطب. ومن أشهر كتبه التي كتبها: القانون في الطب. الإشارات. والشفاء. وكان سياسياً تولى الوزارة في عهد السامانيين حتى لقب بالرئيس. وتوفي في همدان في سنة (٤٢٨ هـ). لتاريخ فلاسفة الإسلام - محمد لطفي جمعة: ص ١٧١.

(٢) هو الفيلسوف الشهير أرسطو اليوناني واضع علم المنطق الأرسطي. ولد بأسطاغيرا في سنة (٣٨٤ ق.م). وكان تلميذاً لأفلاطون الذي أطلق عليه "العقل" لذكائه الخارق. لتاريخ الفلسفة اليونانية - يوسف كرم: ص ١٣٧.

(٣) الفلسفة الإغريقية - د. محمد غلاب: ج ١ ص ٢٦.

فالتفكير الفلسفي كان موجوداً مع الإنسان منذ ظهوره على هذه الأرض ، وقد مارسته الحضارات البشرية ؛ إلا أن أغلب فلسفات تلك الأمم اندثرت - الهندية ، الصينية ، وغيرها - ، وذلك إما لعدم قيامها بتدوين علومها ، أو لعدم وجود المحيط البيئي الخصب لتناقلها^(١).

وبناء على ما ذكر من قِبل المؤرخين ، وما وجد في كتب التاريخ القديمة ، فإن فلسفات تلك الحضارات القديمة قد تم سبكها وممارستها بمعناها العام في بلد اليونان القديم^(٢).

ويؤيد ذلك العلماء الذين اطلعوا على الفلسفة القديمة والحديثة ، حيث أجمعوا على أن مصطلح (الفلسفة) يوناني الأصل ، ويتكون من مقطعين هما : (Philien) ؛ ومعناه : يحب ، و (Sophia) ؛ ومعناه : الحكمة . ولهذا يطلق على الفيلسوف كلمة (Philosopher) ؛ وتعني : الشخص الذي يحب الحكمة ، أو محب للحكمة^(٣).

وبسبب ما مرت به الفلسفة من مراحل مد وجزر في مواضيعها ، انعكس ذلك على تعريفها ، فهو يضيق ويتسع من عصر إلى عصر تبعاً لتصانيف العلوم الفلسفية ، والتوجهات الفكرية .

فمثلاً : حينما كان موضوعها في بداية الأمر يبحث عن العلة الأولى للوجود - أي مصدر هذا الكون ، أو ما يعبر عنه بالمبدأ الأول للأشياء - ،

(١) مبادئ الفلسفة الإسلامية - عبد الجبار الرفاعي : ص ١٨ .

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية - يوسف كرم : ص ١٤ .

(٣) المعجم الفلسفي - د. جميل صليبا : ج ٢ ص ١٦٠ .

عرفها البعض: بأنها العلم الذي يبحث في العلة الأولى للأشياء^(١). وحينما تطور وتوسع البحث الفلسفي كثيراً، ولم يعد موضوعها منحصرًا على البحث في العلة الأولى للوجود، بل شمل جميع العلوم البشرية لاحقاً^(٢)، عرفها البعض: بأنها البحث بوساطة النظر العقلي عن حقائق الأشياء وعن الخير والفضيلة^(٣). ولما (أخذ المسلمون هذه الكلمة من اليونانية، فعربوها، وأعطوها طابعاً شرقياً، واستعملوها في مطلق العلوم العقلية)^(٤)، عرفوها بتعريف ممزوج بدينهم وثقافتهم، فقال الكندي^(٥): بأنها البحث عن العلة الأولى للأشياء، والماهيات المجردة، والله ﷻ هو العلة الأولى^(٦)، وقال ابن سينا: الفلسفة تشمل الطبيعيات، والرياضيات، والإلهيات، فضلاً عن الفلسفة العملية، الأخلاق والسياسة^(٧).

وبالرغم من أن البعض قد اعتبر مصطلح الفلسفة من المصطلحات الدخيلة على الحضارة الإسلامية، وبقي ملتصقاً بالفلسفة اليونانية الغربية؛ إلا أن أمير المؤمنين عليه السلام قد استخدمه.

(١) مبادئ الفلسفة - ١. س. رايبورت. ترجمة/ أحمد أمين: ص ٨.

(٢) أصول الفلسفة - السيد محمد الطباطبائي - تعليق مرتضى مطهري: ج ١ ص ٦٧.

(٣) الفلسفة الإغريقية - د. محمد غلاب: ج ١ ص ١٣٦.

(٤) مدخل إلى العلوم الإسلامية - الشهيد مرتضى المطهري: ص ٥١.

(٥) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي. كان أحد أبناء ملوك العرب. عالماً بالطب والفلسفة والحساب والهندسة

والنجوم. توفي في سنة (٢٥٨هـ). تاريخ فلاسفة الإسلام - محمد لطفي جمعة: ص ٢١.

(٦) إشكالية الفلسفة في الفكر العربي الإسلامي ابن رشد نموذجاً - الدكتور فوزي حامد الهيتي: ص ٣٤.

(٧) نفس المصدر السابق: ص ٣٦.

فقد روي: أن بعض اليهود قد اجتاز به وهو يتكلم مع جماعة، فقال له: يا بن أبي طالب! لو أنك تعلمت الفلسفة لكان يكون منك شأن من الشأن.

فقال عليه السلام: «وما تعني بالفلسفة؟ أليس من اعتدل طباعه صفا مزاجه، ومن صفا مزاجه قوي أثر النفس فيه، ومن قوي أثر النفس فيه سما إلى ما يرتقيه، ومن سما إلى ما يرتقيه فقد تخلق بالأخلاق النفسانية، فقد صار موجوداً بما هو إنسان دون أن يكون موجوداً بما هو حيوان، ومن صار موجوداً بما هو إنسان فقد دخل في الباب الملكي الصوري، وليس له عن هذه الغاية مفر».

فقال اليهودي: الله أكبر يا بن أبي طالب، لقد نطقت الفلسفة جميعها في هذه الكلمات رضي الله عنك^(١).

واستعمال أمير المؤمنين عليه السلام لهذا المصطلح لا يعني وقوفه في صف الفلسفة اليونانية بكل ما تحمله من آراء وأفكار.

كيف؟ وهم عليهم السلام قد نبذوها وحذروا منها.

ولكن يمكن أن يقال: بأن استعماله لها كان في جانب بيان الحثيات الصحيحة فيها؛ أي: بيان المعنى الذي أراده الأنبياء عليهم السلام من الفلسفة أو الحكمة التي ورثها اليونانيون منهم.

(١) الصراط المستقيم - علي بن يونس العاملي: ج ١ ب ٧ / في شيء مما ورد في فضائله عليه السلام ف ١٨ / في أنه عليه السلام أفضل من أولي العزم من الرسل ص ٢١٤.

فقد ورد في كتب اليونان، أن روادها الأوائل قد أخذوا الفلسفة من الأنبياء ﷺ، خصوصاً من نبي الله إدريس عليه السلام الذي أطلقوا عليه في كتبهم بهرمس الهرامسة؛ أي: حكيم الحكماء^(١).

وقد صرح بذلك بعض فلاسفة الإسلام، كالملا صدرا الشيرازي قدس سره^(٢) الذي قال في كتابه: (وإلى هذا يؤول كلام أفلاطون وفيثاغورس، وغيرهما من الأولين الذين كانت كلماتهم مرموزة، وحكمتهم مقتبسة من مشكاة نبوة الأنبياء ﷺ)^(٣).

وأيده في ذلك - أي: في أن فلاسفة اليونان قد أخذوا الحكمة من الأنبياء ﷺ - الحكيم الإلهي الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره^(٤) في شرحه لكتاب العرشية للملا صدرا؛ ولكنه لم يؤيد صحة جميع ما نقلوه عن الأنبياء ﷺ، أو نقله أتباعهم عنهم فيما بعد؛ لوقوع التغيير فيه.

قال قدس سره: (وأما كون كلامهم [أي: كلام فلاسفة اليونان] مقتبساً من مشكاة النبوة فصحيح؛ ولكنه وقع فيه التغيير من وجوه ثلاثة:

الأول: أن أحدهم [أي: فلاسفة اليونان] إذا قرأ على نبي من الأنبياء ﷺ، انفرد وأخذ يفرع فروعاً، فقد يقع في الغلط في تلك الفروع، لأنه ليس بمعصوم، ولا مسدّد من الله، كالنبي ﷺ.

(١) الفلسفة الإسلامية - هنري كوربان: ص ١٩٧-١٩٨.

(٢) سوف تأتي ترجمته لاحقاً.

(٣) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ١٥٨.

(٤) سوف تأتي ترجمته مفصلاً لاحقاً.

الثاني: أن كتبهم كتبوها [أي: فلاسفة اليونان] باللغة السريانية وغيرها، والمعربون لها [أي: فلاسفة الإسلام]، منهم من يفسر كل كلمة بمعناها العربي، لا كل كلام، وتكون الترجمة مخالفة للأصل؛ كما لو فسر في اللغة الفارسية قسم بخور، فقال: قسم يعني يمين، وبخور يعني كل، فإن المعنى يبطل؛ لأن الترجمة كانت مخالفة للأصل، إذ الأصل اختلف، والترجمة كل اليمين. ولو فسر الكلام بكلام لصح المعنى، فمن هذا ومثله وقع الغلط والخطأ [في الكتب التي تُرجمت من اليونانية إلى العربية].

الثالث: أن الحكماء في غالب أقوالهم، يستعملون الإشارات والرموز، واللوازم البعيدة، ولا يكاد يفهمها إلا من كان طبيعته من نحو طباعهم، وخاض في علومهم، وربما يكون المترجم لا يفهم مرادهم، فيكتب بخلاف مرادهم، كما قالوا: بأن العقل مجرد، ففهم كثير منهم، ومنهم المصنف [الملا صدرا الشيرازي] أن العقل لا مادة له أصلاً، وأنه بسيط الحقيقة، فهو كل الأشياء، كما ذكره في أول كتابه المشاعر. ومرادهم أن العقل مجرد عن المادة العنصرية، والمدة الزمانية، لا أنه مجرد عن مطلق المادة؛ والدليل على أن هذا مرادهم، أنهم قالوا: (أول ما خلق الله العقل)، فدل كلامهم هذا على أن العقل ممكن، وقالوا: كل ممكن زوج تركيبى، فإذا كان مركباً كان غير بسيط، وإنما مرادهم بالتجرد ما قلنا، فمن مثل هذا يكثر الغلط، بل قد يحصل الغلط من تحريف الكتاب في الأصل، أو الترجمة، ولأجل ذلك ومثله قد يخالف كلامهم قول الأنبياء (عليه السلام) ^(١).

على أي حال، الشائع في أوساط البحث العلمي حينما تطلق كلمة (الفلسفة) فإن المتبادر إلى الذهن هو الفلسفة اليونانية، وحينما تطلق كلمة (الفيلسوف) فإن المتبادر هو ذلك العالم في الفلسفة اليونانية. وأما محاولة البعض إصاق هذه المصطلح - الفلسفة - بكلمة "إسلامية" للدلالة على المصدرية السماوية؛ فهو تعبير غير علمي، وليس بدقيق أيضاً؛ (لأن الإسلام دين الله القيم، الذي أكمله الرب بالقرآن الحكيم، ولا تصبح الفلسفة التي تبناها شخص يدعي الإسلام جزءاً من الإسلام)^(١).

ومن أشهر علماء هذه المدرسة:

١- ابن سينا^(٢).

٢- أبو يوسف الكندي^(٣).

٣- الفارابي^(٤).

٤- ابن رشد^(٥).

وعلى الرغم من أن كلا المدرستين - مدرسة علم الكلام والمدرسة

(١) العرفان الإسلامي - السيد محمد تقي المدرسي: ص ٧٧.

(٢) تقدم ترجمته سابقاً.

(٣) تقدم ترجمته سابقاً.

(٤) هو أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان. من فاراب. وهي مدينة من بلاد الترك في أرض خراسان. ولد في سنة (٢٥٩هـ). وتوفي في سنة (٣٣٩هـ). اتاريخ الفلسفة في الإسلام - دي بور - تعريب / محمد أبو ريده: ص ١٩٩.

(٥) هو محمد بن أحمد بن محمد بن رشد. ويكنى أبا الوليد. ولد في سنة (٥٢٠هـ) في الأندلس. وكان مهوساً بمنطق أرسطو. مبغضاً لعلم الكلام. توفي في سنة (٥٩٥هـ) في مراكش. اتاريخ فلاسفة الإسلام

- محمد لظفي جمعة: ص ١٣٣-١٣٩.

المشائية في الإسلام - كانوا يبحثون في عمق فكرة واحدة، وهي تفسير الرؤية الكونية؛ إلا أن هناك اختلافاً واسعاً في أدوات التنظير التي يستخدمونها لتحصيل معارفهم، وفي الغاية التي يصبو إليها كل منهم، وإن اتفقوا في منهجية الاستدلال والنظرة العقلية بشكل عام؛ إلا أن المتكلمين يبحثون في رؤيتهم الكونية عن طريق الأدلة العقلية المقهورة والتابعة للنقل، بالإضافة إلى اعتبار ظاهر النقل مصدراً لهم، ويسمّون علمهم هذا بعلم الكلام، أو علم أصول الدين، أو علم المعارف الإلهية^(١)؛ أما الفلاسفة فيبحثون عن رؤيتهم الكونية باستخدام الأدلة العقلية المحضة - فقط - من غير التقييد بالدين؛ فهم يطلقون لجام عقولهم، وما تتوصل إليه تلك العقول من براهين عقلية يُعدّ دليلاً من أدلتهم، ويسمى علمهم هذا بالإلهيات، التي تارة تبحث عن الموجود بما هو موجود، ويطلقون عليها "الإلهيات بالمعنى الأعم"، وتارة يقتصر بحثها على المبدأ الأول للأشياء، ويطلقون عليها "الإلهيات بالمعنى الأخص"^(٢). فغاية المتكلم تختلف عن غاية الفيلسوف في تفسير الرؤية الكونية، فالمتكلم جُلُّ غايته إثبات أصول الدين، والمساهمة في جلي حقائقها، ورفع الشبهات عنها؛ أي: أن هدفه هو الدفاع عن حياض العقيدة الإسلامية، أما الفيلسوف فغايته البحث عن الموجود بما هو موجود، بغض النظر عن وضع قيد الدين أو غيره في عين الاعتبار^(٣).

(١) الفلسفة - السيد كمال الحيدري: ص ٦٠-٦٢.

(٢) انظر / على سبيل المثال تقسيم كتاب كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للمحقق للعلامة الحلي.

(٣) الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية - الشيخ فاضل الصغار: ج ١ ص ٤٣.

ويمكننا أن نقرر الفرق بين المدرستين، بالتالي :

١- أن علم الكلام وليد رحم الوحي ؛ ولكنه شتَّ قليلاً في أسلوبه ، وحتى في غايته فيما بعد. أما الفلسفة المشائية الإسلامية فهي مجرد ولادة جديدة للفلسفة اليونانية المشائية.

٢- أن المتكلم ينطلق من الدين لإثبات رؤيته الكونية من أجل جلِّي حقائقه ، والدفاع عنها. أما الفيلسوف فينطلق من العقل من دون لجمه بلجام معين ؛ أي : أن المتكلم مؤمن يريد أن يتعقل ، أما الفيلسوف فهو يتعقل لكي يؤمن^(١).

٣- أن غاية المتكلم هي الدفاع عن حياض العقيدة ، وإثبات أصول الدين. أما غاية الفيلسوف هي البحث عن الموجود بما هو موجود.

٤- أن الأدوات التي يستخدمها المتكلم في بحثه هي الأدلة العقلية والنقلية. أما الأدوات التي يستخدمها الفيلسوف فهي البراهين العقلية فقط ، فإن طابقت نتائجها الأدلة النقلية كان بها ؛ وإلا فأولها بما ينسجم مع براهينه.

٥- أن طابع استدلالات علماء الكلام هو الجدل ، فسميت حكمتهم بالحكمة الجدلية ، وطابع استدلالات الفلاسفة هو البرهان ، فسميت حكمتهم بالحكمة البرهانية^(٢).

(١) علم الكلام ومدارسه - د. فيصل بدير عون : ص ٤٨.

(٢) الفلسفة - السيد كمال الحيدري : ص ٦٤.

٣- منهج المدرسة السلوكية الصوفية

إنَّ نزعة الكمال الفطرية لدى الإنسان بالانجذاب النفس نحو مبدئها لحاجتها إلى المدد في كل آن، ولطلبها التكامل والرقى، هو أمرٌ قد جُبِلَ عليه جميع البشر منذ تكوّن الخليقة، كما قال الله ﷻ: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ لِّمَّصِّ لِحُوتٍ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالْمَسِيئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(١). فهي الغريزية التي فطر الله ﷻ الجميع عليها بدون استثناء، على الرغم من اختلاف أطيافهم وعكوساتهم^(٢)، كما قال الله ﷻ: ﴿فَطَرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّفْسَ عَلَيْهَا تَبَدُّلًا لِخَلْقِ اللَّهِ﴾^(٣).

ويتجلّى هذا الانجذاب الفطري لدى الإنسان - وبشكل ملحوظ - أثناء عيشه في أصعب الظروف والمحن؛ أي: حين لا يجد سبيلاً للخلاص مما هو فيه إلا بالالتجاء والرجوع إلى جانب النور الذي هو من ربه، والبعد عن جانب إسراف النفس بالمعاصي والذنوب الذي هو من ظلم نفسه^(٤)، كما قال ﷻ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٥)، وكما ورد في دعاء كميل: «وقد أتيتك يا إلهي بعد تقصيري وإسرافي على نفسي، معتذراً نادماً، منكسراً مستقيلاً،

(١) سورة الأعراف - الآية: (١٦٨).

(٢) رسائل الشيخ - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ١٧٤.

(٣) سورة الروم - الآية: (٣٠).

(٤) رسائل الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ص ٤٩.

(٥) سورة الروم - الآية: (٤١).

مستغفراً منياً، مقراً مدعناً معترفاً، لا أجد مفراً مما كان مني، ولا مفزَعاً أتوجه إليه في أمري، غير قبولك عذري، وإدخالك إياي في سعة رحمتك»^(١).

وبغض النظر عن مدى تجلي هذا الانجذاب لدى الإنسان في الظروف العاتية، فإنه متى ما علم بأن هناك إمكانية في بلوغ مرتبة الكمال الإنسانية، تمنى بلوغها واندفع نحوها.

وبطبيعة الحال، فإن الإنسان وحده لا يمكنه تشخيص مصاديق الكمال من دون الاستعانة بمدد الوحي، فقد يخطئ في تحديد المصدق، وقد يشتهه عليه تمييز المسار الصحيح المؤدي لها، كما حدث مع عباد الأوثان الذين قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(٢)، فهم طلبوا القرب؛ ولكنهم اتخذوا المسار الخاطئ، فبعث الله ﷺ الرسل والأنبياء ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾^(٣) من أجل ذلك.

وليس هناك طريقاً يضمن تكامل الإنسان في قربه إلى الله ﷻ، أصح وأقوم من طريق ﴿أَنْ اعْبُدُونِي﴾^(٤)؛ لأنه طرّطُ مُسْتَقِيمٍ^(٥)، يوصل من اتبعه إلى الغاية المرجوة من دون وجود أي مدخلية للشبهات أو الظنون؛ لأن

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٦ ب ٤ / من كتاب نهج السعادة / دعاؤه ﷺ لكميل بن زياد ص ١٤٨ ح ٣٠.

(٢) سورة الزمر - الآية: (٣).

(٣) سورة النساء - الآية: (١٦٥).

(٤) سورة يس - الآية: (٦١).

(٥) سورة يس - الآية: (٦١).

هذا هو ﴿حَقُّ الْيَقِينِ﴾^(١). أما من ابتغى طريقاً ﴿غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقَلِّبَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْأَحْرَةِ مِنَ الْخُلْدِ﴾^(٢).

وعلى أي حال، هذه ترجمة عامة مستطردة لمفهوم القرب الإلهي، أو مفهوم السير نحو المبدأ صعوداً، الذي يتم تناوله في كتب السير والسلوك. فهو إذاً أمر فطري ينزع إليه جميع البشر، ويختلف بينهم باختلاف موادهم، واستعداد قابليتهم، وغايتهم، وغيرها. فمن كانت غايته خالصة لله ﷻ، واقتربت بطريق محمد وآله ﷺ، أته الألفاظ الإلهية على قدر جهده، وطاقته، وإخلاصه في ذلك القرب؛ ومن كانت غايته غير الله ﷻ، وطريقه غير طريقهم ﷺ، فلن يكون عمله إلا ﴿هَبَاءً مَّثُوراً﴾^(٣).

والطريق المنطوي على التعاليم الإسلامية المحمدية، في الغاية والمقدمة والنتيجة يسمى (بالعرفان)^(٤)، وهو منهج العرفاء الإلهيين.

أما الطريق الثاني المبتعد عن تعاليم الإسلام، والمخالف لما جاء به الشرع ﷻ فيسمى (بالتصوف)، الذي هو منهج المدرسة السلوكية

(١) سورة الواقعة - الآية: (٩٥).

(٢) سورة آل عمران - الآية: (٨٥).

(٣) سورة الفرقان - الآية: (٢٣).

(٤) نقصد بالعرفان: العرفان الإسلامي الحمدي الأصل. الذي جاء به أهل البيت ﷺ. لا ما هو شائع تحت مصطلح (العرفان) الآن في الأوساط الفكرية والاجتماعية. فهذا المصطلح قد أخذ فيه حدان: حد مشروع. وحد باطل. وما تراه متداولاً الآن قد اختلط فيه الغث والسمين. وابتعدت أغلب أجدياته عن الطريق الذي دعا إليه - صلوات الله عليهم أجمعين.. والمصطلح المناسب لهذا المنهج هو مصطلح (الحكمة الإلهية) أو (الحكمة الأهل بيتيه)؛ وعلماءه هم (الحكماء)؛ وتقيدنا بمصطلح العرفان؛ لأنه الشائع عند عامة الناس. فتأمل.

الصوفية^(١)، وهو المحط والمجس الرئيس لغايتنا؛ لأن نتيجة التحقيق فيه سوف نخدم غرضنا الأول، وهو الوقوف على حقيقة العرفان عند الشيخ الأوحـد ﷺ، الذي استخدمه في تفسير الرؤية الكونية.

حيث إنه من خلال استعراض هذا المنهج سيكون لدينا معرفة شمولية لمصداق التصوف، وسيظهر لنا كيف أنه مـباين تماماً عن مصداق العرفان الإسلامي الذي استخدمه الشيخ الأوحـد ﷺ، واستخدمه غيره من العرفاء الأتقياء.

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا، قبل الخوض في باقي المناهج الفكرية هو:

أن التخصصية المنهجية قد اضمحلت كثيراً بعد القرون الأولى، فلا يبدو وجود منهج كلامي أو فلسفي أو صوفي كما هو معهود في السابق؛ بل اختلطت أدوات البحث المعرفي، وتداخلت فيما بينها، كما سنرى أثناء ذكر باقي المناهج الأخرى.

وقد أدى هذا الخلط أو التشابه في بعض الأدوات المعرفية المستخدمة إلى خلق توهم لدى بعض العلماء والباحثين والمؤرخين بفساد البعض منها، كما حدث مع منهج المدرسة التكاملية، التي حينما اعتبرت أداة العرفان - أو دليل الحكمة بصورة أدق - أداة من أدواتها المعرفية، عدّها البعض فرعاً من

(١) سوف نقوم بتفصيل منهج هذه المدرسة بصورة وافية في المبحث القادم. واستطردانا له هنا؛ ما هو إلا من أجل إتمام المطلب في المناهج الفكرية. وإعطاء صورة مختصرة له من جانب معين.

فروع المنهج الصوفي ؛ لتشابه مفهوم الأداة ، فأذكروها ، وانها لوا عليها بالذم والتجريح في جميع ما تقدمه من معارف ؛ سواء كانت علمية أو عملية ، أخلاقية أو إلهية أو غيرها .

والحقيقة أن هناك بونا شاسعا بينهما ، يحتاج إلى باحث دقيق النظر ، ولديه تجربة طويلة مع مفاهيمهم وقواعدهم وأدواتهم المعرفية لاكتشافه ، ويكفي ظهور الاختلاف الشاسع بينهما في كيفية توجيه الأداة في حين الاستعمال ، وفي الغاية والغرض ، وصحة المقدمة المبني عليها ، وفي مدى تطابق النتيجة المعرفية النهائية مع الأسس الإسلامية المحمدية الأصيلة ، كما سيتضح لنا لاحقا .

٤- منهج المدرسة الإشراقية

كما أن ابن سينا يعتبر زعيم منهج المدرسة الفلسفية المشائية في الإسلام ، كذلك يعتبر شهاب الدين السهروردي زعيم منهج المدرسة الإشراقية فيها ، وكما يعدّ المشاؤون أنفسهم أتباعاً لأرسطو ، كذلك يعدّ الإشراقيون أنفسهم أتباعاً لأفلاطون اليوناني^(١) .

والفرق الكبير بين المدرستين واقعاً في أدوات التنظير المعرفية ، وفي الغاية ؛ فالمشاؤون يكتفون بالتفكير العقلي المحض في الوصول إلى المعرفة ، وغايتهم الكشف عنها فقط ، أما الإشراقيون فيضمون إلى أداة التفكير العقلي أداة المعرفة القلبية السلوكية النفسية ، المستندة على الشهود الباطني

الذوقي، ولذا سميت حكمتهم (بالحكمة الذوقية)، وغايتهم تتعدى الكشف عن الحقيقة لأجل معرفتها؛ بل تتبغى الوصول إليها^(١).

فالمنهج الإشراقي يلتقي مع المنهج المشائي في أداة المعرفة العقلية، ويمتاز عنه بأداة المعرفة الذوقية، وهو يلتقي مع المنهج الصوفي فيها، ويمتاز عنه بأداة المعرفة العقلية.

وما يهمنا في مبحثنا، هو التعريف المجمل بهذا المنهج، مع الأخذ بعين الخصوص ما يتعلق بأداة المعرفة الذوقية فيه، فنقول:

بأن أبا الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك^(٢)، الملقب من قبل مريديه "بشهاب الدين السهروردي"، و"شيخ الإشراق"، و"المؤيد بالملكوت"، قد ولد في سنة (٥٤٥هـ) في الشمال الغربي من إيران، في منطقة ميديا القديمة ببلدة سهرورد^(٣).

وقد لقبه من رماه بالكفر والزندقة "بالمقتول"؛ لئلا يُعتبر شهيداً، وللتمييز بينه وبين صوفيين آخرين هما: عبد القاهر أبو النجيب السهروردي، مؤسس الطريقة السهروردية، الذي كان تلميذاً لأحمد الغزالي، الأخ الأصغر للإمام الغزالي، وهو صاحب كتاب "آداب المريدين"، الذي يعتبر من أشهر الكتب الصوفية في التربية^(٤)، وابن أخيه

(١) الفلسفة - السيد كمال الحيدري: ج ١ ص ٨٣.

(٢) الأعلام - الزركلي: ج ٨ ص ١٤٠.

(٣) وفيات الأعيان - ابن خلكان: ج ٦ ص ٢٦٨.

(٤) الأعلام - خير الدين الزركلي: ج ٤ ص ٤٩.

شهاب الدين عمر السهروردي، صاحب كتاب "عوارف العوارف في التصوف"، الذي أصبح شيخ الطائفة الصوفية في عهد الناصر العباسي^(١). وقد اختلف المؤرخون في سبب وطريقة مقتله، فمن قائل: إنه ذكر في مصنفاته أن الله قادرٌ على أن يخلق نبياً؛ لأنه لا حد لقدرته، في حين أن من أجمع على قتله تمسك بالنص الديني الذي أشار إلى أن النبي محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء المرسلين^(٢)، ومن قائل: إنه تناول مشكلة الإمامة بصورة فلسفية؛ مما أدى إلى إغضاب فقهاء السنة الذين كانوا ينظرون لهذا المسألة نظرة إثارة للآراء الباطنية^(٣).

وأما طريقة مقتله: فقيل: مات جوعاً، وقيل: قتل بالسيف، وقيل: أحرق، والشائع - في أغلب كتب التاريخ - أنه خنق ثم صلب في حلب سنة (٥٨٧هـ)، وهو في عمر لم يتجاوز الثامنة والثلاثين عاماً، على يد الملك الظاهر الأيوبي بأمر من أبيه صلاح الدين الأيوبي^(٤).

ويعتبر شهاب الدين السهروردي الممثل الحقيقي لفلسفة الإشراق في الإسلام؛ لمحاولته المزاجية بين المنهج العقلي الذي كان عند الفلاسفة، وبين المنهج الذوقي الصوفي عند الصوفية.

وعلى الرغم من أنه يُرجع إسناد مصدرية مدرسته إلى حكماء الفرس

(١) الكنى والألقاب - الشيخ عباس القمي: ج ٢ ص ٣٢٦.

(٢) أصول الفلسفة الإشراقية - د. محمد علي أبو ريان: ص ١٨-١٩.

(٣) مجلة الثقافة - نظرية الإمامة بين الباطنية والسهروردي - د. محمد علي أبو ريان: ع (٧٠٥) ٣٠ يونيو سنة ١٩٥٢.

(٤) عيون الأنبياء في طبقات الأطباء - السعدي: ج ٢ ص ١٦٧.

واليونان ومصر وبابل والهند، ويعتبر أفلاطون رئيسها؛ ربما لتحضى بالقبول والتأييد، ولتعزيز وتقوية آرائه، كما يقول: (وكان في الفرس، أمة يهدون بالحق وبه كانوا يقولون، حكماء فضلاء، قد أحيينا حكمتهم النورية الشريفة التي يشهد بها ذوق أفلاطون ومن قبله، في الكتاب المسمى بحكمة الإشراف، وما سبقت إلى مثله)^(١)؛ إلا أنه لم يثبت بدليل - ما أدعاه - من أن أفلاطون كان ذوقى المعرفة، وحتى فلاسفة الإسلام السابقون له، لم يثبتوا ذلك في كتبهم أيضاً؛ على الرغم من أن أفلاطون أخذ مكانة لا تقل عن مكانة نظيره أرسطو في ساحة الفكر الإسلامي.

وعلى أي حال، سواء أسند أم لم يسند حكمته إلى تلك الأصول؛ فالأفكار الزرداشتية واليونانية والهندية وغيرها طافحة في كتبه، وهي كافية للدلالة على مصدرية الأفكار القائم عليها منهجه.

بل يكفي تردد أسماء الوجوه الأساسية التي تتحكم في أساسات منهجه: كاغاناذيون، وهرمس، وأنباذقلس، وفيثاغورس، وسقراط، وأفلاطون، وجامسف، وفرشاوشر، ويزرجمهر، وغيرهم^(٢).

ولو أردنا مفهوماً أدق لوصف الحكمة الإشرافية؛ فليس هناك أفضل من وصف قطب الدين الشيرازي^(٣)، الذي شرحها وقال فيها:

(١) حكمة الإشراف - السهروردي: المقدمة ص ١٠.

(٢) حكمة الإشراف - السهروردي: المقدمة ص ١١.

(٣) هو محمود بن مسعود بن مصلح الكازروني الفارسي الشافعي. تلميذ الخواجة نصير الدين الطوسي. توفي بتبريز في

(إنها الحكمة المؤسسة على الإشراق الذي هو الكشف، أو حكمة المشاركة الذين هم أهل فارس، وهو أيضاً يرجع إلى الأول؛ لأن حكمتهم كشفية ذوقية، فنسبت إلى الإشراق الذي هو ظهور الأنوار العقلية ولمعانها وفيضانها بالإشراقات على النفوس عند تجردها، وكان اعتماد الفارسيين في الحكمة على الذوق والكشف، وكذا قدماء يونان؛ خلا أرسطو وشيعته، فإن اعتمادهم كان على البحث والبرهان لا غير)^(١).

وهذا النص يشير إلى:

١- أن الإشراق هو مصدر الحكمة الإشراقية.

٢- أن حكمتهم ما هي إلا مجرد ولادة أو تنمة لحكمة الفرس واليونان.

٣- تميزهم عن المنهج المشائي الذي تزعمه أرسطو بالمعرفة الذوقية. ويمكننا القول:

بأن عملية المزاجية التي قام بها، ما هي إلا محاولة من عدة محاولات تمت على يد الفلاسفة المسلمين قبله؛ فعلى سبيل المثال: حاول معظمهم مزاجية الدين بالفلسفة^(٢)، وحاول البعض منهم مزاجية أفكار فلاسفة اليونان والتقريب بينها، كما فعل الفارابي في كتابه "الجمع بين رأي الحكيمين" أرسطو وأفلاطون^(٣)، وكما حاول ابن سينا قبل السهروردي إحياء الفلسفة الإشراقية التي كانت لدى حكماء فارس قديماً، وضمها في

(١) شرح حكمة الإشراق - قطب الدين الشيرازي: المقدمة ص ٦.

(٢) بين الدين والفلسفة - د. محمد يوسف موسى: ص ٥٣.

(٣) الإسلام وإيران - مرتضى مطهري: ص ٣٥٥.

ضمن مذهبه في كتابه " منطق المشركين" ^(١)؛ غير أنه كان يجهل الأصل الشرقي نفسه - أي: يجهل لب وأسس حكمة الفرس -، فهو لم يعرف الأصل الذي نشأ لدى حكماء فارس القديمة، فسبقه السهروردي في ذلك لأصوله الفارسية، وتضلعه بحكمتهم القديمة، ولأنه - أي: ابن سينا - تناول المسألة بصورة مجتلبة وصفية من الخارج، ولم يعمد إلى استخدامها كدعامة أساسية في مذهبه. أما السهروردي فجعل قاعدة الإشراق والمشاهدة الركيزة الأساسية في مذهبه، بحيث يمكن القول - بمجرد دراسة منهجه - أن طابعه هو التصوف الإشراقي.

وأما عقلنة التجربة الصوفية التي قام بها، فهي مجرد تركيز لأساساته، كما حدث تماماً في المنهج الصوفي، وكيف أنه تحول من ظاهرة سلوكية إلى ظاهرة علمية لها قواعدها واستدلالاتها بعد حقبة من الظهور ^(٢).

وحينما نريد وصف جنبته الاستدلالية العقلية؛ فإنه ليس من الدقيق وصف مبدئه العقلي الذي ناشد به، وجعله مقدمة لفهم حكمته، وصرح بأهميته كما في قوله: (ومن لم يتمهر في العلوم البحثية، فلا سبيل له إلى كتابي الموسوم بحكمة الإشراق) ^(٣)، بالمنهج العقلي المحض الذي تناوله الفلاسفة؛ لأن المخالفة في المباني والمقاصد الاستدلالية واضح بين - كما سيأتي في المفارقة بينهما في نظرية العقول العشرة، التي تعتبر من أهم

(١) منطق المشركين - ابن سينا: ص ٢-٣.

(٢) العرفان الشيعي - السيد كمال الحيدري: ص ٧١.

(٣) شرح حكمة الإشراق - قطب الدين الشيرازي: ص ٢٢.

النظريات عند الفلاسفة .. وكذلك تطرقه لنقض نظرياتهم في بداية كتابة
حكمة الإشراق^(١)، وفي غيره، لا يوحى بجعل مبادئهم أرضية خصبة في
منهجه، كما فعل مع حكماء الفرس - وغيرهم - حينما مدحهم وأثنى
عليهم، وصرح بدورهم في ترسيخ أرضية منهجه.

والأصح هو القول:

بأنه استخدم المبادئ النظرية لصالح ترسيخ نظرياته الإشرافية
الصوفية، وإن اصطغت بالصبغة الاستدلالية البرهانية؛ إلا أنها ليست
الصبغة التي قصدتها وندد بها الفلاسفة؛ لأن الاستدلال البرهاني أداة كلية،
وله جنباته ومرتكزاته المأخوذة بين طياته. فهناك الاستدلال البرهاني
القرآني، والاستدلال البرهاني التجريبي، والاستدلال البرهاني العقلي،
والاستدلال البرهاني الحكمي، والاستدلال البرهاني الكلامي، والاستدلال
البرهاني الإشرافي..؛ وفي جميعها وإن أخذ اشتراكها في الجانب الكلي
لمفهوم الاستدلال؛ إلا أن الحيشة المائزة، وملاك الافتراق فيما بينها، هو
مركز الاستدلال نفسه: قرآني، تجريبي، عقلي، حكمي.... وهكذا.

وتبعية المنهج تتحتم الأخذ بجميع معطياته، خصوصاً الجذور
والأساس منه، والفلسفة الإشرافية وإن كانت فلسفة استدلالية سلوكية؛
إلا أن النفحة الإشرافية هي التي تجعل استدلالها مغايراً عن الاستدلال
الفلسفي الذي ينبض من خلال شريان العقل المحض.

ويمكن تلمس ذلك التغير من خلال أهم نظرية أساسية تبلورت عليها حكمته ، وهي نظرية الفيض ، التي جعلها كأساس لانبثاق الوجود ؛ فهذه النظرية تمتد جذورها إلى أفلوطين^(١) ، الذي قرر بأن الواحد (الله) هو مصدر جميع الكائنات ومفيضاها ، والأشياء صدرت عنه في نظام تنازلي متدرج ، وأول ما فاض عن الواحد قهراً هو العقل الشبيه به ؛ ولكنه أقل كمالاً منه ، (ولما كان العقل شبيهاً بالواحد ؛ فإنه يفيض قوته ، فيحدث صورة منه ، هي النفس الكلية ، وتتوجه النفس نحو العقل الصادرة عنه وتفيض فيوضاً كثيرة - لا فيضاً واحداً كالأول والعقل - ، فتلد نفوس الكواكب ونفوس البشر وسائر المحسوسات ، فالأشياء جميعاً بمثابة حياة تمتد في خط مستقيم من أعلى إلى أسفل ، وكل نقطة من نقط هذا الخط تختلف عن غيرها ؛ ولكن الخط كله متصل)^(٢) .

وهذه النظرية وإن كانت ظاهرة بالطابع الفلسفي ؛ إلا أن السهروردي قد تناولها بأسلوب مختلف ؛ سواء كان ذلك في المصطلح ، أو في إجراء بعض التعديلات التي أضافها لكي تتناسب مع مباني حكمته ؛ كقوله : إن العقول السماوية لا تقف عند حد العشرة العقول ، بل يتجاوز عددها العشرة أو المئة أو المئتين ، حتى تقف عند عقل ضعيف لا يقدر على إصدار عقل آخر لضعفه ؛ بسبب بعده عن نور الأنوار (الله) ، أو قوله : إنها لا تنحصر في

(١) ولد في ليقوبوليس من أعمال مصر الوسطى سنة (٢٠٥ ق.م). وهو من أكبر مجدي الأفلاطونية. توفي بأنطاكية في

سنة (٢٧٠ ق.م). تاريخ الفلسفة اليونانية - يوسف كرم: ص ٢٨٩.

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية - يوسف كرم: ص ٢٩١.

العقول الطولية، بل هناك أيضاً عقولٌ عرضية، وذلك لأن الله له إشراق طولي مباشر على العقول الطولية مرة، وإشراق غير مباشر يتم بواسطة العقول الطولية على العقول العرضية مرة أخرى^(١)؛ وهذا يخالف نظرية العقول العشرة التي صرح بها الفلاسفة، فهم لم يقولوا إلا بعشرة عقول، آخرها العقل الفعال الذي به تتحقق الكثرة، ولم يتطرقوا لقضية العقول العرضية بتاتاً^(٢).

وبطبيعة الحال، فإن هذه النظرية تتناسب وتتوافق فكرتها الأساسية مع فكرة وحدة الوجود^(٣)، التي اعتبرها الصوفية العصب الرئيس لمنهجهم. وإن كساها^(٤) طابع الاستدلال لديه؛ فهو استدلال إشراقي له مبانيه ومقاصده، لا استدلال فلسفي قائم على المبادئ والمقاصد العقلية المحضة.

وأما بالنسبة إلى مبادئه العملية، فلا يختلف السهروردي عن سبقيه من المتصوفة الإسلاميين، من أن الوصول إلى الحق لا يُحقق إلا بطرح أعراض الدنيا كلياً، عن طريق مجاهدة النفس، وتهذيبها، وتزكيتها؛ لكي تكون

(١) حكمة الإشراق - السهروردي - تصحيح وتقديم: هنري كوربان: ص ١٣٣-١٤٧.

(٢) المبدأ والمعاد - ابن سينا: ص ٨٢-٧٥.

(٣) سوف يتم الكلام في وحدة الوجود بشكل مفصل لاحقاً.

(٤) يقول السهروردي عن الوجود بأنه نور. حقيقة ذو مراتب: (النور كله في نفسه لا يختلف حقيقته إلا بالكمال والنقصان. وبأمور خارجة). مجموعة مصنفات شيخ الإشراق - تصحيح وتقديم / هنري كوربان: ص ١١٩. وهو في عين وحدته كثير: (فالنور المجرد الغني واحد. وهو نور الأنوار. وما دونه يحتاج إليه ومنه وجوده). لنفس المصدر السابق: ص ١٢٢. وفي عين كثرته واحد: (فيجب أن تنتهي الأنوار القائمة والعارضة والبرازخ وهيئاتها إلى نور ليس وراءه نور. وهو نور الأنوار. والنور المحيط. والنور القيوم. والنور المقدس. والنور الأعظم الأعلى. وهو النور القهار. والغني المطلق. إذ ليس وراءه شيء آخر). لنفس المصدر السابق: ص ١٢١.

مؤهلة نحو السلوك إلى الذات الحق، ومستعدة لتلقي أنوار ولوامع الإشراقات أثناء مراحل ترقيقها، كما يقول:

(إن النفوس الناطقة من جوهر الملكوت، وإنما يشغلها عن عالمها هذا، القوى البدنية ومشاغها، فإذا قويت النفس بالفضائل الروحانية، وضعف سلطان القوى البدنية، بتقليل الطعام، وتكثير السهر؛ تتخلص أحياناً إلى عالم القدس، وتتصل بأبيها المقدس، وتتلقى منه المعارف، وتتصل بالنفوس الفلكية العاملة بمحركاتها)^(١).

ولا تختلف تلك المجاهدات النفسية عن واقع الصورة المزيفة التي يدعيها الصوفية في الزهد، والانقطاع في العبادة، وغيرها. فيذكر في كتب التاريخ بأنه: (كان دنيء الهمة، زري الخلق، دنس الثياب، وسخ البدن، لا يغسل له ثوباً ولا جسماً ولا يداً، ولا يقص له ظفراً ولا شعراً، وكان القمل يتناثر على وجهه، ويسعى على ثيابه، وكل من يراه يهرب منه، وهذه الأشياء تنافي الحكمة والعقل)^(٢).

كما لا تختلف الكرامات العجيبة المنسوبة للسهروردي عن تلك المسطورة في كتب التصوف، منها: (أنه كان مع بعض أصحابه خارج دمشق، وقد أضر بهم الجوع، واتفق مرور تركماني مع غنمه، فأرادوا أخذ واحدة منها، فرفض التركماني وجذب ذراع الشيخ فانزعه في يده، فارتاع

(١) هياكل النور - السهروردي: ص ٨٥.

(٢) شذرات الذهب - ابن العماد: ج ٤ ص ٢٩٠. الوافي بالوفيات - الصفدي: ج ٢ ص ٢٣٧. النجوم الزاهرة في ملوك

مصر والقاهرة - الأتابكي: ج ٦ ص ١١٤.

التركمانى وفر هارباً، فأخذ الشيخ ذراعـه وأدخله بكتفه^(١). وأنه خرج فى ذات مرة مع جماعة من تلامذته وغيرهم من أجل الرياضة، فكشف لهم عن مبان عالية متدانية بعضها إلى بعض ومزخرفة، وبها نساء لم يرَ مثلهن قط، وبها أصوات مغان وأشجار وأنهار، وصار من معه ينظرون إلى هذه المشاهد حتى غاب عنهم، وعادوا مرة أخرى إلى مشاهدة واقع دمشق^(٢).
وأما بالنسبة إلى ما احتوت عليه كتاباته؛ فهى متنوعة الطرح بين القصص الرمزية وحكايات الصوفية، من بينها على سبيل المثال: "أواز بر جبرئيل" (نعمة أجنحة جبرئيل)، و"لغت موران" (لغة النمل)، وبين الكتابات التى تشع بمظاهر منهجه؛ من أشهرها: "التلويحات"، "هياكل النور"، "المطارحات"، "الألواح العمادية"، وكتاب "حكمة الإشراق" الذى يعتبر أهم مصنفاته، ويشتمل على شرح متكامل لمنهجه، الذى تلقاه دفعة واحدة فى يوم واحد كما يقول: (وقد ألقاه النافث القدسي فى روعى فى يوم عجيب دفعة، وإن كانت كتابته ما اتفقت إلا فى أشهر لموانع السفر)^(٣).

٥- منهج مدرسة الحكمة المتعالية

بعد الأفول الذى ساد العالم الإسلامى منذ القرن السابع وحتى القرن العاشر الهجرى، والتى سماه البعض بمرحلة الفترة، احتضنت شيراز العديد من المفكرين المسلمين؛ وذلك لبقائها آمنة من حملات المغول على إيران.

(١) أصول الفلسفة الإشراقية - د. محمد على أبو ريان: ص ٣٢-٣٣.

(٢) طبقات الأطباء - السعدي: ص ٦٤٢.

(٣) حكمة الإشراق - السهروردي: ص ٢٥٩.

ومع انقراض المغول، وقعت شيراز بأيدي حكومات صغيرة، حتى سيطرت عليها الدولة الصفوية، فراج مذهب التشيع فيها منذ حكم الملك طهماسب^(١) وحتى الشاه عباس الأول^(٢).

ومع انتقال عاصمة الدولة الصفوية إلى مدينة أصفهان، انتقل أغلب العلماء إليها، فصارت محضر اجتماع للعديد من الفقهاء والمفكرين في ذلك الوقت؛ فازدهر التلاقح الفكري بين المدارس - التي ذكرناها سابقاً^(٣).

وعلى الرغم من أن جميع العلوم كانت تقبع في ساحة الصراع الدائم والنشط في حوض أسنة تلك المدارس الفكرية؛ إلا أن هذا الأمر قد ساعد على تكوين معرفة عميقة، وإحاطة شبه شمولية بنظريات تلك المدارس، لدى الفيلسوف صدر الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى الشيرازي قدس سره، المعروف "بالملا صدرا". فقد استطاع هذا الفيلسوف المولود في مدينة شيراز حوالي سنة (٩٧٩هـ - ٩٨٠هـ)، والمتوفى بالبصرة في سنة (١٠٥٠هـ)^(٤)، تأسيس منهجاً فكرياً جديداً، أطلق عليه بمنهج "الحكمة المتعالية" بعد مراحل مرت عليه، يمكن تلخيص أبرز أحداثها بالتالي:

(١) هو ابن الشاه إسماعيل الأول ابن السلطان حيدر بن السلطان شيخ جنيد المقتول ابن السلطان شيخ إبراهيم بن الخواجة. من أقوياء سلاطين الدولة الصفوية. ولد في سنة (٩١٩هـ). وتولى السلطنة في سنة (٩٣٠هـ). وتوفي في سنة (٩٨٤هـ). [الكنى والألقاب - الشيخ عباس القمي: ج ٢ ص ٢٤٢].

(٢) هو ابن الشاه محمد خدابنده بن طهماسب. ولد في سنة (٩٧٩هـ). وتوفي في سنة (١٠٣٨هـ). [الكنى والألقاب - الشيخ عباس القمي: ج ٢ ص ٢٤٢].

(٣) مسار الفلسفة في إيران والعالم - السيد محمد الخامني: ص ٢٦٧.

(٤) أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين: ج ٩ ص ٣٢١-٣٢٣.

المرحلة الأولى: قضاها منذ صغره في معترك تحصيل العلم في مدينة شيراز، ثم انتقل إلى مدينة أصفهان بعد وفاة والده، فدرس على يد الشيخ بهاء الدين محمد العاملي المعروف "بالشيخ البهائي" ^(١) العلوم النقلية، ودرس العلوم العقلية على يد السيد محمد باقر الأسترآبادي المعروف "بالميرداماد" ^(٢)، كما كان تلميذاً للمير أبو القاسم فندرسكي ^(٣).

المرحلة الثانية: بدأت بعد أن تشبع الملا صدرا من تحصيل العلوم، أخذ بطرح أفكاره وآرائه الجديدة في مدينة أصفهان، فواجه معارضة حادة من قبل علماءها آنذاك ^(٤)، والسبب في ذلك هو ميله لمذهب التصوف، وذهابه إلى القول بأفكارهم وشطحاتهم، كقوله: بوحدة الوجود ^(٥)، وانقطاع العذاب عن أهله في الآخرة، وإنكاره الخلود في النار ^(٦)، وغيرها. فعاد إلى موطنه شيراز وتزوج هناك، ثم هاجر إلى قم وانعزل في قرية زراعية صغيرة تقع في ناحية الجنوب الشرقي من مدينة قم تسمى "كهك".

(١) سبق ترجمته.

(٢) هو محمد باقر بن محمد الحسيني الأسترآبادي. ولد في سنة (٩٦٠هـ). عالم فيلسوف. عاش في العهد الصفوي. توفي في سنة (١٠٤١هـ). [أمل الآمل - الحر العاملي: ج ١ ص ١١٠].

(٣) هو السيد أبو القاسم بن ميرزا بيك بن صدر الدين الحسيني الموسوي الفندرسكي. ولد في سنة (٩٧٠هـ). حاز منزلة مرموقه عند الشاه عباس الصفوي والشاه صفي الدين. توفي في سنة (١٠٥٠هـ). [موسوعة مؤلفي الشيعة - مجمع الفكر الإسلامي: ج ٢ ص ٢٢٣].

(٤) لواع العارفين - محمد خواجوي: ص ٢٦-٤٧.

(٥) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ٨٧. العرفان الإسلامي - السيد محمد تقي المدرسي: ص ٢١٥.

(٦) الشواهد الربوبية - الملا صدرا الشيرازي: المشهد الرابع/ الإشراق السادس عشر: في كيفية خلود أهل النار الذين هم أهلها فيها ص ٣١٣.

حيث يقول في وصف حاله في هذه الفترة: (لما رأيت من معاداة الدهر بترية الجهلة والأردال... وقد ابتلينا بجماعة غاربي الفهم تعمش عيونهم عن أنوار الحكمة وأسرارها... ضربت عن أبناء الزمان صفحاً... فالجأني خمود الفطنة وجمود الطبيعة... إلى أن انزويت في بعض الديار، واستترت بالخمول والانكسار... إلا على درس ألقيه أو تأليف أتصرف فيه)^(١).

وقد استمرت عزلته عن عامة الناس حوالي خمس عشرة سنة، قضاه في تهذيب النفس عن طريق ممارسة (الرياضات البدنية على الطريقة القديمة الإيرانية والفيثاغورية)^(٢)؛ فحصلت له في خلالها مكاشفات عديدة، كانت هي الحجر الأساس في بارقة تأليفاته، ووضع البنية الفكرية لمدرسته لاحقاً، كما يقول: (فلما بقيت على هذا الحال من الاستتار والانزواء، والخمول والاعتزال، زماناً مديداً، وأمداً بعيداً، اشتعلت نفسي لطول المجاهدات اشتعالاً نورياً، والتهب قلبي لكثرة الرياضات التهاباً قوياً؛ ففاضت عليها أنوار الملكوت)^(٣).

المرحلة الثالثة: بدأت حينما صمم والي مقاطعة فارس^(٤) بناء مدرسة في شيراز، استدعى عندها الملا صدرا للتدريس فيها بعد موافقة الشاه عباس

(١) الأسفار - الملا صدرا الشيرازي: ج ١ ص ٧٥.

(٢) مسار الفلسفة في إيران والعالم - السيد محمد الخامنئي: ص ٢٧٣.

(٣) الحكمة المتعالية - الملا صدرا الشيرازي: ج ١ ص ٨.

(٤) كان والي فارس في ذلك الوقت هو (الله وردي خان). الذي تسلم حكومتها من الشاه عباس في سنة (١٠٠٣ هـ).

لمستدرک أعيان الشيعة - السيد حسن الأمين: ج ٣ ص ١٠٨.

الثاني الصفوي^(١)، فكانت النهاية لعزته والبداية لمرحلة جديدة في حياته، انتهت بإنشاء مدرسته الفلسفية.

وأما بخصوص منهج مدرسته ومبادئه، فهي وإن كانت مقنعة تحت عدة مصادر، اعتمد واستعان بها في بناء ركائزها، تدعيماً وتقوية لآراه ونظرياته، والتي هي: (فلسفة أرسطو وأتباعه، تعاليم الأفلاطونية الجدد، تعاليم ابن سينا، النظريات العرفانية لابن عربي، والأصول الوحيانية)^(٢)؛ إلا أن الملبوس الواقعي لها هو التصوف الإشراقي بالصبغة المشائية؛ لأنه:

١- لا يمكن أن نتحاشى النظريات الفلسفية بشكل عام - اليونانية أو السينية - التي تركت أثراً واضحاً على فكره وآرائه، ومنها: قاعدة بسيط الحقيقة كل الأشياء^(٣)، ولا هالة التعظيم والتقدیس التي حملها لعلمائها من دون أن نجد مسوغاً مقبولاً لها في عباراته التي كررها مراراً^(٤)، منها ما قاله في الأسفار: (واعلم أن أساطين الحكمة المعتبرة عند طائفة ثمانية، ثلاثة من الملطيين: تالس، وأنكسيمانس، وأغاثاذيمون، ومن اليونان خمسة: أنباذقلس وفيثاغورث، وسقراط، وأفلاطون، وأرسطاطاليس، قدس الله نفوسهم وأشركنا الله في صالح دعائهم وبركتهم، فلقد أشرقت أنوار الحكمة

(١) هو عباس الثاني ابن الشاه صفی بن صفی میرزا ابن الشاه عباس الأول. ولد بقروين في سنة (١٦٣٣م). وتوفي في سنة (١٦٦٦م).

(٢) الحكمة المتعالية عند صدر المتألهين - د. علي الحاج حسن: ص ٣٨.

(٣) الحكمة المتعالية - الملا صدرا الشيرازي: ج ٦ ص ٥٧.

(٤) انظر كلماته في ذلك: رسالة في الحدوث - الملا صدرا: ص ١٥٥-١٥٦. مفاتيح الغيب - الملا صدرا: ج ٢ ص ٥٠١.

الحكمة المتعالية - الملا صدرا: ج ٩ ص ٧.

في العالم بسببهم، وانتشرت علوم الربوبية في القلوب لسعيهم. وكل هؤلاء كانوا حكماءً زهاداً عباداً متألّهين، معرضين عن الدنيا، مقبلين إلى الآخرة، فهؤلاء يسمون بالحكمة المطلقة، ثم لم يسم أحد بعد هؤلاء حكيماً^(١).

٢- ولا يمكن أن نغفل عن المكانة المبطنة بالتمجيد والثناء، كالشيخ العارف المتألّه، والشيخ الجليل، وقدوة المكاشفين^(٢)، التي نالها كبير الصوفية ابن عربي في كتبه؛ بل لا يمكن أن نغفل عن النظريات التي استقاها منه، واعتمد عليها اعتماداً كبيراً في إرساء مباني مدرسته، كما يقول العلامة حسن زاده الأملي^(٣): (أكثر المسائل التي نقلها صدر المتألّهين عن الشيخ الأكبر، ومشايخ العرفان الآخرين، هي أساس مصادر حكمته المتعالية؛ وقد اعتمد في ذلك على كتب الفن؛ أمثال: تمهيد القواعد، وشرح فصوص الحكم للقيصري، ومصباح الأنس، والفتوحات المكية)^(٤).

٣- ولا يمكن أن نجد فارقاً جوهرياً كبيراً بين مسألة النور التي أسس لها شيخ الإشراق، وقامت فلسفته على أساسها، وبين نظرية أصالة الوجود التي قامت عليها كل فلسفة الملا صدرا.

فحينما يتحدث شيخ الإشراق عن النور الذي هو الظاهر في نفسه المظهر لغيره، ويعتبر أن كل ما كان نوره أشد فهو أكمل، وأن اختلاف

(١) الحكمة المتعالية - الملا صدرا الشيرازي: ج ٥ ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٢) الحكمة المتعالية - الملا صدرا الشيرازي: ج ٩ ص ٤٥.

(٣) هو العلامة الفيلسوف المعاصر حسن زاده الأملي. ولد في إيران ببلدة أمل في سنة (١٣٤٨هـ).

(٤) العرفان والحكمة المتعالية - حسن زاده أملي: ص ١٩.

الأنوار هو بالكمال والنقص ، هذه الخصائص بعينها أجراها الملا صدرا على نظرية الوجود ؛ بل صرح أنها موافقة لوحي الإشراق ، كما يقول : (الوجود كله نور و حياة عندنا ، لما عرفت أنه أظهر الأشياء ، والإشراقيون وحكماء الفرس وافقونا في المفارقات والنفوس والأنوار العرضية التي يدركها البصر ؛ كالأنوار والكواكب والشهب والسرّج دون الطبائع والأجرام.. ولو لم يكن الطبيعة في أصلها نور لما وجدت بين النفس والجرم)^(١).

وأما بالنسبة لمصدرية علم الكلام ؛ فهو وإن حاول البعض كسوه بذلك الوشاح^(٢) ؛ إلا أن الملا صدرا قد تعرض لنقدهم ، والتهجم عليهم ، ووصفهم بعدم المعرفة بالمحسوسات ، والجهل بالطبيعات ، وعدم علمهم بالمنطق والرياضيات على الرغم من تعاطيهم الحجج والقياسات^(٣) ؛ بل واعتقد أن الأدلة التي يعتمدونها لإثبات مقاصدهم متزلزلة ، وأقيستهم ضعيفة^(٤) ؛ بل وقد أظهر الندامة في تتبع آثارهم ، كما يقول : (وإنّي لأستغفر الله كثيراً مما ضيعت شطراً من عمري في تتبع آراء المتفلسفة والمجادلين من الكلام ، وتدقيقاتهم وتعلم جربزتهم في القول وتفننهم في البحث)^(٥) ؛ وهذا لا يدل على جعل مبادئهم أرضية لمنهجهم كما فعل مع غيرهم .

(١) الشواهد الربوبية - الملا صدرا الشيرازي : ص ١٤٨ .

(٢) فلسفة الحكمة المتعالية - مجموعة من الباحثين : عبدالله جوادى آملي ص ٢٥ .

(٣) الحكمة المتعالية - الملا صدرا الشيرازي : ج ٩ ص ٢٠١-٢٠٢ .

(٤) رسالة في الحدود - الملا صدرا الشيرازي : ص ١٠ . الحكمة المتعالية - الملا صدرا الشيرازي : ج ١ ص ٢٢٧ .

(٥) الحكمة المتعالية - الملا صدرا الشيرازي : ج ١ ص ١١ .

فضمه لمنهج علم الكلام من قِبَل أقلام البعض أمام اعترافه الصريح بعدم ذلك ، أمر يدعو للحيرة!

وأيضاً من خلال التتبع الشديد في كتبه ، سوف نلاحظ أننا لا نرى فيها أرضية كلامية خصبة تغذي دعائم مدرسته ، كما هو معهود بالفعل مع المدرسة المشائية والمدرسة السلوكية الصوفية والمدرسة الإشراقية ؛ حينما بالغ في مدح علمائهم ، واستعان بأغلب مصادرهم وأدواتهم لترسيخ منهجه.

ولا تقل: بأنه قد استخدم ركائزهم في مدرسته - أي: استخدم النقل والاستدلال العقلي - ؛ لأنه وإن استعمل الدليل العقلي كأداة من أدوات منهجه ؛ لكنه ليس الدليل العقلي الذي استخدمه علماء الكلام ، بل الدليل العقلي الذي استخدمه الفلاسفة ، وشتان بين الدليل العقلي لدى علماء الكلام والدليل العقلي لدى الفلاسفة ، كما ذكرنا سابقاً.

وأما النقل الذي يعتبر الركيزة الأساسية لعلماء الكلام ، وأطروا مباحثهم عليه ، فالملا صدرا وإن استخدمه إلا أنه لم يستخدمه بالحيثيات التي استخدمها علماء الكلام ، بل استخدمه بالحيثيات التي استخدمها الصوفية ، وهو بنفسه يصرح بذلك في قوله : (هذه الأخبار والروايات وإن كانت ظواهرها متناقضة على أرباب العلوم الرسمية ؛ لكن بواطنها متوافقة عند العرفاء المحققين ، لإبتناء علومهم ومعارفهم على أصول صحيحة برهانية ، ومقدمات جلية كشفية لا يشكون فيها)^(١).

(١) الحكمة المتعالية - الملا صدرا الشيرازي : ج ٩ ص ٣٢٧.

ومن هنا نستنتج صحة ما ادعيناها ؛ من أن الملا صدرا لم ينتهج نهج المتكلمين في استخدام علم الكلام ؛ بل اعتمد منهجاً كلامياً خاصاً به في ذلك.

أخيراً: يمكن أن نقرر بأن منهجه وإن اصطبح بالمناهج السابقة عليه ظاهراً، مع إضافة بعض التعديلات التي تلائم ركائزه ؛ إلا أن ظهوره بالصورة الإشراقية السينيوية أجلى وأبرز ؛ ويؤيده ذلك :

كلماته في مقدمة كتابه المشتمل على منهجه : (ومن له في تحقيق الحق إرب ، في أن أشقّ تلك الأصداف السمينة ، وأستخرج منها دررها الثمينة ، وأروّق بمصفاة الفكر صفاها من كدرها ، وأنخل بمنخل الطبيعة لبابها عن قشورها ، وأصنف كتاباً جامعاً لشتات ما وجدته في كتب الأقدمين مشتملاً على خلاصة أقوال المشائين ، ونقاوة أذواق أهل الإشراق من الحكماء الرواقين ، مع زوائد لم توجد في كتب أهل الفن من حكماء الأعصار)^(١).

وكلام الفيلسوف الفرنسي هنري كوربان^(٢) ، في وصفه : (لو أردنا باعتبارنا مؤرخين أن نحدد بشكل كلي أوصاف عقائد الملا صدر ، فيجب أن نقول إننا أمام واحد من أتباع ابن سينا ، حيث كانت لصدر المتألهين إحاطة تامة بآثار ابن سينا فقام بتوضيحها ، ولكنه [أي صدر المتألهين] ابن سينا

(١) الحكمة المتعالية - الملا صدرا الشيرازي : ج ٢ ص ٥.

(٢) ولد هنري كوربان في سنة (١٩٠٣م) في باريس. وتوفي في سنة (١٩٧٨م). مستشرق وعالم فرنسي. كان مدير معهد الدراسات الإسلامية في السوربون. ومدير قسم الإيرانية في المعهد الفرنسي الإيراني بطهران سابقاً. له العديد من المؤلفات الإسلامية. ويتميز كوربان بسعة اطلاعه وتبحره في اللغتين العربية والفارسية وهو من المستشرقين المنصفين.

إشراقي على الطريقة السهروردية. فهو ليس فقط فاق ابن سينا والسهروردي في مجالات اختلافهما؛ بل ذهب إلى أبعد من ذلك، حيث قدم وأعطى تفسيراً شخصياً وخصوصاً عن الحكمة الإشراقية.

نعم، يجب القول إن هذا المفكر هو ابن سينا إشراقي، قد امتلأ بشكل عميق بنظريات الحكيم الإلهي، والعارف الأندلسي [أي: ابن عربي]، الذي كان من أبرز الشخصيات في الأزمنة كافة^(١).

وكلام السيد محمد تقي المدرسي^(٢): (إن أبرز المتأثرين بالسهروردي هو ملا صدرا، الذي يسميه تلامذته والمتأثرون بفلسفته "صدر المتألهين"؛ وبالرغم من أنه يعد كاتباً موسوعياً يجمع بين الذوق والبحث، وفي البحث يجمع بين المذاهب الفلسفية؛ إلا أنه يعتبر امتداداً لمدرسة السهروردي الإشراقية، بالرغم من اختلافه مع شيخ الإشراق في بعض المسائل الهامة مثل أصالة الوجود؛ حيث يعطي شيخه الأصالة للماهية وليس للوجود بخلاف الشيرازي.. يتفق منهج ملا صدرا مع السهروردي في الجمع بين ذوق القلب وبحث العقل، وفي تذويب الآراء المختلفة في بوتقة واحدة)^(٣).

وأما بالنسبة إلى مؤلفاته فقد تجاوزت الخمسين مؤلفاً، تنوعت من مباحث فلسفية إلى كتب صوفية، إلى حديث وتفسير وغيرها، من أهمها:

(١) المشاعر - الملا صدرا - تقديم / هنري كوربان: ص ١٥.

(٢) هو المرجع الديني المعاصر آية الله السيد محمد تقي ابن السيد محمد كاظم ابن السيد محمد باقر المدرسي. ولد بكرلاء في سنة (١٩٤٥م).

(٣) العرفان الإسلامي - السيد محمد تقي المدرسي: ص ١٢٤-١٢٥.

الأسفار، والعرشية، والمشاعر، وحاشية على إلهيات الشفاء لابن سينا، وحاشية على شرح حكمة الإِشراق للسهروردي^(١).

وقد تخرج العديد من تلامذته الحاملين لفكره، من أشهرهم صهره: الفيلسوف المحدث الملا محسن الفيض الكاشاني^(٢)، والفيلسوف عبد الرزاق اللاهيجي المعروف "بالفياض"، صاحب كتاب "شوارق الإلهام"^(٣).

٦- منهج المدرسة التكاملية

بعد أن امتزجت أدوات البحث المعرفية، وتشعب رواق المنهج الفكري الإسلامي؛ لعزوفه عن أساسه الحكمي الأصيل في مصدره وأدواته وغاياته وغرضه، وحشيه بعلائق ليست منه، ولا هي موصلة لمطامحه الإسلامية. وبعد أن انتهت تلك التشعبات - بشكل عام - في مزيج مدرسة الحكمة المتعالية، وافتتن الناس بما فيها من كلمات، تاركين كلام أئمة الهدى عليهم السلام؛ ظهر منهج المدرسة التكاملية الأهل بيتية على يد الحكيم الإلهي الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره^(٤).

وقد وصف قدس سره الحالة الإنطولوجية الفكرية التي عاشها الناس في تلك الفترة، في الحوار الذي دار بينه وبين أحد التلامذة - وتمثل مخاضه بشرح

(١) الفيلسوف الإيراني الكبير- الزنجاني: ص ٢٢٢.

(٢) هو محمد بن المرتضى الملقب بالملا محسن. كان صاحب ذوق عرفاني. ومن أشهر كتبه في الحديث "الوافي". وفي التفسير "الصافي". وفي الأخلاق "المحجة البيضاء". ولد في سنة (١٠٠٧هـ). وتوفي في سنة (١٠٩١هـ).

(٣) هو الملا عبد الرزاق اللاهيجي. حكيم ومتكلم وشاعر قدير. توفي في سنة (١٠٧١هـ).

(٤) سوف تأتي الترجمة له بشكل واف لاحقاً.

كتاب العرشية للملا صدرا الشيرازي، بين فيه الغث من السمين - في قوله :
 (ولكن بعض التلامذة قال لي : إن الناس في هذا الزمان افتتنوا بكتب هذا
 الرجل [الملا صدرا الشيرازي]، واعتقاد حقيّة كل ما يقول، حتى إن كثيراً
 منهم يسمع كلام الإمام عليه السلام، بخلاف كلام المصنف، ويترك كلام
 الإمام عليه السلام، ويأخذ كلام المصنف، فإذا قيل له : لم فعلت كذا؟
 قال : إن المصنف أعلم بمراد الإمام عليه السلام ؛ لأنه يأتي بالبراهين القاطعة،
 فهو أدلّ.

فقال لي : إن كنت تعرف بطلان قوله وأدلته، فبين بطلان ذلك وما
 يلزم، ليتجنبه طالب الحق، فسلكت هذا المسلك، والله سبحانه يعلم أنني ما
 قصدت خصوص تنقيصه، وإنما أردت بيان الحق على نحو ما سلكه أئمة
 الهدى عليهم السلام ^(١).

فقد التفت هذا الحكيم الإلهي ؛ للأمر الذي أصاب المنهج الفكري
 الإسلامي الحكمي، من طعون فلسفية وصوفية وغيرها، فتمثل منهجه
 بالعكوف على رده لنصابه المحمدي الأصيل.

كما أنه قدس سره لم ينهج نهج السابقين له، ولم ينهل من مصادرهم ؛ بل
 استند على مصدر الفكر الإسلامي الحق ؛ وهو القرآن والسنة، والعقل
 المستنير بنورهما "العقل الشرعي"، في صياغة منهج مدرسته ^(٢).

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ٤٥١.

(٢) رسائل الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ص ٨٣٨٢.

يقول عليه السلام في شأن حكمته: (وأنا قد ذكرتها على نحو ما عثر عليه الحكماء، ولا وقف عليه العلماء؛ لأنهم - أي العلماء والفلاسفة والمتكلمين - يأخذون بتحقيقات علومهم بعض عن بعض، وأنا لم أسلك طريقهم، وأخذت بتحقيقات ما علمت عن أئمة الهدى عليهم السلام. لم يتطرق على كلماتي الخطأ؛ لأنني ما أثبت في كتبي فهو عنهم، وهم عليهم السلام معصومون عن الخطأ والغفلة والزلل، ومن أخذ عنهم لا يخطئ من حيث هو تابع، وهو تأويل قوله تعالى: ﴿سِيرُوا فِيهَا لِيَوَّأَيَا مَا آمَنَ﴾^(١).

وقولي لم يجر ذكرها في خطاب؛ يعني: أنه لم يذكر في الأحاديث إلا بالإشارة والتلويح لأهله، وعلى الله قصد السبيل^(٢).
ويقول تلميذه السيد كاظم الرشتي الحسيني عليه السلام:^(٣)

(ومن العجائب التي لا تنقضي، والغرائب التي لا تفتنى ولا تتصرم، أنه أعلى الله مقامه، وأشاد شأنه، ورفع في الدارين أعلامه، كان يستخرج

(١) سورة سبأ - الآية: (١٨).

(٢) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣.

(٣) هو السيد محمد كاظم بن محمد قاسم بن أحمد بن حبيب الحسيني الموسوي المدني الكربلائي. ولد بمدينة رشت في سنة (١٢٠٥هـ) وقيل: في سنة (١٢١٢هـ). وهو الشارح الأول لحكمة أستاذه، وإليه آلت الزعامة بعد وفاته. وكان كبار أعلام هذا المنهج يهتمون بتتلمذ أبنائهم على يديه. له العديد من المصنفات التي تنوعت أفكارها. قيل أنها وصلت إلى (١٦٦) مصنفاً. منها: تفسير آية الكرسي، شرح الخطبة التنجزية، شرح دعاء السمات، اللوامع الحسينية، رسالة في الاجتهاد والتقليد، وغيرها. استشهد بدس السم إليه في القهوة على يد والي بغداد نجيب باشا أثناء زيارته له. فلما رجع إلى كربلاء، تدهورت صحته. وبعد يومين توفي في ليلة الثلاثاء، الحادي عشر من شهر ذي الحجة، سنة (١٢٥٩هـ). [الشيخية - الطالقاني: ص ١٦١. رسالة صعودية ونزولية "ضمن مجموعة رسائل" - السيد كاظم الرشتي: ج ٢ ص ٢٣٤. صحيفة الأبرار - المقاني: المقدمة ج ١ ص ٢٢].

هذه العلوم والأحوال كلها من الكتاب والسنة، ويستدل عليها بالحكمة والمجادلة والموعظة الحسنة، ويأتي بكل مسألة من هذه الفنون المتشعبة بآية من محكمات الكتاب، وحديث من محكمات الأحاديث، ودليل عقلي من العقل المستنير بنور الشرع^(١).

وأما بالنسبة إلى العرفان الذي هو محل بحثنا، فإن الشيخ الأوحـد قـدس سره لم يستخدمه كمصدر للوصول إلى المعارف الإلهية في منهجه؛ بل استخدمه كدليل وأداة فقط، كما سيتضح خلال مطاوي البحث الآتية.

وقبل البدء في تفصيل غايتنا نود استطراد نكتة هامة هي:

من أجل الإنصاف والأمانة العلمية، فإن الشيخ الأوحـد قـدس سره لم يستخدم مصطلح العرفان في كتبه فحسب؛ بل استخدم مصطلح دليل الحكمة^(٢) للدلالة عليه أيضاً، وهو مرادف لمصطلح العرفان الإسلامي الصحيح، الذي يستقي جلّ معارفه من طريق محمد وآله عليهم السلام.

ومما لا شك فيه، أن خصوصية المصطلحات شأن كل منهج من المناهج الفكرية في الحضارة البشرية؛ ففلاسفة اليونان لهم مصطلحات خاصة بهم قد ابتكروها من أجل أن تتماشى مع قواعدهم ومنهجية

(١) دليل المتحيرين - السيد كاظم الرشتي: ص ٣٥.

(٢) قال الشيخ الأحساني قـدس سره: (دليل الحكمة هو الدليل الكشفي العياني). لشرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحساني: ص ١٩٥. وقال في نفس الكتاب في موضوع آخر: (فإن كانوا من الحكماء العقلاء، والعلماء النبلاء، ادعهم إلى الحق الذي يريد الله منهم من معرفته بدليل الحكمة. يعني: بالدليل الذوقي العياني) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحساني: ج ١ ص ٢٠٤.

استدلّالهم ؛ للحصول على النتاج الفكري الخاص بهم ، وفلاسفة الإسلام كذلك ، والصوفية ... وهكذا.

فمن البديهي أن يكون للعلماء لغات واصطلاحات خاصة يجرون عليها كلماتهم ، وبينون جملة مطالبهم ؛ ولا ضير بأن يبني الشيخ الأوحـد قَدْرُ حكّمته على مصطلحات خاصة به أيضاً ، أو أن يُطلق على أدواته بإطلاقات تختلف عن إطلاقاتهم ، خصوصاً بعد فتح باب المجازات والمنقولات والمرتجلات ، واتساع دائرة الكل بأن يصطلح ما شاء من المصطلحات ، بعد قيامه ببيان معنى كل مفهوم جديد اتخذه.

وعلى أي حال ، فما دما قد استبقنا استطراد هذه النكته ، فنود الإشارة إلى أن ما نحن بصدده يتناول مسافة أبعد من الألفاظ والمصطلحات ، فنحن نبحث عن حقيقة اللفظ في المصداق ، والواقع الخارجي ، بما يناسب الزمان والمكان الذي طرح فيه هذا المصطلح أو ذاك ، والقرينة الكاشفة عن المراد إذا كان هذا المصطلح يخالف ما هو مشتهر بين العوام ، أو مفهوم لدى أهل الصنعة والاستعمال.

فغايتنا ليست البحث عن صناعة الألفاظ والصور ؛ بل التحقق من مدى صلوح الطريقة ، أو الآلة العرفانية التي تم استخدامها في الوصول إلى الحكمة الإلهية الحقيّة مصداقاً لا لفظاً ، ومدى مطابقتها لطريقتهم عليهم السلام.

وإلا - على سبيل المثال لا الحصر - فإننا لو أردنا تنظير مصطلح الحكمة الإلهية من ناحية الصور والألفاظ ، فسوف نجد أن جميع المناهج الفكرية

تطلق على معارفها هذا المصطلح، وعلى علمائها بمصطلح الحكماء - فالكل يدعي وصلاً بليلى^(١) -؛ ولكننا حينما نترافع إلى محكم الكتاب والسنة، سوف يتبين لنا من بكى ممن تباكى؛ لأنهم لو كان جميعهم يستقون من منبع واحد فلن تجدهم يختلفون لاجتماعهم عليه، ونحن في الواقع نرى غير ذلك؛ ولذا فإن اختلاف قواعدهم ومصطلحاتهم ناشئ من اختلاف مشاربهم التي ارتكزوا عليها في تحصيل معارفهم^(٢).

وكذلك مصطلح العرفان، فإننا لو أردنا تنظيره من ناحية الألفاظ، فهو معروف عند فلاسفة اليونان والديانات القديمة بـ (الغنوصية)، وعند أعداء آل محمد ﷺ بـ (التصوف)، وفي المنهج الإشراقي بـ (الذوق)، وعند الشيخ الأوحّد ﷺ (بدليل الحكمة).

ونحن وإن نظرنا أمر اختلاف مسميات أو إطلاقات المصطلحات في معارفهم؛ إلا أنه أمر خارج عن نطاق بحثنا، وما يهمنا فيه هو المعنى الواقعي الخارجي لذلك اللفظ، أو ذاك المصطلح، ومرادهم منه، والحكم الفاصل في نزاعهم الفكري يكون بالترافع إلى محكمة الكتاب والسنة، والعقل التابع لهما.

(١) أغلب المناهج الفكرية حينما يطلقون على معارفهم بالحكمة الإلهية. وعلى علمائهم الحكماء. يكون ذلك بلحاظ نسبة معارفهم إلى غاية المعارف الإلهية. أما حينما يطلقون عليهم: بالمتكلمين. والفلاسفة. والعرفاء. والإشراقيين... وهكذا. فيكون ذلك بلحاظ الوسيلة أو الأداة التي استخدموها للوصول إلى الحكمة. فتأمل الفرق بين الغاية والوسيلة ودورهما في بناء المصطلح. فقد سبب هذه الأمر التباس العديد. حتى إنهم لم يكادوا يفرقوا بينهما عند الإطلاق.

(٢) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ١٨٧.

إلى هنا انتهت المطالب التمهيدية، وسوف نشرع في المباحث - التالية - التي توصل إلى حقيقة عرفان - أو دليل الحكمة عند - الشيخ الأوحـد ﷺ؛ وهل هو مطابق للمنهج الصوفي كما يفترى عليه البعض، أم أنه مخالف له تماماً؟

ومن أجل أن يكون الكلام محققاً ومثبتاً بصورة لا يعتربها النقص، ويكسوها الجمال والكمال؛ فإننا سوف نحقق في المنهج الصوفي بشكل أدق، وفي المنهج التكاملي بشكل أكثر دقة؛ لينكشف لنا الغث من السمين، واللب من القشور، والصافي من الكدور، بالدليل الإسلامي المحمدي، لا بالتعصب، أو بالعاطفة الراكنة إلى جهة دون أخرى، كما سترى لاحقاً.

المبحث الثاني

التصوف في الإسلام

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: نشأة التصوف في الإسلام

المطلب الثاني: معنى التصوف لغةً واصطلاحاً

المطلب الثالث: الزهد الصوفي ليس من الإسلام

المطلب الرابع: أشهر أعلام الصوفية في الإسلام

المطلب الأول

نشأة التصوف في الإسلام

إنّ البحث في تاريخ الصوفية - بشكل عام - مهمة تكاد تكون مستحيلة ، فاتباع خطوطها الأساسية من الناحية التاريخية لا يكاد يوصل إلى نتيجة مرضية ؛ والأفضل للباحث في هذا الجانب هو التركيز على الأجزاء الواضحة منه مع إغفال النظر عما لا فائدة مرجوة فيه .

والظاهر مما وصلنا في كتب التاريخ القديمة ، أن التصوف يمتد إلى حقب ما قبل الإسلام ، فالأفكار الغنوصية قد ظهرت في الشعوب القديمة كردة فعل على الاضطهاد السلطوي ، الذي كان يمارس على طبقة الكادحين من الفقراء ، فكان المهرب الوحيد من ذلك الاضطهاد متمثلاً في الابتعاد عن عالم المادة ، والعيش في عالم الأحلام الذي توفره الغنوصية لهم^(١) .

وعاشت طبقة من المسلمين ردة الفعل هذه في عهد الحكم الأموي ، حيث اتخذوا من عالم الغنوصية ملجأ لهم ؛ من أجل الهرب من الأوضاع

(١) تاريخ التصوف الإسلامي - د. عبد الرحمن بدوي : ص ٧ .

السلطوية وغيرها؛ كنهى الحسن البصري^(١) عن الخروج على الحجاج، ودعوته الناس إلى اتخاذ السكينة والتضرع في مقابلة ظلمه^(٢)، وكثيـطه للناس عن يزيد بن المهلب الذي ثار ضد الأمويين في سنة (١٠٢هـ)^(٣)، وغيرها من المواقف التاريخية التي حفلت بها كتب التاريخ، وكان هدفها الأول هو اللجوء نحو قفص الرهينة هرباً من التكاليف المنوطة عليهم.

وفي نفس الوقت، تسربت الأفكار الغنوصية إلى الحضارة الإسلامية واندست فيها عن طريق أهم مدرسة أثرت في المسلمين آنذاك، وهي المدرسة الإسكندرية التي بُنيت على الأفكار الأفلاطونية.

فقد تم حمل جميع ما فيها بطابعها الغنوصي إلى ساحة الإسلام عن طريق ترجمة الكتب الأجنبية، التي قام بها خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، كمحاولة جاءت من قبل الحكام الأمويين؛ من أجل تكوين قاعدة فكرية لهم في مقابل قاعدة أهل البيت عليهم السلام الفكرية^(٤).

واشـتد عظم الصوفية في الإسلام في عهد الحكم العباسي؛ فقد ورث بنو العباس من الدولة التي حاربوها واسقطوا كيانها - الدولة الأموية - المآرب المتطرفة؛ ومنها إبعاد الناس عن فكر أهل البيت عليهم السلام، فكان دعمهم ونشرهم للتصوف هو واحداً من المخططات التي افتعلوها من أجل ذلك.

(١) سوف تأتي ترجمته لاحقاً.

(٢) طبقات ابن سعد: ج ٧ ص ١٧٦.١٦٣.

(٣) تاريخ الطبري - محمد بن جرير الطبري: ج ٥ ص ٣٣٧.

(٤) العرفان الإسلامي - السيد محمد تقي المدرسي: ص ٨٠.

يقول آية الله السيد كاظم الرشتي قدس سره:

(أن النبي ﷺ لما ظهر نوره، وأشرق ظهوره، خفيت جميع الكمالات واستترت، والصوفية قد كانوا في زمان الجاهلية وقبله؛ لكنهم مغمورون مستضعفون؛ لعدم رغبة أهل الجاهلية فيما عندهم؛ لاشتغالهم بالملاذ الجسمانية، وعدم التفاتهم إلى الحقائق الروحانية، سواء كانت علينية أو سجّينية، ومن هذه الجهة كان ضوءهم مخموداً، وقولهم مردوداً، وبعد ظهور النبي ﷺ أخفى نوره ظلمتهم، فكانوا هائمين مخمودين إلى أن انتهت الدولة إلى بني العباس، وهم لما خطأوا رأي بني أمية فيما فعلوا بالذرية الطاهرة، من قتل ونهب وأسر، وميل قلوب الناس عنهم، وكراهتم إياهم؛ لأجل أفعالهم الرديّة، وسوء سلوكهم بالذرية العلوية؛ ولذا انقرضت دولتهم، وانكسرت شوكتهم، ومالت قلوب الناس عنهم.

فأرادوا تدبيراً آخر، وحيلة أخرى في استيصال آل محمد - صلوات الله عليهم -، وإطفاء نورهم، وإخماد ذكركم، ولما وجدوا أن الناس محتاجون إليهم في العلوم الظاهرية والباطنية، والأحكام التكليفية، والعلوم السرية الحقيقية؛ فما دام احتياج الناس إليهم في هذه العلوم لم يمكن صرف وجوه الناس عنهم، ثم فكروا وقدروا، فقتلوا كيف قدروا، ثم نظروا وأبصروا، وأدبروا واستكبروا، فقالوا إن هذا الأمر لا يتم إلا بأن نأتي بأناس في مقابلهم في المقامين؛ أي: في الظاهر والباطن، فإذا حصل للناس الصورة الظاهرية مع الرياسة والجاه، يقنعون بهذه الصورة ولا يطلبون الحقائق

والأمور الواقعية ؛ فبنوا رأيهم على ذلك ، فجعلوا في مقابلة الأمور الظاهرية من العلوم التكليفية الشرعية المجتهدين ، والعقائد الأصولية المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة ، والمجتهدين القائلين بالرأي والاستحسان ، والظن والتخمين إلى أن كثروا... وأما العلوم الباطنية والأسرار الغيبية ، فقد أمروا الناس بالرجوع إلى الصوفية ، ورقّوهم وأعلوا ذكرهم ، وبذلوا لهم الجاه ، وجعلوهم مطاعين ، فهم أظهروا بواطنهم الخبيثة ، وموهوا على الناس بالرياضات الباطلة ، والمجاهدات الغير مشروعة ، وتسخير الأرواح ، والأفعال التي تكون سبباً لاتصال الشياطين وسائر الأبالسة ؛ ليخبروهم عن بعض المغيبات ، ويظهروا شبه بعض خوارق العادات ، فسحروا أعين الناس باستعمال العلوم الأربعة ، التي هي : السيميا ، والريما ، والهيما ، والليما ، وأظهروا الخدع والخيلاء ، وأظهروا للناس الزهد والورع ، وترك الدنيا والإعراض عنها ، كل ذلك رياء وسمعة ؛ ليقبلوا وجوه الناس إليهم ، ويعرضوا عن الحق وأهله تقريباً إلى سلاطين الجور وحكام الباطل^(١).

وأما تعاليم التصوف ، فقد انبثقت في بادئ الأمر متلبسة في صورة الزهد الإسلامي خالية من أي طابع فلسفي ، وكانت مجرد أقوال متناثرة ، (مجردة عن الأدلة ، عارية عن الحجج)^(٢) ، تم ممارستها كسلوك على يد كبارها في ذلك الوقت ، أمثال : الحسن البصري ، وسفيان الثوري^(٣).

(١) الحجة البالغة - السيد كاظم الرشتي : ص ٥١-٥٣.

(٢) نشأة الفلسفة الصوفية - د. عرفان عبد الحميد : ص ٤٨.

(٣) سوف تأتي ترجمة سيرته لاحقاً.

ثم تجلت مظاهرهم في أتباعهم وتلامذتهم: كالجنيد^(١)، ورابعة العدوية^(٢)، وغيرهم، كما يقول المحقق الكبير الحر العاملي^(٣)، في كتابه "الأثنا عشرية": (أن التصوف كان لفظاً مستعملاً في فرقة من الحكماء الزائغين عن الصواب، ثم من بعدهم في جماعة من أهل الخلاف من أعداء محمد وآله عليهم السلام: كالحسن البصري، وسفيان الثوري. وجاء من بعدهم من سلك مسلكهم: كالجنيد، والغزالي، وغيرهم)^(٤).

ثم جاء أقوام خلفوهم، وتكلموا في الجوع، والفقر، والخطرات؛ أمثال المحاسبي. وجاء آخرون فميزوه بالمرقعة، والسماع، والوجد، والرقص، والنظر في وجوه الغلمان الحسان. ثم ما زال الأمر ينمو في الإسراف والتطرف، والمغالاة في المعتقدات والتعاليم، وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع والضلالات حتى تركوا المسؤوليات الدينية أيضاً^(٥).

ووافق النشو التدريجي لمفاهيمهم وتعاليمهم، استيراد الأفكار الغنوصية بالطابع الفلسفي من الثقافات الأجنبية؛ تدعيماً لسلوكهم، وتقويةً لمباني منهجهم، حتى صار التصوف (في أصله وفي لفظه ومعناه) ومتقدمة ومتأخرة استيراد أجنبي...^(٦).

(١) سوف تأتي ترجمة سيرته لاحقاً.

(٢) سوف تأتي ترجمة سيرتها لاحقاً.

(٣) هو الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي. صاحب كتاب "وسائل الشيعة". ولد في سنة (١٠٣٣هـ) وتوفي بمشهد في سنة (١١٠٤هـ).

(٤) الأثنا عشرية - الحر العاملي: ص ١٥.

(٥) بين التصوف والتشيع - السيد هاشم معروف الحسني: ص ٤٣٠-٤٣٨.

(٦) التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة - د. إبراهيم هلال: ص ٧.

فهو لم يكن بمعزل عن التأثير بالثقافات الأجنبية ، فالاتحاد والحلول ، ووحدة الوجود ، التي هي عصب وقوام مذاهبهم ، ورثوها من الديانة الهندوسية والطاوية ، ومن الفلسفة اليونانية^(١) ، وأما تحريم الملذات وتهذيب النفس ، فهي من تعاليم البوذية ، ولبس الصوف أخذوه من رهبان النصرانية ، كما يقول الدكتور قاسم غني - في إيضاح العلاقة بين التصوف الإسلامي والفكر اليوناني - : (يرى البعض أن منابع التصوف الإسلامي هي المسيحية والرهبانية ، حيث تعمقت الأفكار العرفانية في الدينين المسيحي واليهودي قبل ظهور الإسلام بمدة مديدة ، فلقد فعلت أفكار فيلون الحكيم اليهودي في السنين الأولى من القرن الأول الميلادي بالتوراة من التأويلات والتفسيرات الصوفية ، ما فعله بعدئذ المتصوفة بالقرآن)^(٢) .

وقد بلغ التصوف ذروته في زمان ابن عربي^(٣) - في القرن الخامس الهجري - ، حيث كُتبت فيه الكتب ، ووضعت له القواعد الصوفية وفقاً لمذاق أعلامها ، ووفقاً لما يُكشفُ لمشايخها الذين وصلوا إلى مرتبة الكشف ، (بحيث يمكن القول بأنهم لم يتركوا للصوفية من بعد إلا الإفاضة والتفسير)^(٤) ، وسمي هذا بالتصوف النظري .

وقبل هذه الحقبة ، وإن كان هناك أقوال أولى في المعرفة الصوفية ؛ إلا

(١) تاريخ الفلسفة العربية - ج ١ ص ٣٢٤ .

(٢) تاريخ التصوف الإسلامي - د. قاسم غني : ص ٤٥ .

(٣) سوف تأتي ترجمة سيرته لاحقاً .

(٤) نشأة التصوف الإسلامي - د. إبراهيم بسيوني : ص ٢٧٤ .

أنه لم يكن لديهم إلا التصوف العملي، المعروف بالسلوك أو الطريقة، والمتمثل في التقشف في الملبس والمأكل والمشرب، وترويض النفس، وتنقية القلب وصقله بالمجاهدات الروحية الباطلة^(١).

فتعظيم ابن عربي الذي تأثر به الصوفية، وطائفة لا بأس بها من علماء الشيعة الإمامية، جاء من جهوده المضنية في سبك منهج التصوف، وتحويله من سلوك إلى فكر، وتبيان له لكل ما كان غامضاً عنهم في هذا النهج، خصوصاً فيما يتعلق بالأمور الغيبية.

المطلب الثاني معنى التصوف لغةً واصطلاحاً

بسبب ظروف الزمان والمكان تنوعت أشكال التصوف، مما جعل تعريفه لا يمكن الإشارة إليه بحدٍ جامعٍ مانعٍ؛ لشموله على اتجاهات متعددة ليس لها مذهب محدود المعالم والمقاصد، حتى باتت كلمة (التصوف) تعتبر من الكلمات الغامضة التي تعددت تعريفاتها ومفاهيمها، لدرجة أن البعض اعتبرها لم ترد في اللغة العربية، كما يقول أبو القاسم القشيري^(١) في رسالته المسماة "بالقشرية": (ولا تجد لهذا - أي التصوف - اسماً أو اشتقاقاً له في اللغة العربية، والظاهر أنه لقب مثل بقية الألقاب)^(٢)، وكما يقول بعضهم: إن هذا الاسم الذي أطلق عليهم اختلف في أصله، وفي مصدر اشتقاقه)^(٣).

ولا زال المؤرخون والباحثون مختلفين فيها حتى اليوم؛ لتشعب اتجاهاتها، وتنوع أحوال رجالاتها. وهو أمر يبدهي الحصول؛ لأن الصوفية

(١) هو عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري. توفي في سنة (٥١٤هـ). اقوات الوفيات - الكتبي: ج ١ ص ٦٥١.

(٢) الرسالة القشرية - القشيري: ج ١ ص ١٣٧-١٤٠.

(٣) أبحاث في التصوف - د. عبد الحلیم محمود: ص ٥٥.

أنفسهم اختلفوا فيها أيضاً، فقال بعضهم: إن (أقوال المشائخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول)^(١)، وقال آخرون: إن (الأقوال المأثورة في التصوف قيل: إنها زهاء ألفين)^(٢).

ولكن بناءً على ما ورد في معاجم اللغة، فإن معنى كلمة التصوف لغة^(٣):

- تُطلق في بعض معانيها بمعنى: الميل. يُقال: صاف السهم عن الهدف؛ بمعنى: مال عنه. ويُقال أيضاً: صاف عن الشر إذا عدل عنه^(٤).
- ترد للدلالة على الصوف المعروف للشاة ونحوها^(٥).

- أنها مشتقة من (الصفة)، نسبة إلى أهل الصفة، الذين كانوا بعصر رسول الله ﷺ، وكانوا نحواً من (٤٠٠) رجل^(٦).

- أنها مشتقة من الصف الأول، انتساباً إلى كونهم يحافظون على الصلوات في الصف الأول^(٧).

وللتصوف تعريفات كثيرة اصطلاحاً في كتبهم وفي غيرها، منها:

-
- (١) عوارف المعارف - السهروردي: ص ٥٧.
 (٢) مقدمة التعرف للمذهب التصوف - أحمد النواوي: ص ١١.
 (٣) نقصد بتعريف التصوف لغة واصطلاحاً ما هو معروف من لغة وفهم العرب؛ لا تعريفه بالمعنى الأعم، وهو المعبر عنه بالأفكار الغنوصية.
 (٤) القاموس المحيط - الفيروز آبادي: ج ٣ ب/ الفاء فصل الصاد ص ١٦٩.
 (٥) لسان العرب - ابن منظور: ج ١١ مادة (صوف) ص ١٠٢-١٠٣.
 (٦) تلبيس إبليس - ابن الجوزي: ص ١٦١.
 (٧) عوارف المعارف - السهروردي: ص ٦٥.

- قال الحسن الخرقاني^(١): (أن التصوف عبارة عن الجسم الميِّت، والقلب المعدوم، والروح المحروقة. وأن الخلق كله مخلوق، والصوفي غير مخلوق، لأنه معدوم، أو أن الصوفي من عالم الأمر، لا من عالم الخلق)^(٢).

- وقال الشبلي: (التصوف برقة مخرقة. وعنه أنه قال: التصوف هو العصمة عن رؤية الكون)^(٣).

- وقال ابن خلدون^(٤): (هو العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله ﷻ، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة)^(٥).
وأما الصوفي فقد عرفه السيد كاظم الرشتي الحسيني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (هو كل من يتكلم بالباطن بما يخالف ظاهر الشريعة، ويزعم أن الظاهر سلّم للباطن؛ فإذا وصل إلى الباطن انتفى حكم الظاهر)^(٦).

ويقال: إن لفظ (صوفي) ظهر في العراق لأول مرة، وأول من لقب

(١) هو علي بن جعفر الخرقاني. أحد شيوخ الصوفية. توفي في سنة (٢٥٥هـ) في خرقان أحد مدن بسطام. الكنى

والألقاب - الشيخ عباس القمي: ج ١ ص ٤٥٠.

(٢) تذكرة الأولياء - العطار: ص ٢٨٨.

(٣) الرسالة القشيرية - القشيري: ج ٢ ص ٥٥٠.

(٤) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم الحضرمي، الإشبيلي المالكي. مؤرخ مشهور. توفي في سنة (٨٠٨هـ). لمعجم المؤلفين - عمر كحالة: ج ٥ ص ١٨٨.

(٥) المقدمة - ابن خلدون: ص ١٥٧.

(٦) الحجة البالغة - السيد كاظم الرشتي: ص ٥١.

بذلك هو أبو هاشم الصوفي^(١)، وكان ذلك في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري^(٢)، وأول دار بنيت للصوفية كانت في مدينة الرملة بفلسطين^(٣).

(١) سوف تأتي ترجمته لاحقاً.
(٢) كشف الظنون - حاجي خليفة: ج ١ ص ٤١٤.
(٣) موسوعة من حياة المستبصرين - مركز الأبحاث العقائدية: ج ٥٧١.

المطلب الثالث

الزهد الصوفي ليس من الإسلام

قبل أن نبحث في هذا الأمر، نريد أن نذكر أمراً هاماً، وهو أن اللجوء إلى الرهبنة كان موجوداً حتى في عصر النبي محمد ﷺ، فقد جاء في تفسير الآية: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾^(١)؛ عن ابن مسعود قال: كنت رديف رسول الله ﷺ على حمار، فقال ﷺ: «يا ابن أم عبد، هل تدري من أين أحدثت بنو إسرائيل الرهبانية؟

فقلت: الله ورسوله أعلم.

فقال ﷺ: ظهرت عليهم الجبابة بعد عيسى عليه السلام، يعملون بمعاصي الله، فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم، فهزّم أهل الإيمان ثلاث مرات، فلم يبق منهم إلا القليل، فقالوا: إن ظهرنا هؤلاء أفنونا ولم يبق للدين أحد يدعو إليه، فتعالوا نتفرق في الأرض إلى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا به

(١) سورة الحديد- الآية: (٢٧).

عيسى عليه السلام - يعنون به النبي محمداً ﷺ - ، فتفرقوا في غيران الجبال وأحدثوا رهبانية ، فمنهم من تمسك بدينه ، ومنهم من كفر»^(١) .

وقد عالج الإسلام الرهبة التي تفتت بين بعض طبقات المسلمين - المستوحاة من الخارج ، والمنطوية على نزعة الهروب من تكاليف الحياة - بالجهاد ، فقد قال رسول الله ﷺ لعثمان بن مظعون ، حينما توفي ابن له ، وانزوى نحو الرهبة : «إنما رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله»^(٢) .

ولم يخلُ نهج المعالجة الإسلامي من بيان الصور المشروعة في ذلك ، حيث إنهم أظهروا في تعاليمهم ﷺ حقيقة معاني الزهد ، والتقوى التي يتبناها الإسلام من الإنسان ، وتمثلت دلائلها بصورة واضحة على أصحاب الرسول ﷺ ، وفي طليعتهم أمير المؤمنين عليه السلام ، وفي أصحابه ، أمثال : سلمان المحمدي ، وأبي ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، وأويس القرني ، وغيرهم .

فمفهوم الزهد عند الصوفية يختلف تماماً عن مفهوم الزهد الذي دعا إليه الإسلام ، فهو يأخذ بين جنباته الرهبة المنطوية على مجاهدة النفس ، وترويضها بصورة مخالفة لما جاء به الشرع ، وإن تمثلت هذه الرهبة في صور الزهد ، كالتقشف في العيش ، ولبس المرقعات والصوف ؛ فهي مأخوذة من باب الرياء ؛ لإظهار مدى زهدهم أمام الناس ، لا من باب امتثالهم للشرع .

(١) تفسير مجمع البيان - الطبرسي : ج ٩ / ٥٧ / سورة الحديد ص ٤٠٤ .

(٢) الأمالي - الشيخ الصدوق : مجلس ١٦ / موعظة النبي ﷺ لعثمان بن مظعون عند وفاه ولده ص ١٢٣

أما الزهد الحقيقي الذي لا يعدو كونه أكثر من مجرد اعتدال في طلب الدنيا، بنحو لا يكون الإنسان مملوكاً لما فيها بل تكون هي مملوكة له، كما ورد في المثل المشهور في تفسير معنى الزهد: (ليس الزهد أن لا تملك شيئاً؛ بل الزهد أن لا يملكك شيء)^(١)، وكما قال أبو عبد الله عليه السلام: «ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال، ولا تحريم الحلال؛ بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما عند الله ﷻ»^(٢)، هو صورة أصلية من صور الإسلام، وثمره من ثمرات إتباع تعاليمه في هذا المضمار^(٣).

فالزهد الصوفي شيء، والزهد الإسلامي شيئاً آخر، والأول مذموم جملة وتفصيلاً عند أهل البيت عليهم السلام، وأما الثاني فهو أمر مرغوب به في الإسلام، كما قال أبو عبد الله عليه السلام: «من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه، وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها، وأخرج الله من الدنيا سالماً إلى دار السلام»^(٤).

وأما مزاعم البعض في كون التشيع مصدراً للصوفية، فجاء من باب:
 ١- أنهم نظروا إلى مفهوم الزهد الذي رغب فيه أهل البيت عليهم السلام، وتجلّى فيهم عليهم السلام، وفي أتباعهم، وقاسوه بمفهوم الزهد الذي دعا إليه المتصوفة في تعاليمهم^(٥).

(١) ميزان الحكمة - محمد الريشهري: ج ٤ / حق المال على صاحبة ص ٢٩٩٠

(٢) الكافي - الشيخ الكليني: ج ٥ ك/ المعيشة ب/ الاستعانة بالدنيا على الآخرة ص ٧١ ح ٢.

(٣) بين التصوف والتشيع - السيد هاشم معروف الحسني: ص ١٩١.

(٤) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٢ ب ٩ / استعمال العلم والإخلاص في طلبه... ص ٣٣ ح ٢٧.

(٥) بين التصوف والتشيع - السيد هاشم معروف الحسني: ص ١٩٧.

٢- أنهم نظروا إلى محاولة البعض التي تمثلت في إصاق هوية التشيع بأتباع الصوفية ؛ كمن قال : بتشيع كبيرها ابن عربي^(١) .

٣- أنهم وقفوا على بعض أعلام الشيعة الإمامية ممن استحسـن الفكر الصوفي ، وسار على دربه ، وانتهج نهجه ؛ كالملا صدرا الشيرازي الذي استخدم طرق الصوفية في مزيج منهجه^(٢) .

وهذا زعمٌ باطل ، لا يمكن أن يستدل عليه في أن الصوفية منبعها الأساسي هو الشيعة الإمامية ؛ لأن :

١- زهدهم عليهم السلام ، وزهد أتباعهم ، كأويس القرني الذي شحنوا فيه السطور ، وقالوا : بأنه من أوائل الشيعة المتصوفين في الإسلام ، بدليل زهده ، ولبسه قباء الصوف ، كما في رواية مبايعته لأمير المؤمنين عليه السلام في حرب صفين^(٣) ؛ يختلف تماماً عن مفهوم الزهد الذي تناوله الصوفية في كتبهم ؛ حيث إنه :

أ- لو كان زهدهم منهم عليهم السلام ؛ لما حذروا من التصوف وسلوكه ، ومن الخوض في مضماره ، فقد ورد العديد من الروايات التي تنهى عنه ؛ بل تصدوا بأنفسهم عليهم السلام لذلك .

فعن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : «جاءت امرأة عثمان بن مظعون إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالت : يا رسول الله ، إن عثمان يصوم النهار ويقوم الليل .

(١) انظر : كتاب "ابن عربي سني متعصب" للسيد جعفر مرتضى العاملي .

(٢) العرفان الإسلامي - السيد محمد تقي المدرسي : ص ١١٤ .

(٣) مدينة المعاجز - السيد هاشم البحراني : ج ٢ ص ٢٩٩ ح ٥٦١ .

فخرج رسول الله ﷺ مغضباً يحمل نعليه حتى جاء إلى عثمان، فوجده يصلي، فانصرف عثمان حين رأى رسول الله ﷺ.

فقال له: يا عثمان! لم يرسلني الله تعالى بالرهبانية؛ ولكن بعثني بالحنيفية السهلة السمحة، أصوم، وأصلي، وأمس أهلي، فمن أحب فطرتي فليستن بسنتي، ومن سنتي النكاح»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «لا رهبانية في الإسلام»^(٢).

وورد عن الإمام الرضا عليه السلام: «لا يقول أحد بالتصوف إلا لخدعة أو ضلالة أو حماقة، وأما من سمى نفسه صوفياً للتقية فلا إثم عليه»^(٣).

وقال النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة على أمتي، حتى يخرج قوم من أمتي اسمهم صوفية، ليسوا مني وإنهم يهود أمتي، يخلقون للذكر، ويرفعون أصواتهم بالذكر، يظنون أنهم على طريق الأبرار؛ بل هم أضل من الكفار. وهم أهل النار، لهم شهقة كشهقة الحمار، وقولهم قول الأبرار، وعملهم عمل الفجار، وهم منازعون للعلماء ليس لهم إيمان، وهم معجبون بأعمالهم ليس لهم من عملهم إلا التعب»^(٤).

ونقل الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، أنه قال: كنت مع الهادي علي بن محمد عليه السلام، في مسجد

(١) امرأة العقول - العلامة المجلسي: ج ٢٠ ب / كراهية الرهبة وترك الباه ص ٣٠٣ ح ١.

(٢) أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين: ج ١ كلامه فيما يتعلق بالأحكام الشرعية ص ٣٠٦.

(٣) حديقة الشيعة - الأردبيلي: ج ٢ ص ٨٠٣.

(٤) الإثنا عشرية - الحر العاملي: ج ٢ / في إبطال التصوف وذمة ص ٣٤ ح ٧.

النبي ﷺ، فأتاه جماعة من أصحابه، منهم أبو هاشم الجعفري، كان رجلاً بليغاً، وكانت له منزلة عنده ﷺ، ثم دخل المسجد جماعة من الصوفية، وجلسوا في ناحية مستديرين، وأخذوا بالتهليل، فقال ﷺ: «لا تلتفتوا إلى هؤلاء الخداعين؛ فإنهم خلفاء الشيطان، ومخربوا قواعد الدين، يتزهدون لراحة الأجسام، ويتهجدون لصيد الأنعام، يتجوعون عمراً حتى يدينخوا للايكاف حمراً، لا يهللون إلا لغرور الناس، لا يقللون الغذاء إلا للملأ العساس، واختلاس قلوب الدفناس، يكلمون الناس بإملائهم في الحب، ويطرحون بإذلالهم في الجب، أورادهم الرقص والتصدية، وأذكارهم الترم والتغنية، فلا يتبعهم إلا السفهاء، ولا يعتقدهم إلا الحمقى، فمن ذهب إلى زيارة أحدهم حياً وميتاً فكأنما ذهب إلى زيارة الشيطان، وعبادة الأوثان، ومن أعان أحداً منهم فكأنما أعان يزيد ومعاوية وأبا سفيان.

فقال له رجل من أصحابه: وإن كان معترفاً بحقوقكم؟

قال: فنظر إليه شبه المغضب، وقال ﷺ: دع ذا عنك، من اعترف بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا، أما تدري أنهم أخس طوائف الصوفية، والصوفية كلهم مخالفوننا، وطريقتهم مغايرة لطريقتنا، وإن هم إلا نصارى أو مجوس هذه الأمة، أولئك الذين يجهدون في إطفاء نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون»^(١).

وقال رجل للصادق عليه السلام: قد خرج في هذا الزمان قوم يقال لهم

الصوفية، فما تقول فيهم؟

فقال عليه السلام: «إنهم أعداؤنا، فمن مال إليهم فهو منهم ويحشر معهم،

وسيكون أقوام يدعون حنا، ويميلون إليهم، ويتشبهون بهم، ويلقبون

أنفسهم بلقبهم، ويؤولون أقوالهم؛ ألا فمن مال إليهم فليس منا، وإنا منه

براء، ومن أنكرهم ورد عليهم كان كمن جاهد الكفار مع

رسول الله ﷺ»^(١).

ب- لو كان زهد أتباعهم - كأويس القرني، وسلمان المحمدي، وأبي

ذر الغفاري، وعمار بن ياسر وغيرهم - فيه مخالفة لهم عليهم السلام؛ لما أثنوا على

شخصهم في أحاديثهم.

فقد بشر النبي ﷺ بشخصية أويس القرني، كما جاء في حديث

أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: «أخبرني حبيبي رسول الله ﷺ، أنني أدرك

رجلاً من أمته يقال له أويس القرني، يكون من حزب الله ورسوله، يموت

على الشهادة، يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر»^(٢).

وسأل ابن الكوا أمير المؤمنين عليه السلام، عن أصحاب رسول الله ﷺ،

فقال عليه السلام: «عن أي أصحاب رسول الله تسألني؟

قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن أبي ذر الغفاري، قال: سمعت

(١) حديقة الشيعة - الأردبيلي: ج ٢ ص ٥٦٣.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٤١ ب ١١٤ / معجزات كلامه من أخبار بالغائبات ... ص ٢٩٩ ح ٢٩.

رسول الله ﷺ ، يقول: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذر.

قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن سلمان الفارسي، قال: بخ بخ سلمان منا أهل البيت، ومن لكم بمثل لقمان الحكيم؟ علم علم الأول وعلم الآخر.

قال: يا أمير المؤمنين فأخبرني عن عمار بن ياسر، قال: ذلك امرؤ حرم الله لحمه ودمه على النار، وأن تمس شيئاً منهما^(١).

٢- ما قام به البعض من نسبة التصوف إلى التشيع، واستدل على ذلك بأمور واهية؛ كربط أفكار التصوف بأفكار الشيعة الإمامية، من إسناد شطحات الصوفية - أي: كراماتهم كما في كتبهم - إلى كرامات ومعاجز أهل البيت ﷺ، ومن القول بتطابق التفسير والتأويل بينهم، وغيرها من الأدلة القشرية^(٢)؛ لا يمكن أن يعول عليها في تشيع الصوفية، لأن:

أ- من المعلوم في كتب التاريخ، (أن التصوف حينما ظهر في النصف الأول من القرن الثاني ظهر في الأوساط السنية، ومنها انطلق إلى ما انتهى إليه من الإلحاد والشعوذة، والتلاعب بمفاهيم الإسلام ومبادئه، وظلت الصبغة السنية غالبية عليه حتى القرون الأخيرة، ولا يزال ظاهرة من

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٢٢ أبواب / ما يتعلق به ﷺ من أولاده وأزواجه وعشائره وأصحابه وأمتة وغيرها ب ١٠ / فضائل سلمان وأبي ذر ومقداد وعمار بن ياسر... ص ٣١٩ ح ٤.

(٢) كما قام به الدكتور كامل مصطفى الشبيبي في كتابه: "الصلة بين التصوف والتشيع". وغيره من الكتب التي حاولت إسناد الصوفية إلى الشيعة الإمامية.

ظواهر أهل السنة؛ حيث لا تزال بقاياهم في البلاد التي يغلب عليها التسنن^(١).

ب - اشترط الصوفية أنفسهم في كون الصوفي على مذهب أهل السنة. فقد ذكر عبد الكريم الجيلاني^(٢) في كتابه: (إنَّ شرط المتصوّف أن يكون على مذهب أهل السنّة)^(٣)، وقال ابن خلكان^(٤) في كتابه: (أن الصوفية قالوا - في شرط التسنن في الصوفي -: يجب أن يكون فيه - أي في الصوفي - من بغض علي شيء لثلاث يغلو عند استماع الفضائل العظام التي له)^(٥).

٣- إن شتات بعض علماء الشيعة الإمامية وتأثرهم بمبدأ التصوف، بالأخذ منهم، وبالدفاع عنه^(٦)؛ لا يعني ذلك بأن الصوفية مصدرها ومستندها الشيعة الإمامية - كما يدعون في كلماتهم -، ويكفي لرد هذا القول موقفهم **عليه** في ذم التصوف نفسه.

(١) بين التصوف والتشيع - السيد هاشم معروف الحسني: ص ١٥٤.

(٢) هو عبد الكريم بن المرشد الجيلاني. من كبار مشايخ الصوفية. له كتاب التحفة العلوية. لتراجم الرجال - السيد أحمد الحسيني: ج ١ ص ٣٢٢.

(٣) الإنسان الكامل - الجيلاني: ص ١٢.

(٤) هو شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد الإربلي الشافعي. صاحب كتاب وفيات الأعيان. ولد في سنة (٦٠٨هـ) وتوفي في سنة (٦٨١هـ). تشييد المطاعن لكشف الضغائن - سيد محمد لكهنوي: ج ٥ ص ٤١٨.

(٥) وفيات الأعيان - ابن خلكان: ج ٣ ص ٣٥٥.

(٦) من هؤلاء العلماء: الملا صدرا الشيرازي **تتبع** الذي أخذ عن مشايخ الصوفية كثيراً. ودافع عنهم؛ بل عصمهم عن الخطأ ونسب تلقي الوحي إليهم. انظر / مفاتيح الغيب - الملا صدرا: ص ٧٢ و تفسير القرآن الكريم - الملا صدرا: ج ١ ص ٣٩٦.

المطلب الرابع

أشهر أعلام الصوفية في الإسلام

على الرغم من تعاقب القرون والأدوار بين علماء الصوفية إلا أنهم بمثابة السلسلة المكتملة لبعضها البعض ؛ فلكل واحد منهم دوره في توطين ونشأة وبلورة التصوف. وعملية البحث في سيرتهم بشكل مفصل تحتاج إلى جهد مُضنٍّ، وهو أمرٌ لا نحتاج منه سوى استطراد جزئيات بسيطة، فجاء الكلام هنا من باب التعريف المختصر لهم فقط.

١- الحسن البصري

هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، من الرواد الأوائل في التصوف الإسلامي، وأول من استعمل كلمة (الصوفي) عندما قال: (رأيت صوفياً في الطواف، فأعطيته شيئاً فلم يأخذه)^(١)، ولد في أواخر حكم الخليفة الثاني في سنة (٢١هـ)، وتوفي في سنة (١١٠هـ)^(٢).

(١) المذاهب الصوفية ومدارسها - عبد الحكيم قاسم: ص ٢١.

(٢) وفيات الأعيان - ابن خلكان: ج ٢ ص ٦٩.

وقد ذمه أمير المؤمنين عليه السلام، ولقبه بـ "سامري هذه الأمة"؛ لقوله: (لا قتال في الإسلام)، كما ورد عن أبي يحيى الواسطي، أنه قال: (لما افتتح^(١) أمير المؤمنين عليه السلام اجتمع الناس عليه، وفيهم الحسن البصري ومعه الألواح، فكان كلما لفظ أمير المؤمنين عليه السلام بكلمة كتبها، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام - بأعلى صوته -: ما تصنع؟

فقال: نكتب أثاركم لنحدث بها بعدكم.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أما إن لكل قوم سامرياً، وهذا سامري هذه الأمة، أما إنه لا يقول لا مساس؛ ولكن يقول لا قتال^(٢).

٢- رابعة العدوية

هي رابعة بنت إسماعيل، أم عمرو العدوية، من تلامذة الحسن البصري، وأشهر امرأة متصوفة في الإسلام، لظمت حياة العزوبة بالبصرة، وتوفيت في سنة (١٨٥هـ)^(٣).

وهي من أشد المروجين لفكرة الحب الإلهي في الصوفية، ونسبها بعضهم إلى الحلول لإنشادها هذه الأبيات:

وأبجت جسمي من أراد جلوسي

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي

وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي^(٤)

فالجسم مني للجليس مؤانس

(١) أي: لما افتتح البصرة.

(٢) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي: ج ١ / احتجاجه عليه السلام على قومه في الحث على المسير إلى الشام.. ص ٢٥١.

(٣) سير أعلام النبلاء - الذهبي: ج ٨ ص ٢٤١.

(٤) الوافي بالوفيات - الصفدي: ج ١٤ ص ٣٧ حرف الراء (رابعة).

٣- أبو هاشم الصوفي الكوفي

كان تابعاً لبني أمية، وهو من أعداء آل محمد عليهم السلام، توفي في سنة (١٥٩هـ)^(١).

ويذكر في بعض كتب التاريخ: أنه أول من لبس الصوف في الإسلام، تشبهاً بالرهبان المسيحيين الذين كانوا يعيشون في الأديرة، ويلبسون الصوف^(٢)، وإليه يُنسب مذهب التصوف، كما روي عن علي بن الحسين بن بابويه، عن سعد بن عبدالله، عن محمد بن عبد الجبار، عن الإمام العسكري عليه السلام، أنه قال: سئل الصادق عليه السلام عن حال أبي هاشم الكوفي، فقال: «إنه فاسد العقيدة جداً، وهو الذي ابتدع مذهباً يقال له التصوف، وجعله مقراً لعقيدته الخبيثة»^(٣).

٤- سفيان الثوري

هو سفيان بن سعيد بن سروق الثوري، من بني ثور، ومن تلامذة الحسن البصري، ولد في سنة (٩٧هـ)، وتوفي في سنة (١٦١هـ)، وكان من المدلسين في الحديث^(٤).

وروي أن سفيان الثوري دخل على أبي عبد الله عليه السلام وعليه ثياب جياذ^(٥)، فقال: يا أبا عبد الله! إن آباءك لم يكونوا يلبسون مثل هذه الثياب.

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة - حبيب الله الهاشمي الخوئي: ج ١٣ ص ١٤٠.

(٢) موسوعة من حياة المستبصرين - مركز الأبحاث العقائدية: ج ٥ ص ٥٧١.

(٣) خانمة المستدرک - الطبرسي: ج ٣ ص ٢٨٥.

(٤) الكنى والألقاب - الشيخ عباس القمي: ج ٢ ص ١٣٤.

(٥) أي: ثياب فاخرة.

فقال عليه السلام له : «إن آبائي كانوا في زمان مقفر مقتر، وهذا زمان قد أرخت الدنيا عزاليها، فأحق أهلها بها أبرارهم»^(١).

٥- ذو النون المصري

هو ثوبان بن إبراهيم، وُلِدَ في مدينة إخميم بصعيد مصر، وكان يلقب بذِي النون صاحب الحوت^(٢).

وأثناء اضطهاد المعتزلة لأهل السنة في أحداث المعضلة التاريخية المعروفة باسم "محنة خلق القرآن"^(٣) حبس هو أيضاً؛ لأنه كان يقول بعدم خلق القرآن؛ ولكن الخليفة المتوكل عفا عنه بعد تأثره الشديد بخطبة له، وتوفي سنة (٢٤٥هـ)^(٤).

وكان أهل محلته يلقبونه بالزنديق؛ لأنه (كان أول من تكلم من الصوفية عن المعرفة بكلام دقيق، فظهرت الخاصية العرفانية للتصوف عنده لأول مرة)^(٥).

ومن أشهر أقواله المفصحة عن تصوفه: (سافرت ثلاثة أسفار، وجئت بثلاثة علوم، ففي السفر الأول جئت بعلم قبله العوام والخواص، وفي السفر الثاني جئت بعلم قبله الخواص دون العوام، وفي السفر الثالث جئت

(١) بحار الأنوار- العلامة المجلسي: ج٤٧ أبواب/ تاريخ الإمام الهمام.. ب١١ / أحوال أصحابه.. ص٣٥٤ ح٦٣.

(٢) طبقات الصوفية- السلمي: ص١٥.

(٣) الكليني والكافي- الشيخ عبد الرسول الغفار: ص٣٠٠.

(٤) تاريخ مدينة دمشق- ابن عساكر: ج١٧ ذكر من اسمه ذو النون ص٤٠١.

(٥) المدخل إلى التصوف الإسلامي- التفنازاني: ص١٢٠.

بعلم ما قبله العوام ولا الخواص ، فبقيت شريداً طريداً وحيداً^(١) ؛ ويقصد بالعلم الأول : علم المحاسبة والتوبة ، وبالثاني : علم الأخلاق الحسنة ، وبالثالث : علم التصوف ، الذي لم يقبله أحد منه فهجروه وأنكروا عليه^(٢) .

٦- المحاسبي

ولد المحاسبي المتوفي في سنة (٢٤٣هـ) بالبصرة ، وكان شافعي المذهب ، ثم انتقل إلى بغداد حينما نشب الخلاف بينه وبين الحنابلة ، وسمي بالمحاسبي ؛ لأن أحد أركان تصوفه كان قائماً على محاسبة النفس^(٣) .

٧- الجنيد

هو ابن محمد بن الجنيد المعروف "بالقواريري" ، أصله من نهاوند ، وولد ونشأ في بغداد ، ودرس بها الفقه على المذهب الشافعي ، توفي في سنة (٢٩٧هـ)^(٤) . وقد حمل فكر معلمه المحاسبي في تصوفه ، فاتخذ من محاسبة النفس ، والتطهير الدائم عنواناً في طريقته^(٥) .

٨- أبو يزيد البسطامي

هو طيفور بن عيسى بن سرشان ، ولد في بلاد فارس من أب وأم مجوسيين^(٦) ، وقد أخذ علم التصوف من رجل هندي الأصل ، اسمه

(١) نفحات الأنس - الجامي : ص ٧٣ .

(٢) نفس المصدر السابق : ص ٧٤ .

(٣) نفحات الأنس - عبد الرحمن جامي : ص ٥٧٢ .

(٤) طبقات الصوفية - السلمي : ص ١٥٥ .

(٥) تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي : ج ٧ / الجنيد بن محمد بن الجنيد ص ٢٤٩ / ٣٧٣٩ .

(٦) طبقات الصوفية - السلمي : ص ٦٧ .

أبو علي السندي^(١)، الذي قال عنه: (صحت أبا علي السندي، فكنت ألقنه ما يقيم به فرضه، وكان يعلمني التوحيد والحقائق صرفاً)^(٢).

وقد أمضى أبو يزيد البسطامي حياته في تعذيب نفسه بشتى أنواع الرياضات، حتى بلغ مرتبة من الجنون ادعى فيها الألوهية، فقال: (أنا هو وهو أنا)، وقال: (سبحاني ما أعظم شأنني)^(٣)، وهو يعتبر من أوائل الصادحين بفكرة الاتحاد والحلول للعامة، التي اتهم بسببها بالكفر والزندقة. توفي في سنة (٢٦١هـ)^(٤)، ومن أقواله في التصوف: (حججت مرة فرأيت البيت ولم أر رب البيت، ثم حججت ثانية فرأيت البيت ورأيت رب البيت، ثم حججت ثالثة فرأيت رب البيت ولم أر البيت)^(٥).

٩- الحلاج

هو أبو المغيث الحسين بن منصور الحلاج، ولد في سنة (٢٤٤هـ) بمدينة البيضاء بإقليم فارس، واتبع أباه في حرفة الحلاجة فسمي "بالحلاج"^(٦)، وهو من أعلام التصوف السني، قطعت يداه ورجلاه وحرقت، ثم صُلب رأسه ببغداد في سنة (٣٠٩هـ) بأمر من الحاكم المقتدر العباسي^(٧).

(١) رجل مجهول في التاريخ. ولم يأتي ذكره إلا على لسان أبو يزيد البسطامي. [نفحات الأُس - الجامي: ص ١٧٦].

(٢) اللمع - الطوسي: ص ٢٣٥.

(٣) الإثنا عشرية - الحر العاملي: ج ٢ / في إبطال التصوف وذمه ص ٥١.

(٤) بين التصوف والتشيع - السيد هاشم معروف الحسني: ص ٤٩٢.

(٥) الطبقات الكبرى - الشعراني: ج ٢ ص ٦٢.

(٦) الأعلام - الزركلي: ج ٢ ص ١٠٧.

(٧) بين التصوف والتشيع - السيد هاشم معروف الحسني: ص ٤٩٩.

وكان سبب قتله، هو نشره لتعاليم الصوفية جهاراً للعامة، خصوصاً صدحه بالحلول والاتحاد، فقد كان يمنع أصحابه من الذهاب إلى مكة المكرمة، ويقول لهم: (طوفوا حولي؛ لأن الكعبة بيت الله، وإنني أنا الله)^(١)، وملئت مواعظه وأشعاره بذلك أيضاً، كما في قوله:

مزجت روحك في روحي كما تمزج الخمرة بالماء الزلال
فإذا مسك شيء مسني وإذا أنت أنا في كل حال^(٢)

ويصف ابن النديم^(٣) الحلاج في كتابه بعد سنوات قليلة من موته: (كان الحسين بن منصور الحلاج رجلاً محتالاً مشعوذاً، يتعاطى مذاهب الصوفية، وينتحل ألفاظهم ويدعي كل علم، وكان صفرأً من ذلك كله، وكان يعرف شيئاً من صناعة الكيمياء، وكان جاهلاً مقداماً متهوراً، جسوراً على السلاطين، مرتكباً للعظائم، يروب أقلاب الدول، ويدعي عند أصحابه الألوهية، ويقول بالحلول...)^(٤).

١٠- أبو بكر بن جحدر الشبلي

هو دُلف بن جُحدر، خرساني الأصل، من أقطاب الصوفية وفقهاء المالكية، توفي سنة (٣٣٤هـ). وقبل أن يعيش حياة التصوف كان والياً في

(١) الأنوار النعمانية - السيد نعمة الله الجزائري: ج ٢ ص ٢٨١.

(٢) تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي: ج ٨ ص ١١٥.

(٣) هو الشيعي الإمامي المتبحر الفاضل أبو الفرج محمد بن إسحاق صاحب كتاب "الفهرست". توفي في سنة (٣٨٥هـ).

[مستدرک سفینه البحار - الشاهرودي: ج ٥ ص ٢٣٧].

(٤) فهرست - ابن النديم: ج ١ ص ٤٧٤.

عهد الخليفة المتوكل ، ثم صحب الجنيد والحلاج ومن في عصره ، فأصبح بعدها من أقطاب الصوفية حالاً وقالاً^(١) ، ومن أشهر أبياته في التصوف :

تغنى العود فاشتقتنا	إلى الأحباب إذ غنى
أزور الدير سكراناً	وأغدو حاملاً دنا
وكننا حيثما كانوا	وكانوا حيثما كنا ^(٢)

١١- الغزالي

وهو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، أحد أئمة المذهب الشافعي الأشعري الصوفي ، ولد في مدينة طوس بخراسان سنة (٤٥٠هـ) ، والظاهر أنه كان فقيهاً وفيلسوفاً في بداية حياته ، ثم أصبح صوفي الطريقة ، شافعي الفقه على طريقة الأشاعرة^(٣) .

وقبل أن يستقر الغزالي على مذهب التصوف ، كان مشائبي المنهج ، وله درس في المدرسة النظامية في بغداد يحضره كبار العلماء .

ثم مر بمراحل فكرية في حياته ، كان في مقدمتها مرحلة الشك في الحواس والعقل ، وفي قدرتهما على تحصيل العلم اليقيني ، كما يقول في كتابه : (فأعضل هذا الداء ، ودام قريباً من شهرين ، أنا فيها على مذهب السفسطة ، بحكم الحال ، لا بحكم النطق والمقال)^(٤) .

(١) الكنى والألقاب - الشيخ عباس القمي : ج ٢ ص ٣٥٣ .

(٢) تاريخ الإسلام - الذهبي : ج ٢٥ ص ١١٦ .

(٣) تاريخ فلاسفة الإسلام - محمد لطفي جمعه : ص ٨٣ .

(٤) المتخذ من الضلال - الغزالي : ص ٣١ .

وبعد أن شوفي من تلك الحال ابتدر بحصر المناهج الفكرية، قال: (ولما شفاني الله من هذا المرض بفضلِه وسعة جوده، أحضرت أصناف الطالبين عندي في أربع فرق يدعون أنهم أهل الرأي والنظر. الباطنية: وهم يزعمون أنهم أصحاب التعليم، والمخصوصون بالاقتباس من الإمام المعصوم. والفلاسفة: وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان. والصوفية: وهم يدعون أنهم خواص الحضرة، وأهل المشاهدة والمكاشفة. فابتدرت لسلوك هذه الطرق، واستقصاء ما عند هذه الفرق؛ مبتدئاً بعلم الكلام، ومثلياً بطريق الفلسفة، ومثلثاً بتعلم الباطنية، ومربعاً بطريق الصوفية)^(١).

فانتهى بإبطال المدرسة الكلامية والمدرسة الفلسفية المشائية، واستقر في أكناف التصوف بعد أن ألف كتابه الشهير "تهافت الفلاسفة"، الذي ذكر فيه تناقض وتعارض أفكار الحكماء والفلاسفة، قال: (ما ذكرتموه تحكمات، وهي على التحقيق ظلمات فوق ظلمات، لو حكاها الإنسان على منام رآه، لاستدل به على سوء مزاجه، أو لو أورد جنسه في الفقهيات التي قصارى المطلب فيها تخمينات، لقييل: إنها ترهات لا تفيدها غلبات الظنون)^(٢).

وكما قال: (ثم إنني لما فرغت من هذه العلوم، أقبلت بهمّتي على طريق الصوفية)^(٣).

(١) المنقذ من الضلال - الغزالي: ص ١١٢-١١٨.

(٢) تهافت الفلاسفة - الغزالي: ص ١٤٤.

(٣) المنقذ من الضلال - الغزالي: ص ٦٨.

فأنكب في بداية الأمر بمطالعة كتب شيوخهم الأوائل، كأبي يزيد البسطامي، والجنيد والحلاج، وغيرهم، ثم خرج طالباً للتصوف العملي، سائحاً في الأرض، كما قال تلميذه أبو بكر ابن العربي^(١): (رأيتُ الغزالي في البرية وعليه مرقعة، وعلى عاتقه ركوة، وقد كنت رأيتـه ببغداد يحضر درسه أربعمئة عمامة من أكابر الناس وأفاضلهم يأخذون عنه العلم)^(٢).

وفكره الصوفي لم يخلُ من شطحات الصوفية، منها: تفضيله الغناء على قراءة القرآن، يقول في كتابه: (واعلم أن الغناء أشد تهيجاً للوجد من القرآن؛ لأن جميع الآيات لا تناسب حال المستمع... وإن لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيراً في النفس، فليس الصوت الموزون الطيب، كالصوت الطيب الذي ليس بموزون، ويوجد الوزن في الشعر دون الآيات)^(٣).

ولم يكن للغزالي دورٌ كبيرٌ في المنهج الصوفي، غير أنه كان متأثراً بأعلامها: كالجنيد، وأبي بكر الشبلي، وأبي يزيد البسطامي، واعتزل الناس آخر عمره، وعاش متنقلاً في السفر بين دمشق والقدس، ومكة المكرمة والمدينة المنورة، وكتب خلال تنقلاته كتابه المشهور في التصوف "إحياء علوم الدين"^(٤).

(١) هو محمد بن عبدالله بن محمد الأشبيلي. متكلم فقيه مالكي. ولد في أشبيليا سنة (٦٨ هـ). وولي قضاء أشبيليا.

وتوفي سنة (٥٤٣ هـ). [الأعلام - الزركلي: ج ٦ ص ٢٣٠].

(٢) الحقيقة في نظر الغزالي - سليمان دنيا: ص ٤٥.

(٣) إحياء علوم الدين - الغزالي: ب/ آداب السماع ص ٧٧٢-٧٧٣.

(٤) تاريخ مدينة دمشق - ابن عساکر: ج ٥٥ / ٦٩٦٤ ص ٢٠١.

ويقال: إنه تشيع في آخر أيامه في طوس؛ ولكن لم يمهل العمر حتى ينشر تشيعه، ويبرئ ذمته بإعلان رجوعه عن كتبه ومؤلفاته التي غاصت بالعداء لأهل البيت عليهم السلام. وممن ذهب إلى تشيع الغزالي: البغدادي في كتابه "إيضاح المكنون"^(١)، والأميني في كتابه "الغدير"^(٢)، والمرعشي في كتابه "شرح إحقاق الحق"^(٣)؛ وقد استندوا في تشيعه إلى كتابه الذي كتبه في آخر عمره "سر العالمين وكشف ما في الدارين"، الذي أظهر فيه تشيعه بصراحة واضحة.

١٢- ابن عربي

ولد محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي في سنة (٥٦٠هـ)، وهو أشهر علماء الصوفية وكبيرها؛ ولذا لقبوه "بالشيخ الأكبر" و"بالكبريت الأحمر" في كتبهم^(٤).

وهو صاحب كتاب "الفتوحات المكية"، الذي يحوي خمسمئة وستين فصلاً، وهو أوسع كتب التصوف شطحاً، وصاحب كتاب "فصوص الحكم"، الذي ذكر فيه أنه أخذه عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه أمره بإذاعته؛ والكتاب مليء بالكفر البواح، والزندقة أيضاً، توفي بدمشق في سنة (٦٣٨هـ)، وقبره مشهور بيزار، وتعرف منطقة باسمه^(٥).

(١) إيضاح المكنون - البغدادي: ج ٢ ص ١١.

(٢) الغدير - الأميني: ج ١ ص ٣٩١.

(٣) شرح إحقاق الحق - المرعشي: ج ٣٣ ص ٢٤٤.

(٤) اليواقيت والجواهر - الشعراني: ج ١ ص ٣.

(٥) أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين: ج ٢ ص ٦٥.

ولأبن عربي العديد من الآراء الإلحادية التي ذكرها في كتبه ورسائله، وجميعها زندقات وشطحات، كتبها بنص صريح وواضح، ضارباً بعرض الحائط فيها كل ما جاءت به الشريعة الإسلامية من مفاهيم عقائدية. بل إن من جملة زندقاته وإدعائه ما يناقض العقل السليم، كقوله: بأن المسارعة إلى المعصية فضيلة^(١)، وأن المشرك موحد ومنعم في الجنة^(٢)، وترويجه لنظرية وحدة الوجود التي تعتبر من أعظم أعماله، حيث إنه يرى أن (ما في الوجود إلا الله)^(٣)، وأن (الكون خيال، وهو حق في الحقيقة)^(٤).

يقول ابن عربي:

فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا	وليس خلقاً بهذا الوجه فادّكروا
من يدر ما قلت لم تخذل بصيرته	وليس يدره إلا من له بصر
جمعٌ وفرقٌ فإن العين واحدة	وهي الكثيرة لا تبقي ولا تذر ^(٥)

تقول المستشرقة الألمانية أنا ماري شيمل^(٦) عن ابن عربي في كتابها "الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف": (والرأي التقليدي عنه في الغرب أنه ممثل مذهب وحدة الوجود أو الواحدية، وأنه بأفكار الواحدية

(١) الفتوحات المكية - ابن عربي: ج ٤ ص ٤٩١.

(٢) الفتوحات المكية - ابن عربي: ج ١ ص ٥٣٥.

(٣) الفتوحات المكية - ابن عربي - تحقيق/ عثمان يحيى: ج ١٣ ص ٤٢٤.

(٤) فصوص الحكم - ابن عربي - شرح القاشاني: ص ٢٤٣.

(٥) فصوص الحكم - ابن عربي - شرح/ القاشاني: ص ٨٤.

(٦) مستشرقة ألمانية عام (٢٠٠٣م) وأستاذة للثقافات الإسلامية والهندية في جامعتي هارفرد ويون. لها العديد من

تلك قد حطم فكرة إسلامية أساسية تقول: بأن الله حي فعال، وبذلك فإنه مسئول عن إسقاط الحياة الدينية الحقّة في الإسلام^(١).

ونعجب حينما نرى بعض أعلام الشيعة الإمامية في عصرنا الحالي وقبله، يُكْمَلُون مسيرة أسلافهم بالدفاع عن طريقة ابن عربي، وعن شطحاته الإلحادية؛ والسبب في ذلك يعود إلى ابتعادهم عن علم أهل البيت عليه السلام، وتمسكهم بما جاء به من تفسيرات لمنطقة الغيب الصغرى، حيث إنها أشبعت فضول تساؤلاتهم التي واجهوها حينما وصلوا لتلك المنطقة، ولم يجدوا سبيلاً لها غير شطحاته^(٢)، في حين أن كلماتهم عليه السلام كانت وما زالت كافية ووافية في المقام لهم.

(وبالجملة، كل من له أدنى معرفة بالشرع، وقواعد الدين، وأنس بطريقة أهل البيت عليه السلام في أحاديثهم وآثارهم وأنوارهم المبتوثة في قلوب الشيعة، يعلم يقيناً جازماً لا يعتره شك ولا شبهة، أن هذه الطريقة مخالفة لطريقتهم، ومباينة لشريعتهم)^(٣).

وعلى أي حال، هذه نماذج من زندقات هذا الملحد، نوردها بنص ما كتبه بيده في كتبه:

١- إدعائه بوحدة الوجود وأن كل شي هو الله ﷻ

لم يكن ابن عربي أول من تكلم بوحدة الوجود، فقد تكلم بها من

(١) الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف - أنا ماري شيميل: ص ٢٩٧.

(٢) المكتوبات - السرهندي: ج ٢ ص ٥.

(٣) تفسير آية الكرسي - السيد كاظم الرشتي: ج ٢ ص ٣٤١.

سبقه كالحلاج وغيره ؛ إلا أن ابن عربي هو من شرحها، وكتبَ فيها، فيُعتبر هو الممثل الأساسي لها، يقول في كتابه "فصوص الحكم":

(إن الله لطيف، فمن لطفه ولطافته أنه في الشيء المسمى كذا المحدود بكذا عين ذلك الشيء، حتى لا يقال فيه إلا ما يدل عليه اسمه بالتواطؤ والاصطلاح، فيقال: هذا سماء، وأرض، وصخرة، وشجرة، وحيوان، ومملك، ورزق، وطعام، والعين واحدة من كل شيء.

وفيه تقول الأشاعرة: إن العالم كله متمثل بالجوهر، فهو جوهر واحد. فهو عين قولنا: العين واحدة)^(١).

٢- يرى أن فرعون مات مؤمناً

من المسائل البديهية في الدين الإسلامي، مسألة موت فرعون كافراً، استناداً لقوله ﷻ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٢).

وابن عربي يخالف نص القرآن، ويقول: (وكان قرّة عين لفرعون بالإيمان الذي أعطاه الله عند الغرق. فقبضه طاهراً مطهراً ليس فيه شيء من الخبث ؛ لأنه قبضه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئاً من الآثام. والإسلام يجب ما قبله، وجعله آية عنايته سبحانه حتى لا ييأس أحد من رحمة الله)^(٣).

(١) فصوص الحكم - ابن عربي: ج ١ / فص حكمة إحصانية في كلمة لقمانية ص ١٨٧.

(٢) سورة غافر - الآية: (٤٦).

(٣) فصوص الحكم - ابن عربي: ج ١ / فص حكمة علوية في كلمة موسوية ص ٢٠١.

٣- الحلولية وعبادة الحجارة

الحلولية تعد من أخبث اعتقادات ابن عربي، فهو يعتقد بأن الله ﷻ قد حل في كل شيء، في الحيوانات، البشر، الحجر، وغيره - تعالى الله سبحانه عن ذلك علواً كبيراً -، وتفرع عن هذا الاعتقاد أن من عبد الحجر فقد عبد الله؛ لأن الله ﷻ حال في الحجر، كما يقول في كتابه "فصوص الحكم" في دعوة نبي الله نوح لقومه:

(فقالوا في مكرهم: ﴿ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا

يَعُوثَ وَيَعْرُقَ وَسُرَّاءَ ﴾^(١)، فإنهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء، فإن للحق في كل معبود وجهاً، يعرفه من يعرفه، ويجهله من يجهله في المحمدين ﴿ ضَقَىٰ رَبُّكَ لَأَ تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾^(٢)؛ أي: حكم.

فالعالم يعلم من عبد، وفي أي صورة ظهر حتى عبد، وأن التفريق والكثرة كالأعضاء في الصورة المحسوسة، وكالقوى المعنوية في الصورة الروحانية، فما عبد غير الله في كل معبود. فالأدنى من تخيل فيه الألوهية؛ فلولا هذا التخيل ما عبد الحجر وغيره)^(٣).

٤- فصوص الحكم من النبي ﷺ

ادعى ابن عربي أن كتاب "فصوص الحكم" هو من عند النبي ﷺ،

(١) سورة نوح - الآية: (٢٣).

(٢) سورة الإسراء - الآية: (٢٣).

(٣) فصوص الحكم - ابن عربي: ج ١ / فص حكمة سبوحية في كلمة نوحية ص ٧٢.

وقد أمره بنشره بعدما أودع فيه جميع ما حده له ، كما يقول في مقدمته : (أما بعد : فإني رأيت رسول الله ﷺ في مُبَشِّرَة أُرِيَتْهَا في العشر الآخِر من محرم سنة سبع وعشرين وستمئة بمحروسة دمشق ، وبيده ﷺ كتاب ، فقال لي : هذا (كتاب فصوص الحكم) خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به ، فقلت : السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا كما أمرنا . فحققتُ الأمانة ، وأخلصت النية ، وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حده لي رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان)^(١) .

٥- تأليف الفتوحات المكية بأمر ربه

ويدعي أن كتاب "الفتوحات المكية" ، قد ألفه بأمر من الله ﷻ ، كما يقول في مقدمته :

(فالله تعالى رتب على يدنا هذا الترتيب ، فتركناه ولم ندخل فيه برأينا ولا بعقولنا . فالله يملئ على القلوب بالإلهام جميع ما يسطره العالم في الجود ، فإن العالم كتاب مسطور إلهي)^(٢) .

٦- الله ﷻ جسم وهو يراه

يصرح ابن عربي بأنه رأى الله ﷻ في عالم الرؤيا ، وهو يقول له : انصح عبادي ، ويؤكد على رؤية الله في مواطن عديدة من كتابه^(٣) .

(١) فصوص الحكم - ابن عربي : ج ١ ص ٤٧ .

(٢) الفتوحات المكية - ابن عربي : ج ٢ ص ١٦٣ .

(٣) الفتوحات المكية - ابن عربي : ج ١ ص ٣٣٤ - ٦٥٨ .

٧- يدعي بأنه وريث النبي ﷺ

ومن شطحاته وزندقته ، ادعاؤه بأنه وريث النبي ﷺ ، فيصرح في كتابه ويقول: (ولما ورثته ﷺ في هذا المقام ، كانت لي هذه الحالة ، كنت أصلي بالناس في المسجد الأزهر)^(١).

٨ - حلول الله ﷻ في النساء

ومن أعظم خرافات هذا الملحد ، أن الله ﷻ يحل في النساء ، وأن مشاهدة الله ﷻ في النساء هي أتم وأكمل مشاهدة ، ولذلك أحب النبي ﷺ النساء ، كما يقول في كتابه: (فشهوده للحق - يقصد بالحق الله - في المرأة أتم وأكمل ؛ لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل منفعلة ؛ ومن نفسه من حيث هو منفعلة خاصة ، فلهذا أحب النبي ﷺ النساء ، لكمال شهود الحق فيهن ، إذ لا يشاهد الحق مجرداً عن المواد أبداً)^(٢).

(١) الفتوحات المكية - ابن عربي: ج ١ ص ٤٩١.

(٢) فصوص الحكم - ابن عربي: ج ١ / فص حكمة فردية في كلمة محمدية ص ٢١٤.

المبحث الثالث

مصادر وعقائد الصوفية

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: مصادر المعرفة لدى الصوفية

المطلب الثاني: الكشف عند الصوفية

المطلب الثالث: وحدة الوجود والاتحاد والحلول

المطلب الرابع: الاشتراك المعنوي

المطلب الخامس: الأدلة النقلية والعقلية على فساد عقائد الصوفية

المطلب الأول

مصادر المعرفة لدى الصوفية

للمصادر والأدوات المعرفية دور وثيق في تأصيل مدى مصداقية تفسير الرؤية الكونية لأي منهج يسعى للوصول إلى حقيقة كنهها، وتأخذ المقدمة المبني عليها الأساس، والغاية، والنتيجة التي تم الوصول إليها، دوراً بليغاً في ضمنية موافقة أو ردّ الشريعة لها.

وموضوع المعرفة الصوفية - بشكل عام - قد أخذ شطراً لا بأس به من تاريخ الفكر البشري؛ ليس لأن علماء لم يتعاملوا مع الأدوات المعرفية المعروفة على أساس أنها وسائل كاشفة عن الرؤية الكونية فقط؛ بل ولأنهم اعتبروها مصادر تشريعية لهم في منهجهم بمعزل عن الكتاب والسنة. هذا كله بغض النظر عن صلوح مقدمتها ونتيجتها، التي لو حققت فيها لن تجد لها مسوغاً مقبولاً عند الشرع.

فالمقدمة والنتيجة في التصوف بكلا قسميه - سواء أكان في العملي، الذي لا يعدو كونه ظاهرة اجتماعية ارتبطت بنوع من السلوك في الآداب

الباطلة، كاللبس والعزلة ونوع الأكل، ثم أخذ مساراً اجتماعياً؛ أو في العلمي، الذي لا يعدو كونه منهجاً فكرياً ضحلاً، يحتاج إلى ركائز مثبتة، وأرضية صلبة من أجل إثبات حقائقه-؛ لم يكن لهما انطلاقة مشروعة حتى توصل إلى نتيجة مشروعة ومقبولة، فمقدمة التصوف العملي لم يكن لها ارتباط بما ذكره الشرع من الرياضة الروحية الصحيحة، فنتيجته حتماً ستكون مخالفة له، ومقدمة التصوف العلمي، الذي استُخدم فيه الكشف الباطل للوصول إلى الحقائق، فإن نتيجته لم تخلُ من الأوهام والشطحات الباطلة كذلك.

وأما الغاية التي نشدوها منذ بداية الطريق الصوفي، والتي هي الوصول إلى حالات عديدة، منها: حالة الفناء، وحالة الوحدة، وحالة الكشف وغيرها؛ فهي كذلك مليئة بما يخالف الشرع والوجدان، والعقل أيضاً^(١).

وغايتهم هذه وإن كان لها وجوه عديدة؛ إلا أن الوصول إلى حالة الكشف أو المكاشفة هي الأهم لديهم؛ لأنها المصدر الحقيقي للحصول على المعارف، التي من خلالها يقوم تفسير الرؤية الكونية عندهم.

أما باقي المصادر الأخرى؛ كنظر العقل، فهو مرفوض لديهم؛ لأن الحقيقة المطلقة عندهم لا يمكن إدراكها بالنظر والقياس، ولا يمكن حتى وصفها بالألفاظ؛ بل تدرك بمشاهدات القلوب، ومكاشفات الأسرار التي

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين - مصطفى صبري: ج ٣ ص ٢٧٣-٢٧٤.

تعلم بالمنازلات والمواجيد^(١)، كما قال ابن عربي: (فإن تعرض لك أيها الأخ المسترشد من يُفرك عن الطريق، فيقول لك: أطلبهم بالدليل والبرهان - يعني أهل هذه الطريقة - فيما يتكلمون به من الأسرار الإلهية، فأعرض عنه، وقل له مجاباً في مقابلة ذلك: ما الدليل على حلاوة العسل، ما الدليل على لذة الجماع، وأشباهاها؟ وخبرني عن ماهية هذه الأشياء، فلا بد أن يقول لك: هذا علم لا يحصل إلا بالذوق، فلا يدخل تحت حد، ولا يقوم عليه دليل، فقل له: وهذا مثل ذلك)^(٢)، وكما قال الجيلي^(٣): (وهذا لا يعرف بطريق العقل، ولا يدرك بالفكر، ولكنه من حصل في هذا الكشف الإلهي عَلم هذا الذوق المحض من هذا التجلي)^(٤).

وأما النقل؛ فهم وإن استخدموه في استدلالاتهم إلا أن استخدامه لم يكن مبنياً على أساس القواعد الإسلامية الأصيلة، التي منها عدم مخالفة ما أجمع واعتقد عليه الفرقة المحقة، وعدم مخالفة العقول السليمة، وعدم مخالفة الآيات الأفاقية والأنفسية، وعدم مخالفة الأحاديث الشريفة، وهو الأهم؛ لأن المعصوم عليه السلام هو من يفهم ألفاظ ورموز القرآن بعد الله ﷻ^(٥)؛ بل إنهم استخدموه على أساس قواعد المذاق الصوفي، التي

(١) التعريف لمذاهب أهل التصوف - الكلاباذي: ص ١٠٥.

(٢) التدبيرات الإلهية - ابن عربي: ص ١١٤.

(٣) هو عبد الكريم بن إبراهيم بن عبدالكريم الجيلي أو الجيلاني. ولد ببغداد في سنة (٧٦٧هـ) وتوفي باليمن في سنة

(٨٢٦هـ). لمعجم البلدان: ج ٢ ص ٢٠١.

(٤) الإنسان الكامل - الجيلي: ج ١ ص ٣٩.

(٥) تفسير آية الكرسي - السيد كاظم الرشتي: ج ١ ص ١٢١-١٢٦.

وضعوها من أجل أن تلائم نتائجهم ؛ لأنه كما لدى علماء الأصول قواعد استنباطية على أساسها يستنبطون الأحكام الشرعية ، كذلك لدى الصوفية قواعد خاصة بهم .

واستخدامهم للنقل - بصورة عامة - جاء من أجل جعل مقبولة لما توصلوا إليه عند الآخرين ؛ أي : ما هو إلا مجرد محاولة تقديم وصف ديني لمعرفتهم ؛ وإلا فإن الناظر في حقيقة منهجهم يدرك أنهم لم يستوعبوا النقل فيه على أساس التمسك بروافد الدين ، وجعله أرضية لهم ؛ بل على أساس إلباس نتائجهم هذا الثوب الديني^(١) ، حيث إنه لو لم يكن كذلك ، لما وجدنا في كلماتهم ما يخالف الدين وبصراحة ووضوح - كقضية وحدة الوجود التي سنتكلم فيها لاحقاً - ، ولما وجدنا فيه ما يرد على أباظليهم ، فالموافقة للشرع تستدعي عدم ورود ما ينفيه ، وعدم وجود راد منه عليه .

وعلى أي حال ، قبل الخوض في حقيقة آلية الكشف عندهم ، وجب علينا ذكر جزئية هامة في منهجهم ؛ بل هي ركن من أركانه ، وهي الفرق بين مصدر الشيخ^(٢) الذي بلغ مرتبة الكشف الكامل ، وبين مصدر المريـد^(٣) .

(١) في التصوف الإسلامي وتاريخه - نيكلسون - ترجمة / أبي الوفاء العفيفي : ص ٧٦-٧٧ .

(٢) الشيخ : لقب يطلق على الصوفي الذي بلغ مرتبة الكشف الكامل . أما الذي لم يبلغ مرتبة الكشف الكامل فيسمى بالسالك أو الفقير أو المريـد في كتبهم . وما يقوله الشيخ يُعتَبَرُ مصدرًا من مصادر المريـد ؛ لأنهم يتعاملون مع الشيخ على أساس أنه مصدرٌ ومربٍ ومرشدٌ . ويجب على المتعلم أو السالك أن يكون كالميت في يدي المَغْسِلِ . أي في يدي شيخه . (المدخل إلى التصوف الإسلامي - محمود أبو الفيصل المنوفي : ص ٤٩٩ .

(٣) المريـد أو السالك : مصطلح يستخدمه الصوفية في كتبهم . ويقصدون به : التلميذ الذي لم يصل بعد إلى مرحلة عين وحدة الوجود . فإذا وصل أطلقوا عليه الشيخ أو المريـد . (عقيدة الصوفية - د . أحمد القصير : ص : ١٣٠٠ .

فالشيخ مصدره في تفسير الرؤية الكونية هو كشفه فقط ، باعتبار أنه (يشاهد الغيوب ، كما يشاهد المرئيات مشاهدة عيان ، ويحكم على الغيب فيخبر عنه بالصدق)^(١) .

أما الصوفي الذي لم يبلغ مرتبة الكشف الكامل ، فمصدره الوحيد خلال طيه لمراتب الطريق يكون الشيخ نفسه ، ومن دونه لا يستطيع المريد بلوغ غاية التصوف ، كما يقول محمد الثقفي^(٢) : (لو أن رجلاً جمع العلوم كلها ، وصحب طوائف الناس ، لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ)^(٣) . فإذا بلغ المريد مرتبة الكشف الكامل ، بعد أن (زكى نفسه على يد مربٍ ومرشد ، فخبّر مراتب النفس ، وأمراضها ووساوسها ، وعرف أساليب الشيطان ومداخله ، وآفات كل مرحلة من مراحل السير ، وطرائق معالجة كل ذلك ، بما يلائم حالة كل شخص وأوضاعه)^(٤) ؛ سمي (مَتَنَفِّسٍ عليه) ، وإذا أقرّ الشيخ كشفه سُمِّيَ (صاحب نَفَس) ، وكان كشفه حينئذٍ مصدرًا من مصادر المعرفة له ولمريديه .

فيمتاز المنهج الصوفي عن غيره من المناهج باعتبار الكشف مصدرًا ومشروعًا له ؛ هذا بغض النظر عن الجانب العملي القائم على تزكية النفس ،

(١) عوارف المعارف - السهروردي : ص ٥٢٨ .

(٢) هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب الثقفي . كان عالمًا بعلوم الشريعة ؛ ولكنه عطلها واشتغل بالتصوف . فأصبح من كبار مشائخها . توفي في سنة (٥٣٢٨هـ) . الرسالة القشرية - : ص ١٠٨]

(٣) طبقات الصوفية - السلمي : ص ٣٦٥ .

(٤) حقائق عن التصوف - عبد القادر عيسى : ص ٧٩ .

وصقل القلب بالمجاهدات ، والإعراض عن الدنيا بالكلية ، أو الجانب العلمي الذي أُرسى فيما بعد لتركيز المفاهيم الصوفية وفق القواعد المذاقية ، أو وفق أداة الاستدلال العقلي المبطن بروح التصوف مصطلحاً ومبدءاً التي مارسها بعضهم ؛ فالكلام هنا واقع من حيثية مصدر منهج التصوف المجرد من الإضافات والتعديلات التي طرأت عليه لاحقاً.

فهو وإن اصطبغ بالصبغة العملية أو العلمية ، وإن تم إضافة أدوات عارضة عليه ، يبقى الأساس فيه هو الوصول إلى مقام الكشف لإدراك الحقائق المطلقة ؛ لأنه المصدر الذي يستمدون منه جلّ معارفهم.

المطلب الثاني الكشف عند الصوفية

على الرغم من قيام البعض برد جميع ما ورد حول قضية الكشف من مقدمة وغاية ونتيجة ؛ إلا أن اعتباريته الصحيحة من حيث بلوغ العلم اللدني المكتسب عن طريق التعليم الرباني قد ورد في الكتاب والسنة ، كما قال ﷺ : ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾^(١) ، وكما قال رسول الله ﷺ : «العلم علمان ، علم اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم ، وعلم في القلب ، وذلك هو العلم النافع»^(٢) .

فالكشف من حيث هو وسيلة إذا اقترنت بما ورد فيها في الشرع لبلوغ العلم اللدني ، هو أمر لا يختلف في شأنه اثنان ؛ ولكن الرد من قبل البعض جاء في الحيشات الموصلة لذلك العلم ، الذي طوبى لقلب يكون محلاً له ، ومنزلاً لوديعة ربه .

(١) سورة الكهف - الآية : (٦٥) .

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٢ ب ٩ / استعمال العلم والإخلاص في طلبه ... ص ٣٣ ح ٢٦ .

فإذا وافقت آلية التحصيل وآلية الإثبات طريقهم، واحتفت بالقرائن والشواهد من الكتاب والسنة، والعقل المستنير بنورهما، كانت حقائق ما توصل إليه العارف مقبولة؛ أما إذا لم تكن كذلك، فهي مردودة بجملتها وتفصيلها.

والصوفية وإن تعلقوا بهذه الأداة، واعتبروها مصدراً لهم لإدراك الحقائق؛ فالكلام معهم ليس من حيث وردودها أو عدم وردودها في الشرع؛ بل في آليتها الموزونة بميزانه، فهي إن كانت موافقة له، فلا كلام عندنا فيها معهم، وإن لم تكن كذلك؛ فالنتيجة التي توصلوا إليها منها تتبع أخس مقدماتها؛ لأن ﴿الَّذِي خَبَثَ لَآئِحْجُجِ الْإِنكِدَاكِ﴾^(١).

ولو حاولنا تنظير حقيقة هذه الأداة لديهم، لأدركنا أن ما يكشف لهم منها ليس هو العلم اللدني بحقيقته؛ بل هو مجرد شبهات باطلة، ورؤى شيطانية من تزيين وإغواء الشيطان، تؤيد مقصودهم وقواعدهم التي بنوا عليها كشفهم.

وعلى هذا، لو كان كشفهم تابعاً لحقيقة عين الشرع، لم يتوانوا عن إثباته به ﴿فِي هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢)؛ لأنه فيصل الإثبات لكل ناظر في حقائقهم؛ ولكن السالك لديهم حينما سار صعوداً في طريقه بشكل غير مشروع، اصطدم بسبيل إثباتها، فكان من ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهُمُ فِي الْحَيَاةِ

(١) سورة الأعراف - الآية: (٥٨).

(٢) سورة البقرة - الآية: (١١١).

الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ لَهُمْ مَحْسُنُونَ صُنْعًا^(١) ، فأخذ عندها يلوي النصوص بما يوافق مذاقه وشبهته ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَاهُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَاهُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ^(٢) ، ويقوم بتأويل باطنها برموز وإشارات تضمن حصوله على بغيته.

ومع اعتبارهم هذا النوع من الكشف مصدراً لتفسير رؤيتهم الكونية ، انزلقوا في دياجر الظلمات ؛ لأنها ليست إلا من وحي الشيطان ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٣) ، وهي ليست مقبولة لبعدها عن منهج الإسلام ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخٰسِرِينَ^(٤) ، واستدعى الأمر تكفيرهم ؛ لأنه لا يوجد لديهم دلائل محكمة ، ولا براهين قاطعة لإثبات مكاشفاتهم.

ونورد هنا - بصورة مختصرة - كيفية الوصول إلى مرحلة الكشف عندهم ؛ من أجل أن نفهم آليتها التي تبدأ من المرید الذي يجب عليه أن يعبر الأحوال والمقامات مع شيخه ، والتي اختلف في عددها وأشكالها لديهم ؛ بسبب اختلاف العامل التاريخي ، ونوع طريقة التصوف.

(١) سورة الكهف - الآية : (١٠٤).

(٢) سورة آل عمران - الآية : (٧٨).

(٣) سورة الأنعام - الآية : (٤٣).

(٤) سورة آل عمران - الآية : (٨٥).

وأول طقوس طريق التصوف تبدأ بالمبايعة، فإذا بايع المرید شيخه - بوضع يده في يد الشيخ - وردَّ معه صيغة البيعة^(١): (بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، اللهم إني رضيت بسيدي السيد محمد عثمان المرغني، شيخاً لي في الدنيا والآخرة... ثم يقول الشيخ للمريد: ثبتك الله على الحق، وعلى الصبر، وعلى الطريقة المحمدية المستقيمة، بحق (أهم سفك حلع يص، وبحق آخون قاف آدم حم هاء) آمين،... ثم يقول الشيخ للمريد: اتخذتك مريداً لسيدي السيد محمد عثمان المرغني الختم؛ رضيت؟ فيقول المرید: قبلت)^(٢)؛ صار المرید كالميت بين يدي شيخه، ووجب عليه (حفظ عهوده مع الله تعالى، فإن نقض العهد في طريق الإرادة؛ كالردّة عن الدين لأهل الظاهر)^(٣).

ثم يقوم الشيخ بالباس الخرقه لمريده^(٤)، وهي علامة الارتباط (بين الشيخ وبين المرید، وتحكيم من المرید للشيخ في نفسه، فيكون لبس الخرقه علامة التفويض، والتسليم)^(٥) التام له في كل ما يأمر وينهى.

(١) تختلف صيغة البيعة من طريقة إلى أخرى. وقد أوردنا هنا مثال منها فقط. وللمزيد من البحث. انظر / صيغة البيعة في الطريقة القادرية والبدوية في: الطرق الصوفية في مصر - عامر النجار: ص ٧٧-١٢٠. وصيغة البيعة في الطريقة الرفاعية في: غلاة الجواهر - محمد أبي الهدي الصيادي: ص ٤٠٩.

(٢) مجموعة الأوراد الكبير - محمد عثمان المرغني: ص ٦٢.

(٣) الرسالة القشيرية - القشيري: ص ٦٣٢

(٤) أي: يأمره بنزع ما عليه من ثياب. ويقوم الشيخ بنزع ما عليه من ثياب كذلك ويلبسها للمريد. وهذا ما يسميه الصوفية (لبس الخرقه). ولبس الخرقه من الطقوس القديمة عند الصوفية. [عقيدة الصوفية - د. أحمد القصير:

فإذا تمت تلك الطقوس ابتداءً مشوار التدرج في المقامات السلوكية، عن طريق الخلوة، والأعمال الشاقة البدنية التي هدفها قهر الشهوة وإضعاف البدن، والجوع، والذكر، وغيرها، وكل ذلك يحصل بتوجيهات الشيخ ومتابعته للمريد؛ لشحذ همته، وإبعاده عن كل ما يحول بينه وبين بلوغ بغيته، وهو الوصول إلى عين الوحدة^(١).

ولهم شروط ومواصفات وقواعد في هذه الأعمال؛ فصفة بيت الخلوة كما قال ابن عربي: (أن يكون ارتفاعه قدر قامتك، وطوله قدر سجودك، وعرضه قدر جلستك، ولا يكن فيه ثقب ولا كوة أصلاً، ولا يدخل عليك ضوء رأساً، ويكون بعيداً عن أصوات الناس، ويكون بابه قصيراً، وثيقاً في غلقه)^(٢).

وأما الجوع؛ فهو ليس كالصيام المشروع، بل هو إما الانقطاع تماماً عن الطعام والشراب، أو التغذية على الحشائش والأعشاب البرية؛ لترويض النفس بتعذيبها مدة طويلة قد تصل إلى أربعين يوماً^(٣).

وأما الذكر؛ فقد أنبى أيضاً على ما هو غير مشروع، كترديده بأعداد هائلة حتى يصل إلى مرحلة الإرهاق الذهني واللساني، واتخاذ وضعيات وحركات له؛ كالهز يميناً وشمالاً، أو غمس الرأس في الماء مع التردد^(٤).

(١) رسالة أحوال المريد مع الشيخ "رسائل ابن عربي" - ابن عربي - تحقيق/ قاسم عباس وحسين عجيل: ص ١٧١.

(٢) الخلوة المطلقة - ابن عربي: ص ٢٦.

(٣) الطبقات الكبرى - الشعراني: ج ١ ص ١٨.

(٤) الكشف عن حقيقة الصوفية - محمود قاسم: ص ٣٤١.

ويجب على المرید خلال طي مرحلة السلوك الامتثال لأوامر مربيه في كل ما يأمره ويزجره، وإن كان في معصية، يقول أحد كبار الصوفية: (لو أمرني الشيخ أن أسجد للاث لسجدت)^(١)، وعدم طلب الدليل على أوامر أو نواهي مربيه؛ لأنها ناقضة للعهد الذي بينهم، وموجبة للطرد^(٢). فكلمات الشيخ عندهم لها قدسيته ومكانتها؛ لأنها كما يقول السهروردي: (كما أن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى، فالشيخ مقتد برسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً، لا يتكلم بهوى النفس)^(٣).

وعليه أيضاً أن يبـالغ في تعظيم شيخه، ويتفانى في محبته، وهذا (من أكبر الشروط الجامعة بين الشيخ ومريده: وهو أن لا يشارك في محبته غيره، ولا في تعظيمه، ولا في الاستمداد منه، ولا في الانقطاع إليه بقلبه)^(٤)؛ بل يجب عليه من ناحية هذا الحب، (حفظ تصور صورة الشيخ في الفكر، وذلك للمريد أفيد وأنسب من الذكر؛ لأن الشيخ واسطة في الوصول إلى الحق جَلَّ وعلا)^(٥)، وأن لا يحجب عنه شيئاً من إضمار البواطن والأسرار، أو ما يحصل له خلال ترقيه، كما يقول الشعراني^(٦): (ومن شأنه أن

(١) تربيتنا الروحية - سعيد حوى: ص ٢٠٢.

(٢) الطبقات الكبرى - الشعراني: ج ٢ ص ١٢٨.

(٣) عوارف المعارف - السهروردي: ص ٤٠٤.

(٤) جواهر المعاني - علي حزام: ج ١ ص ١٣٣.

(٥) الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية - إسماعيل القادري: ص ٢٦.

(٦) هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني. ولد بمصر سنة (٨٩٨هـ). وسكن بالقاهرة وتفقه بها. له مؤلفات

كثيرة منها: الكبرى الأحمر في علوم الشيخ الأكبر. توفي سنة (٩٧٣هـ). [الأعلام - الزركلي: ج ٤ ص ١٨٠].

لا يكتف عن شيخه شيئاً من أحواله الظاهرة والباطنة، وحتى الخواطر التي استقرت عنده^(١).

وما تزال الحال قائمة في السلوك بينهما هكذا، فيتدرج المريد بواسطة شيخه من مقام إلى مقام، حتى يصل إلى مرحلة التلاشي التام بالآنا؛ أي: (حتى يصل المرء إلى مرتبة الاتحاد التام، بحيث لا يبقى إلا هو)^(٢)، وهو مقام الفناء أو السكر أو المحو؛ أي: مقام (زوال الرسوم جميعاً بالكلية في عين الذات الأحادية مع ارتفاع الاثنينية)^(٣)، وهو آخر مقامات السلوك، وفيه يرى الحق متجلياً في هذا الكون^(٤)؛ أي: حال فيه^(٥)، فيختفي عنده الإحساس بالكثرة، ولا يشعر عندها إلا بحقيقة واحدة، وهي: حقيقة الجمع؛ أي: الإشارة (إلى حق بلا خلق)^(٦)، فتحصل له بعدها المشاهدة، وهي: (رؤية الحق في كل ذرة من ذرات الوجود)^(٧)، وحالة الكشف^(٨)، وهي: (بيان ما يستتر على الفهم فيكشف عنه للعبد كأنه رأي عين)^(٩)، أو

(١) الأنوار القدسية - الشعراني: ج ١ ص ١٧٩.

(٢) تاريخ التصوف الإسلامي - د. عبد الرحمن بدوي: ص ١٩.

(٣) اصطلاحات الصوفية - القاشاني: ص ٢٦٥.

(٤) مجلة التصوف الإسلامي: العدد (٧٠) ربيع الأول عام (١٠٤٥هـ) ص ٧٠٥.

(٥) كما يقول الحلاج في شعره: أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدننا. للطواسين - الحلاج: ص ١٣٤.

(٦) اصطلاحات ابن عربي: ص ٥٩.

(٧) تحفة السالكين ودلالة السائرين - السمنودي: ص ١٢٠.

(٨) الكشف لغة: من كُشِفَ الأمر. يكشفه. كشفاً. أي أظهره. للسان العرب - ابن منظور: ج ١٢ ص ١٠٢.

(٩) اللمع - الطوسي: ص ٤٢٢.

هي : (الإطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً)^(١).

وبعد وصوله إلى هذا المقام يعود إلى حالة إبصار الكثرة ؛ ولكن ليس بحال كحالته السابقة - أي : قبل السلوك - ؛ بل يعود بذات متعالية مندكة فيها الحقيقة الكونية المطلقة ، فتبدو له الأشياء على شكل مظاهر ومجالي للذات الإلهية ، فيحصل له الشهود ، وهو (رؤية الحق بالخلق)^(٢) ، والحقيقة ، وهي (شهود الحق في تجليات المظاهر)^(٣) ، والإحسان ، وهو (شهود الله تعالى ، والحضور معه في كل شيء ، ومشاهدة تجليه في كل شيء)^(٤) ، والتحقيق ، وهو شهود الحق في صور أسمائه التي هي الأكوان)^(٥).

فإذا جاز المرید هذه المقامات ، وأتقنها ، ووصل إلى غايته ومرامه ، صار شيخاً ومریباً ، وله أن يشطح^(٦) بما في نفسه ، وصار ما يقوله مصدراً له ولمریديه.

هذه هي آلية الوصول إلى حالة الكشف ، وغيرها من الحالات عندهم ، ونحن نعلم بأنه إن لم يكن جميع ما قُدم فيها ليس مبنياً على أساس الشرع ، فإن في أغلبها مخالفة له :

(١) التعريفات - للجرجاني : ص ٢٣٧ .

(٢) اصطلاحات الصوفية - القاشاني : ص ١٧١ .

(٣) معراج التشوف - ابن عجيبة : ص ٣٠ .

(٥) الفتح الرباني - النابلسي : ص ٢٦٨ .

(٤) اصطلاحات الصوفية - القاشاني : ص ١٧٤ .

(٦) الشطح : (تعبير عما تشعر به النفس حينما تصبح لأول مرة في حضرة الألوهية. فتدرك أن الله هي وهي

(هو). [شطحات الصوفية - د. عبد الرحمن بدوي : ص ١٠٠].

١- كما في بيت الخلوة الذي اتخذوه موطناً لعبادتهم، وبالغوا في صفاته، حتى إن بعضهم اتخذ المقابر والخرائب مكاناً لهذا البيت، والإسلام يدعو إلى العبادة في الأماكن الطاهرة؛ كالمسجد وغيرها، قال تعالى: ﴿وَأَقِمْ وَوَجْهُكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(١)؛ بل وأنه وضع شروطاً للمساجد لتكون صالحة للعبادة الشرعية، كعدم بناء المحاريب الداخلة فيها وتسقيفها؛ لأنها من فعل أعادي الجور، حيث كانوا يفعلون ذلك خوفاً من أعاديهم، وكراهة الصلاة في المصورة منها^(٢).

نعم، لا بأس باتخاذ الأماكن الطاهرة الخاصة للتفعل، وقيام الليل، وغيرها من العبادات بالصورة التي حث عليها الشرع.

٢- وكما في الجوع^(٣) الذي لا نجد له مكاناً في الإسلام؛ فحتى الصيام الواجب فيه إذا كان شاقاً على البعض، وفيه مضرة بالبدن والنفس؛ كصيام المريض، والشيخ الكبير، والمرأة المرضع، وغيرهم، أوجب الإسلام سقوطه عنهم^(٤)، وكذلك حرم صيام الوصال، وهو صيام يوم وليلة، وقيل: هو صيام يومين وليلة^(٥).

(١) سورة الأعراف - الآية: (٢٩).

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٨٠ ص ٣٨٨٣٥٢.

(٣) لا تقصد بالجوع هنا ما حث عليه الشارع من تقليل الطعام إلى درجة الجوع. كما ورد عنه عليه السلام: «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع» لسنن النبي صلى الله عليه وسلم - السيد الطباطبائي: ص [١٨١]؛ بل تقصد به الانقطاع تماماً عن الطعام لدرجة إهلاك النفس.

(٤) الانتصار - الشريف الرضي: ص ١٩٢.

(٥) جواهر الكلام - الجواهري: ج ١٧ ص ١٢٦.

٣- وكما في الذكر المبني على الأوراد الباطلة، والسماع المنطوي على الغناء والرقص؛ فلا نعلم كيف يكون لها مدخلية في الإسلام في حين نهيه عنها، كما قال أبو عبد الله عليه السلام: «استماع اللهو والغناء، يثبت النفاق في القلب، كما يثبت الماء الزرع»^(١)؛ فإذا كان الاستماع إلى الغناء يورث النفاق في القلب، فمن أين لهم صفاء النفس الذي ينشدونه في طريقهم!

٤- وكما في تحريم الملذات والزواج، والسعي في تكسب المعاش. وغيرها من الأمور التي لا نجد لها دليلاً شرعياً يثبت عليها؛ بل كل ما نجده في الشرع هو قائم ضدها.

وعلى أي حال، يكفينا شطراً من النتيجة السقيمة والعقيمة من هذه الآلية لإثبات بطلانها؛ هو إقرارهم بسقوط التكاليف العبادية عن الشيخ عندما يصل إلى تلك الحالة، كما قالوا في أبياتهم:

وبعد الفنا بالله كن كيفما تشا فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر^(٢)

في حين أن التكاليف الشرعية لم تسقط حتى عن أرباب الإسلام، وهم الأئمة عليهم السلام، فمن المعلوم من حالهم المواظبة على العبادات والطاعات طيلة مدة أعمارهم.

هذا بالنسبة إلى بطلان الصور العملية لهذه الآلية، أما الصور العلمية التي قرروها، من قضية وحدة الوجود، والحلول والاتحاد، فسوف نتناولها آنفاً في المباحث التالية، وثبت بطلانها بالنقل والعقل أيضاً.

(١) الحدائق الناظرة - المحقق البحراني: ج ١٨ ص ١٠٧.

(٢) سيدى أحمد الدردير - عبد الحلیم محمود: ص ٩٥.

المطلب الثالث

وحدة الوجود والاتحاد والخلول

للسوفية - بشكل عام - معتقدات وقواعد بنوا عليها أساسات منهجهم ؛ لتدعيم سلوكهم وتقويته، وللترويج له بصورة مقبولة عند الآخرين، وقد استقوا أغلب هذه الأسس من المذاهب القديمة المشابهة لهم في اليونان والهند والصين وفارس - كما ذكرنا في المباحث السابقة -.

وعلى الرغم من تنوع الصوفية، وتفاوت مفاهيم المعتقدات فيما بينهم؛ إلا أن هناك اشتراكاً عند الجميع في بعضها، منها: عقيدة وحدة الوجود، والاتحاد والخلول، التي تُعتبر عصب المذهب الصوفي وقوامه^(١).

وقبل التطرق لبيان بطلانها، كان مما لا بد منه: بيان تعريفاتها اللغوية والاصطلاحية، وذكر بعض النقاط الهامة فيها، واستطراد تاريخها، فنقول:

(١) تاريخ التصوف الإسلامي - د. عبدالرحمن بدوي: ص ٤١.

الأمر الأول: وحدة الوجود

الوَحدة (بفتح الواو): الانفراد.

قال ابن فارس: (الواو والحاء والـدال أصل واحد يدل على الانفراد)^(١).

ووَحدَ الشيء: جعله واحداً، والواحد: هو المنفرد بذاته في عدم المثل والنظير^(٢).

والوجود: الثبوت والحصول، مصدر من وَجد الشيء، يطلق الوجود على الظفر بالضالة وإدراك المطلوب، ويطلق أيضاً على الوصف الذي تشترك فيه الكائنات فيميزها عن المعدومات^(٣).

قال ابن منظور: (وَجَدَ الشيء من العدم فهو موجود)^(٤).
ووحدة الوجود اصطلاحاً:

تعني: (أنه ليس في الوجود إلا واحد هو الله، وكل ما يرى إنما هو أجزاء منه تتعين بأشكال مختلفة)^(٥)، وبأبسط عبارة تعني: أن الله ﷻ والعالم شيء واحد!

وقولهم: إنه ليس في الوجود إلا واحد هو الله ﷻ؛ لا يعني ذلك أنهم

(١) معجم مقاييس اللغة - ابن فارس: ج ٦ ص ٩٠.

(٢) القاموس المحيط - الفيروز آبادي: ج ١ مادة (وَحَدَ) ص ٣٤٣.

(٣) نفس المصدر السابق: ج ١ مادة (وَجَدَ) ص ٣٤٣.

(٤) لسان العرب - ابن منظور: ج ٣ ص ٤٤٦.

(٥) الكشف عن حقيقة التصوف - محمود القاسم: ص ٢٥٩.

ينكرون الأشياء المحسوسة المشهوده؛ بل إنهم ينكرون ثنائية الوجود؛ أي: ينكرون أن هناك وجوداً واجباً، وهو وجود الله ﷻ، ووجوداً ممكناً، وهو وجود جميع المخلوقات، ويعتقدون أن الوجود هو واحد^(١).

يقول النابلسي^(٢):

ليس الوجود كما يقال اثنان حق وخلق؛ إذ هما شيان
هذا المقال عليه قبح عقيدة عند المحقق ظاهر البطلان^(٣)

وأما بالنسبة إلى تفسير الكثرة في الوجود؛ أي: تعدد المظاهر، فإنهم يدعون أنها لا تتنافى مع قولهم بوحدة الوجود أصلاً؛ لأن هذا التعدد يروونه تعدداً نسبياً اعتبارياً لا حقيقياً، كما يقول محمد الحنفاوي^(٤): (عند السادة الصوفية له [أي: للوجود] مفهومان: عام، وهو الأفراد الإضافية، وخاص، وهو حقيقة واحدة مطلقة، موجودة وجوداً حقيقياً واجباً، وأما العام فأمر اعتباري، لا وجود له إلا تخيلاً، وهو مظهر لحقيقة الوجود الحق الواحد، واختلاف أفراد هذا العام بحسب استعدادها؛ فلا يوجب تغييراً ولا تكثرأ في تلك الحقيقة)^(٥).

(١) الموسوعة العربية الميسرة - إشراف محمد شفيق غربال: ج ٢ ص ١٩٤٥.

(٢) هو عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل. الدمشقي. الحنفي. المشهور بالنابلسي. ولد سنة (١٠٥٠هـ). في مدينة دمشق. ونشأ بها تحت كنف والده. الذي كان صوفياً على طريقة ابن عربي. وتوفي سنة (١١٤٣هـ). [الأعلام - الزركلي: ج ٤ ص ٣٢. سلك الدرر - المرادي: ج ٣ ص ٢٣٠].

(٣) ديوان الحقائق - النابلسي: ج ٢ ص ١٧٠.

(٤) هو عبد الرزاق بن أحمد بن أبي الغانم القاشاني. أو الكاشاني. أو الكاشي. شارح كتب الصوفية. وأحد مشائخ الطريقة السُّهروردية. توفي بشيراز سنة (٧٣٠هـ). [الأعلام - الزركلي: ج ٣ ص ٢٣٥].

(٥) الجوهر النقيس - الحنفاوي: ص ٢٦.

فالله ﷻ - عندهم - هو كل شيء ، وكل ما (تراه العيون فهو عين الحق ؛ ولكن الخيال المحجوب سمّاه خلقاً ، لكونه مستوراً بصورة خلقية)^(١) ، وهو يظهر ويتجلى في صور المخلوقات ، و(ما يتجلى إلا على نفسه ؛ ولكن تُسمى تلك اللطيفة الإلهية عبداً ، باعتبار أنها عوض عن العبد ، وإلا فلا عبد ولا رب ؛ إذ بانتفاء اسم المربوب انتفى اسم الرب ، فما ثم إلا الله وحده)^(٢) .

وحينما يقولون : إن الله ﷻ هو (عين كل شيء)^(٣) ، فحتى الأشياء الدنسة السافلة داخله مع ذلك الكل ؛ أي : أن جميع الأشياء ومنها الدنسة هي في الحقيقة ذات الله ﷻ ، تعالى الله ربي عما يقولون علواً كبيراً .
يقول الشُّبْرتي^(٤) في وصف الذات الإلهية :

محبوبي قد عم الوجود	وقد ظهر في بيض وسود
وفي النصارى مع اليهود	وفي الخنازير مع القرود ^(٥)

ويقول ابن عربي :

(العلي بنفسه : هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق جميع الأمور الوجودية والنسب العدمية ، بحيث لا يمكن أن يفوته نعت منها ، وسواء

(١) شرح فصوص الحكم - القاشاني : ص ١٥٢ .

(٢) الإنسان الكامل - الجيلي : ج ١ ص ٦٢ .

(٣) شرح فصوص الحكم - القيصري : ج ٢ ص ٣٨٥ .

(٤) هو علي بن عبد الله الشُّبْرتي النميري الأندلسي . شيخ الطريقة الشُّبْرتية السبعينية . وصاحب الموشحات الصوفية .

ولد سنة (٦١٠هـ) . وتوفي بمصر في سنة (٦٦٨هـ) . الأعلام - الزركلي : ج ٤ ص ٢٣٥ .

(٥) إيقاظ الهمم في شرح الحكم - ابن عجيبة : ص ٥٥ .

كانت محمودة عُرفاً وعقلاً وشرعاً، أو مذمومة عُرفاً وعقلاً وشرعاً، وليس ذلك إلا لمسمى الله خاصة^(١).

ولا فرق عند الصوفية بين وحدة الوجود أو وحدة الموجود؛ لكونهم يرون أن الوجود هو الموجود، كما يقول ابن عربي: (فهو من حيث الوجود عين الموجود)^(٢)، ويقول علي وفا^(٣): (الوجود - بالحقيقة - هو الموجود، والموجود ليس إلا هو الوجود)^(٤). فزعم المدافعون عن الصوفية في عقيدة وحدة الوجود الطافحة في كتبهم؛ بأن مرادهم هو وحدة الموجود لا وحدة الوجود^(٥)، عيب عليهم بالنظر إلى أس مبناهم؛ لأن الصوفية لا يثبتون للمخلوق وجوداً منفرداً أصلاً؛ بل يعتقدون أن وجود المخلوق هو عين وجود الله، وأن الوجود كله واحد، كما يقول النابلسي: (وما هما [أي: الخالق والمخلوق] اثنان، بل عين واحدة)^(٦).

وتاريخ وحدة الوجود قديم جداً، فقد ظهر ظلالها في العبادات الهندوسية - البراهمية^(٧) - القديمة، كما جاء في كتاب "الفيدانتا"

(١) شرح فصوص الحكم - القاشاني: ص ٨٥.

(٢) نفس المصدر السابق: ص ٧٧.

(٣) هو علي بن محمد وفا بن محمد السكندري الشاذلي. ابن شيخ الطريقة الوفاية الشاذلية. وشيخها بعده. ولد بالقاهرة في سنة (٧٥٩هـ). وتوفي في سنة (٨٠٧هـ). [الأعلام - الزركلي: ج ٥ ص ٢٧].

(٤) الطبقات الكبرى - الشعراني: ج ٢ ص ٤٥.

(٥) قضية التصوف المدرسة الشاذلية - عبدالحليم محمود: ص ٢٤٨-٢٥٢.

(٦) حكم شطح الولي - النابلسي: ص ١٩٦.

(٧) دين وثني. نشأ في الهند في القرن العشرين قبل الهجرة. مزج بين عقيدة الشعوب الآرية التي غزت الهند وعقيدة أهل البلد الأصليين. وهو قائم على عبادة الأصنام. ووحدة الوجود. [الهندوسية - محمد العلي: ج ١ ص ٣٤].

الهندوسي: (هذا الكون كله ليس إلا ظهوراً للوجود الحقيقي الأساسي، وإن الشمس والقمر، وجميع جهات العالم، وجميع أرواح الموجودات أجزاء لذلك الوجود المحيط المطلق، إن الحياة كلها أشكال لتلك القوة الوحيدة الأصلية، وإن الجبال والبحار والأنهار تُفجّر من ذلك الروح المحيط، الذي يستقر في الأشياء)^(١).

وكذلك ظهرت في الديانات الصينية - الطاوية -^(٢) القديمة، وفي الفلسفة اليونانية^(٣)، يقول محمود المنوفي^(٤): (أكثر الصوفية الأعاجم خلطوا بين الفلسفة الفارسية القديمة، أو الهندية، وما اقتبسوه عن اليونانية والأفلاطونية الحديثة، وبين تصوفهم الخاص، وقد تأثر أمثال أولئك ببراهمة الهند والفرس في آرائهم وطقوسهم، واعتنقوا قدراً من أفكارهم)^(٥).

الأمر الثاني: الاتحاد والحلول

الاتحاد لغة: أن يصير المتعدد واحداً، مصدر من اتَّحَدَ يَتَّحِدُ، يقال: اتَّحَدَ الشيئان أو الأشياء؛ أي: صارت شيئاً واحداً^(٦).

(١) أديان الهند الكبرى - أحمد شبلي: ص ٧٢.

(٢) دين وثني. نشأ في الصين. على يد فيلسوف صيني اسمه (لي به). ثم سمّاه أتباعه (لامو تسي) أي: الشخص الكبير المجرّب. وطاو تعني: الطريق الصحيح للعمل. [مقارنة الأديان - د. أحمد الشبلي: ص ٤٣].

(٣) العرفان الإسلامي - السيد محمد تقي المدرسي: ص ١٥٦.

(٤) هو شيخ الطريقة الشاذلية. ولد بمنوف في مصر سنة (١٣١٢هـ). أسس الكلية الصوفية لترويج التصوف. ولم أوفق في الوقوف على تاريخ وفاته. [جمهرة الأولياء - المنوفي: ج ٢ ص ٢٦٩].

(٥) جمهرة الأولياء - المنوفي: ج ١ ص ٢٦٦.

(٦) القاموس المحيط - الفيروز آبادي: ج ١ (مادة وَحَدَ) ص ٣٤٣.

الاتحاد اصطلاحاً:

عرفه الصوفية بأنه: تصوير الذاتين واحدة، وذلك بامتزاج الشيين واختلاطهما حتى يصيرا شيئاً واحداً^(١).

يقول الحلاج^(٢):

مُزجتُ رُوحك في رُوحِي كما
فإذا مسَّك شيءٌ مسَّني
تُمزجُ الخمرة بالماء الزلال
فإذا أنت أنا في كلِّ حال^(٣)

الحلول لغة:

هو النزول، مصدر حلَّ يحلُّ، إذا نزل بالمكان، وأصل الحلول من حلَّ عَقَدَ الحبل عند إنزال الأحمال: أي فتحها ونقضها^(٤).

الحلول اصطلاحاً:

هو نزول الذوات الإلهية في الذوات البشرية ودخولها فيها، فيكون المخلوق ظرفاً للخالق^(٥).

يقول الحلاج:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا
فإذا أبصرتني أبصرته
نحن روحان حللنا بدنا
وإذا أبصرته أبصرتنا^(٦)

(١) معجم مصطلحات الصوفية - د. عبد المنعم الحنفي: ص ٩.

(٢) تمت ترجمته.

(٣) ديوان الحلاج: ص ٨٢.

(٤) القاموس المحيط - الفيروز آبادي: ج ٣ مادة (حلَّ) ص ٣٥٩.

(٥) التعريفات - للجرجاني: ص ٦.

(٦) الطواسين - الحلاج: ص ١٣٤.

ويعود تاريخ القول بالاتحاد والحلول إلى بعض الديانات والفلسفات القديمة، منها: النصرانية، حيث زعمت الفرقة الملكانية^(١): (أن الكلمة ما زجت جسد المسيح كما يمازج الماء اللبن)^(٢)، وزعمت الفرقة النسطورية^(٣): أن الذات الحق (تجسد واتحد بجسد المسيح حين ولد)^(٤).

وهناك فرق بين معنى الاتحاد ومعنى الحلول؛ فهما ليسا متفقين كما ذهب إلى ذلك الكثير من الباحثين والمؤرخين يجعلهما شيئاً واحداً مترادفاً. فالإتحاد عند الصوفية: (هو شهود وجود واحد مطلق من حيث إن جميع الأشياء موجودة بوجود ذلك الواحد معدومة في نفسها، لا من حيث إن لها سوى الله وجوداً خاصاً يصير متحداً بالحق).

أما الحلول: فيقتضي شيئين وينقسم إلى قسمين: حلول سرّياني، وحلول جريّاني؛ والأول هو اتحاد جسمين؛ بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما عين الإشارة إلى الآخر؛ كحلول ماء الورد في الورد، فيسمى السّاري حالاً والمسّرّي فيه محلاً. أما الحلول الجريّاني؛ فهو عبارة عن أن يكون أحد الشيئين ظرفاً للآخر، مثل الماء للكأس)^(٥).

(١) الملكانية أو الملكائية قال الشهرستاني: هم أصحاب ملكا الذي ظهر بالروم واستولى عليها ومعظم الروم

ملكائية. الملل والنحل - الشهرستاني: ج ١ ص ٢٢٢.

(٢) الملل والنحل - الشهرستاني: ج ١ ص ٢٢٢.

(٣) النسطورية: طائفة من المسيحيين ينتسبون إلى نسطور يوس بطريك القسطنطينية المتولد في (٤٢٨م). الملل والنحل

- الشهرستاني: ج ١ ص ٢٢٤.

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) شطحات الصوفية - د. عبدالرحمن بدوي: ص ١٥١٤.

وقد يقال: إن شهود هذا الوجود الواحد المطلق في الاتحاد قد حصل من اختلاط وامتزاج شيئين، هما: الخالق والمخلوق؛ أي: أن الأمر مستلزم لاثنتين يحصل بينهما اتحاد. وأما في الحلول: إن نزول الذات الإلهية في الذات البشرية يستلزم حالاً ومحلاً، وهذه اثنيية أيضاً، وكلاهما يخالفان أصلاً مهماً عند الصوفية، وهو وحدة الوجود!

وعلى جري هذا القول، نفى بعض أعلام التصوف الحلول والاتحاد عن مذهبهم، كما قال ابن عربي: (واحذر من الاتحاد في هذا الموضوع؛ فإن الاتحاد لا يصلح)^(١)، واعتبروه شركاً وكفراً؛ لأن من اعتقد بهما فقد أثبت مع الله ﷻ موجوداً آخر، فيكون مشركاً بذلك، ومن أثبت ذلك فقد كفر؛ لأنه جاحد لوحدة الوجود، ومنكر لها^(٢).

غير أن إنكار البعض منهم لذلك لا يعني هذا صحة طريقتهم، أو استقامة عقيدتهم، وإنما جاء الإنكار منهم في ذلك لأنهم يرمون إلى ما هو أسوأ من الحلول والاتحاد، وهو وحدة الوجود.

وورود عبارات الاتحاد والحلول على السنة بعض رموز التصوف، وإنكار البعض الآخر لها؛ لا يدل على وقوع الاختلاف في العقيدة بين الصوفية؛ لأن استخدامهم لمصطلحي الحلول والاتحاد إنما كان من باب التجوز في العبارة، أو من باب محاولة عرض المعتقد بألفاظ مختلفة، أو - على

(١) الأحدية - ابن عربي: ص ٥.

(٢) اللمع - عبدالله الطوسي السراج: ص ٥٤١.

الأكثر - عدم الدقة في اختيار الألفاظ، وهم بالنتيجة لا يعنون بالحلول والاتحاد سوى شيء واحد، وهو وحدة الوجود^(١)، يقول زعيمهم ابن عربي: (إذا سمعت بالاتحاد من أهل الله، أو وجدته في مصنفاتهم، فلا تفهم منه ما فهمت من الاتحاد الذي يكون بين الوجودين؛ فإن مرادهم من الاتحاد ليس إلا شهود الوجود الحق الواحد المطلق، الذي الكل به موجود)^(٢)، ويقول الصوفي ابن المعطي الكتاني^(٣): (لا تظن بالقوم سوءاً من أجل هذه العبارة الموهمة، كالقول بالحلول والاتحاد... فكل ذلك لم يخطر ببالهم، كيف وهم لا يثبتون مع الله سواء؟!)^(٤).

فامتزاج الخالق والمخلوق ليكونا ذاتاً واحدة إنما هو اتحاد الموجودات في وحدة واحدة من حيث كون كل شيء موجوداً بالله، لا من حيث إن له وجوداً خاصاً اتحد به، فالكثرة الموهومة - كما يعبرون عنها - صارت وحدة. وأما نزول الوجود الإلهي الحق في الموجودات الموهومة فليس هناك حلول حقيقي، بل الحال هو المحل، أما الحلول المقتضي للإثنية فهو أبعد ما يكون عن عقيدة المتصوفة؛ هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، قد يكون الاتحاد والحلول هو عبارة عن مقدمة للوصول إلى وحدة الوجود، كما تكلمنا سابقاً في مراحل المريـد مع شيخه.

(١) عقيدة الصوفية - أحمد القصير: ص ٤٥-٥٣.

(٢) الجلالة - ابن عربي: ص ٢٠.

(٣) هو محمد بن محمد بن المعطي السـرغيني الكتاني. من صوفية المغرب. ومن مشايخ الطريقة الكتانية. توفي بمراكش سنة

(١٣٢٩هـ). [الأعلام - الزركلي: ج ٧ ص ١٧٧].

(٤) حل الطلاسم من صلاة القاسم - محمد الكتاني: ص ١٣.

وعلى هذا فإن لهما مأخذين:

الأول: قد يؤخذ فيهما بأنهما وسيلة الوصول إلى وحدة الوجود.

الثاني: قد يؤخذ فيهما معنى لا يختلف بتاتاً عن معنى وحدة

الوجود^(١).

وعلى أي حال، بغض النظر عن كثرة المفاهيم وتزاحمها في كتبهم؛

فإن جميع المفاهيم التي يعبر عنها الصوفية في مقامات السلوك، وإن

اختلفت في مظاهرها فمعناها واحد، وهدفهم منها منذ البداية واحد، وهو

القول بوحدة الوجود، كما يقول أبو العلا عفيفي^(٢): (فسواء تكلم الصوفية

في المحبة، أو الذكر، أو الفناء، أو الفقر، أو الوجود، أو السكر، أو

ال جذب، تجدهم يحومون حول معانٍ مختلفة لحقيقة واحدة، وهي اتحادهم

بالله، أو اتصالهم به، أو قربهم منه)^(٣).

(١) الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة - أنور الجندي: ص ١٣٣.

(٢) باحث مصري. متخصص في الفلسفة. ولد بمصر سنة (١٣٣٦هـ). وهو من المؤمنين بمذهب الوجودية الغريبة

الإلحادي. توفي سنة (١٤٢٣هـ). الموسوعة الفلسفية - أبو العلا عفيفي: ترجمته لنفسه ج ١ ص ٢٩٤.

(٣) التصوف الثورة الروحية في الإسلام - أبو العلام عفيفي: ص ٩.

المطلب الرابع الاشتراك المعنوي

بصورة عامة، إن السبب الذي استدعى القول بوحدة الوجود سواء كان في الإسلام أو قبله، هو تساؤلهم عن الوجود؛ هل هو حقيقة واحدة، أم لا؟ بمعنى آخر، هل وجود الخالق ووجود المخلوق واحد، أم لا؟^(١)

وبغض النظر عن كيفية تشكيل العبارة، وطريقة الاستدلال التي يحكمها نوع المنهج المتبع، والتي هي في الصوفية أظهر وأدل على مطلوبهم من الفلاسفة وغيرهم؛ فإن كل من ذهب إلى هذه المعتقد قال: بأن الوجود مشترك معنوي؛ أي: (إن وجودنا بعينه هو وجوده تعالى؛ إلا أنه بالنسبة إلينا محدث، وبالنسبة إليه تعالى قديم، كذلك صفاتنا، من الحياة والعلم، والقدرة والإرادة وغيرها، فإنها بعينها صفاته سبحانه؛ إلا أنها بالنسبة إلينا صفة ملحقه بنا، والحدوث اللازم لنا لازم لوصفنا، وبالنسبة إليه سبحانه قديمة؛ لأن صفاته لازمة لذاته القديمة)^(٢).

(١) نهاية المرام - العلامة الحلي: ج ١ ص ٣٠.

(٢) الكلمات المكنونة - الفيض الكاشاني: ص ١٣٨.

ومن أجل فهم غاية هذا الأمر، نحتاج إلى استطراد نقطة هامة أولاً، وهي الفرق بين المشترك اللفظي والمشارك المعنوي.

فنقول وعلى الله التوفيق:

المشارك اللفظي: يعني أن لفظاً واحداً يكون موضوعاً لعدة معانٍ، وكل معنى يغير الآخر؛ كلفظ العين، فهو لفظ واحد موضوع لعدة معانٍ: كالباصرة، والجاسوسية، والنابعة، والذهب، والفضة، وغيرها.

فهذا اللفظ يسمى مشتركاً لفظياً؛ لأن اللفظ مشترك، والتغاير في المعنى فقط، وإذا تغايرت المعاني تغايرت المصاديق الخارجية، فمصدق الباصرة يختلف عن مصداق النابعة، وهكذا^(١).

وقد ذهب أبو الحسن الأشعري^(٢)، وأبو الحسين البصري^(٣) إلى القول: بأن الوجود مشترك لفظي بين الموجودات بأسرها؛ أي: يتعدد معناه بتعدد الموجودات. أما القاضي سعيد القمي^(٤)، فقال: بأن الوجود مشترك

(١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد - العلامة الحلي - تعليق / الشيخ حسن الآملي: ص ٣٣.

(٢) هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري. ولد بالبصرة ونشأ ببغداد. وهو إمام الأشاعرة وإليه تنسب الطائفة الأشعرية، توفي سنة (٥٣٤هـ). ودفن بين الكرخ وباب البصرة. [الكنى والألقاب - الشيخ عباس القمي: ج ١ ص ٤٧].

(٣) هو محمد بن علي الطيب البصري المتكلم على مذهب المعتزلة، وهو أحد أئمتهم الأعلام المشار إليه في هذا الفن، توفي ببغداد سنة (٤٤٦هـ). [الكنى والألقاب - الشيخ عباس القمي: ج ١ ص ٥٢].

(٤) هو محمد بن محمد مفيد القمي، العالم الفاضل الحكيم المتشرع العارف الرباني والمحقق الصمداني، من أعظم علماء الحكمة والأدب والحديث، انتهى إليه منصب القضاء في بلدة قم. كان من تلامذة المحقق الفيض الكاشاني، والمولى عبد الرزاق اللاهيجي. له مصنفات فائقة، منها: شرحه على كتاب توحيد الصدوق في مجلدات، والأربعينيات وغير ذلك. [الكنى والألقاب - الشيخ عباس القمي: ج ٣ ص ٥٢].

لفظي - كالقول الأول - ؛ ولكن معناه في الواجب غير معناه في الممكن^(١).
 أما المشترك المعنوي: يعني أن لفظاً واحداً موضوعاً لمعنى واحد، وله مصاديق متعددة؛ كلفظ الكتاب، فاللفظ واحد والمعنى واحد؛ ولكن معناه له مصاديق متعددة، فهو ينطبق على الكتاب الصغير والكبير، والقديم والحديث، وهكذا؛ فالاشتراك هنا في المعنى^(٢).

وكذلك هو حال الوجود - عندهم - : فهو لفظ واحد، وضع لمعنى واحد، وله مصاديق متعددة، فهو ينطبق على قولنا: الله موجود، زيد موجود، الفرس موجود، الشجر موجود، الحجر موجود.. وهكذا.

فحقيقة الوجود واحدة في جميع هذه المصاديق؛ ولكنها خالصة في الواجب الحق ومشوبة في الممكن؛ لاختلاطها بعوارض تنزلاته - كما يقولون في كتبهم^(٣).

واستدلوا على قولهم هذا بعدة وجوه، أهمها:

١- أن الوجود لو كان مشتركاً لفظياً فسيكون هناك بينونة بين الممكن والواجب؛ لعدم وجود جهة جامعة بينهما، لاشتراط المغايرة من جميع الجهات في الاشتراك اللفظي، وهذا لا يصح؛ لدلالة الخلق على الحق؛ لأنهم أثره.

(١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد - العلامة الحلي - تحقيق / الشيخ حسن زادة الآملي: ص ٣٤.

(٢) تفسير آية الكرسي - السيد كاظم الرشتي: ج ١ ص ١٧٠.

(٣) الحكمة المتعالية - الملا صدرا الشيرازي: ج ٢ ص ٢٩٢.

٢- أن القول بالمشترك اللفظي ، مؤداه وجود تعريفات لا نهاية لها للوجود ؛ فلن يمكن تعريفه^(١) .

والحق أن إثباتهم للمشترك المعنوي مما لا شك في بطلانه مصداقاً ؛ وحتى مفهوماً ، فقولهم : بأن الكلام فيه على نحو المفهوم لا على نحو المصداق^(٢) ، لا يعطي نتيجة صادقة ؛ والسبب في ذلك هو :

١- إن ما يهمننا في البحث عن حقيقة الوجود هو المصداق الخارجي لا المفهوم في الأذهان ؛ فلو بُنيت الحقائق على المصطلحات والمفاهيم لما تم الوصول إلى أي حقيقة ما .

٢- لا بد أن يكون لكل مفهوم منشأ انتزاعي في الخارج^(٣) ، فإن قالوا : بأن مفهوم (الله موجود) تم انتزاعه من منشأ خارجي ، قلنا : كيف ! وحقيقة الله ﷻ لا تدرك . وإن قالوا : بأنه ليس لها منشأ انتزاع ، قلنا : فمن أين تم إدراك هذا المفهوم ؟

ونحن بالبداهة ، وبنص الدليل النقلي ، نحكم بأن حقيقة وجود الذات الحق لا يمكن إدراكها مصداقاً ، ولا حتى تصورهما مفهوماً ؛ (لأن الواجب لذاته ليس مفهوماً ، ولا يدخل في الذهن أبداً)^(٤) .

أما بداهة ؛ لوجوب وجود المناسبة بين المدرك والمدرك^(٥) ، فالأشياء

(١) شرح تجريد الاعتقاد - المحقق الحلبي : ص ٣٣ .

(٢) إرشاد الطالبين - السيوري : ص ٣٧ .

(٣) المخازن - الميرزا حسن كُوهر : ص ١٦٢ .

(٤) تفسير آية الكرسي - السيد كاظم الرشتي : ج ١ ص ٢٨٣ .

(٥) المخازن - الشيخ الميرزا حسن كُوهر : ص ٦٢ .

في الحقيقة لا تدرك إلا نظائرها، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها»^(١)، والحواس الظاهرة والباطنة لا تدرك إلا أمثالها وأشباها، كما يقول الإمام الباقر عليه السلام: «كلُّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقِّ معانيه مصنوع مثلكم مردود إليكم»^(٢)؛ فكل ما يتم إدراكه بواسطة الآلات الممكنة لا بد أن يكون من صنعها؛ أي: لا بد أن يكون ممكناً كشاكلتها، كما يقول عليه السلام: «انتهى المخلوق إلى مثله، وألجأه الطلب إلى شكله»^(٣).

وأما نصاً؛ فمنها: قوله عليه السلام: «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا»^(٤)، وقوله عليه السلام: «لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَالُ وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَالَ»^(٥)، وقوله عليه السلام: «كنهه تفريق بينه وبين خلقه، وغيوره تحديد لما سواه»^(٦)؛ وهذا دليل على اختلاف حقيقة الواجب تعالى عن حقيقة مخلوقاته.

٣- وقولهم: بأنها أمور اعتبارية^(٧)؛ يلزمهم القول باعتبارية وجود الحق، واعتبارية وجوبه وأزليته وقدمه أيضاً، وهو بديهي الفساد؛ لأن اعتبارية المعاني المصدرية تلزم اعتبارية مشتقاتها المتأصلة.

(١) نهج البلاغة - الشريف الرضي: ج ٢ خطبة له في التوحيد ص ١٢٠ خطبة رقم (١٨٦).

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٦٦ ب ٣٧ / صفات خيار العباد وأولياء الله... ص ٢٩٣ ح ٢٣.

(٣) الخطبة البيمة. محفوظة في المكتبة الوطنية في طهران. ضمن مجموعة رسائل رقم: (٧٤٤ ع) ص ٢٨٧.

(٤) سورة طه - الآية: (١١٠).

(٥) سورة الأنعام - الآية: (١٠٣).

(٦) عيون أخبار الرضا - الشيخ الصدوق: ج ١ ب ١١ / ما جاء عن الرضا عليه السلام / خطبة له في التوحيد ص ١٣٦ ح ٥١.

(٧) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ١٨٧.

٤- وقولهم: بأن المفاهيم أمور عامة؛ أي: أنها لا تختص بشيء دون شيء من المصاديق، فهي أعم من الواجب والممكن، وقسموا على أثر ذلك مفهوم الوجود العام إلى:

أ- واجب الوجود لذاته، وهو الله ﷻ.

ب- واجب الوجود لغيره، وهو وجود المعلول وقت وجود علته.

ج- ممتنع الوجود لذاته وهو شريك الباري.

د- ممتنع الوجود لغيره: وهو وجود المعلول وقت عدم وجود علته.

هـ- ممكن الوجود لذاته: وهي الممكنات كافة^(١).

واضح البطلان، للأسباب التالية^(٢):

١- أن من شروط القسمة كون المقسم أعم من الأقسام، وانضمامه فيها يكون مع مشخصات كل واحد منها؛ كالفصل^(٣).

فنحن لو أردنا- مثلاً- تقسيم جنس الحيوان، فنقول: ينقسم الحيوان إلى حيوان ناطق (الإنسان)، وإلى حيوان صاهل (الفرس)؛ فالحيوانية انضمت إلى الأقسام جميعها، وقيد المخالفة بينها هو الناطقية والصاهلية.

وعلى جري هذا المثال في تقسيمهم؛ سيكون لمفهوم الوجود الذي انضم إلى الأقسام، ثلاث حالات جميعها باطلة:

أ- في حالة كونه أعم من الواجب والممكن، أي لا هو واجب ولا هو

(١) المنطق - الشيخ محمد رضا المظفر: ص ١١٥.

(٢) انظر / تفسير آية الكرسي - السيد كاظم الرشتي: ج ١ ص ٢٨٣-٢٨٩.

(٣) المنطق - الشيخ محمد رضا المظفر: ص ٨٩.

ممكن ، سيكون من المحالات ؛ لأن الشيء إما واجباً أو ممكناً ، كما قال الإمام الرضا عليه السلام : « وإنما هو الله ﷻ وخلقه ، لا ثالث بينهما »^(١) .

ب- في حالة كونه واجباً ، فيسكون الممكن واجباً أيضاً ، وهذا باطل . وهو اختيار الفلاسفة ، حيث قالوا : بأن الممكن واجبٌ بالغير - أي : أن الممكن عرض قائم بذات الواجب ؛ وهذا يستلزم كون الواجب محلاً للأعراض والحوادث ، ويستلزم قدم الممكنات ، فتكون الأشياء كلها هي ذات الله ﷻ ، وهو كل الأشياء - ، فذهبوا إلى القول بالقدم الزماني للعالم ، وأسسوا قاعدة : بسيط الحقيقة كل الأشياء^(٢) ، وهذه القاعدة تنافي ما ادعوه من القول بوحدة الوجود ، لأن الكثرة منافية للوحدة ، فالتناقض في قواعدهم ظاهر بالبديهة .

ج- في حالة كونه ممكناً ، فيسكون الواجب ممكناً أيضاً ، وهذا باطل .

٢- أن الأمور العامة تجري بين الأشياء الواقعة في رتبة واحدة ، أو في صقع واحد ؛ كالأشياء المتحدة في الجنس ، أو النوع ، أو غيرهما .

ودخول المقسم - مفهوم الوجود العام - في الأقسام يستلزم أن يكون بين واجب الوجود لذاته وباقي الأقسام الأربعة جهة جامعة ، والمائز بينها هو الوجوب أو الامتناع أو الإمكان ؛ وهذا يستلزم التركيب في كل قسم ؛ لأن كل قسم سيكون مركباً : من ما به الاشتراك ، وهو مفهوم الوجود العام ، مع

(١) التوحيد - الشيخ الصدوق : ب ٦٥ / ذكر مجلس الرضا بيانه في علة إرادته تعالى بالعبد سوءاً ص ٤٣٨

(٢) انظر / معنى بسيط الحقيقة كل الأشياء - الشيخ أحمد الأحسائي - تحقيق / الشيخ صالح الدباب : ص ٢٨ .

ما به الامتياز، وهو الوجوب أو الامتناع أو الإمكان؛ وتركيب البسيط - واجب الوجود لذاته - بديهي البطلان.

كما أن وجود جهة مشتركة بين الواجب والممكن باطل، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما يجب في الخلق يمتنع من الحق، وما يجب في الحق يمتنع في الخلق»^(١).

وكون واجب الوجود لذاته قسيماً للممكن عيب على قولهم بالاشتراك المعنوي؛ لأنه من باب القسمة بين الضدين. ومن المعلوم استحالة صدور الضد عن الضد، فلو كان الأسود قسيماً للأبيض في قسمة اللون، فإن صدور الأبيض من الأسود محال، وصدور الممكن من الواجب - الذي اعتبروه علة العلل - سيكون محالاً كذلك بناء على قسمتهم.

٣- ممتنع الوجود لذاته - شريك الباري -، قالوا: بأنه أمر اعتباري في الذهن غير موجود في الأعيان.

ونحن نسأل عن هذا الأمر الاعتباري، كيف تم تصويره في الذهن إذا لم يكن موجوداً في الخارج؟

فمن البديهي أن الأذهان لا تتصور إلا الأمور الخارجية، فالوجود الذهني ما هو إلا مرآة وظل وشبح للوجود الخارجي العيني، ويستحيل تحقق شيء في الذهن من غير أن يكون له منشأ انتزاعي في الخارج^(٢).

(١) الخطبة البيمة. محفوظة في المكتبة الوطنية في طهران. ضمن مجموعة رسائل رقم: (٧٤٤ع).

(٢) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ١٤٩.

فاللفظ لا بد من تحقق الموضوع له في الخارج، فإن كان لفظ الممتنع موضوعاً لشيء خارجي؛ فيلزم أن يكون ذلك المصداق موجوداً لا ممتنعاً، وإن كان اللفظ موضوعاً للمفاهيم الذهنية - كما هو عند البعض -؛ فيلزم أن يكون ذلك الممتنع موجوداً في الذهن أيضاً، فينافي كونه ممتنعاً.

فممتنع الوجود لذاته: إن كان له منشأ انتزاعي في الخارجي أو تم تصوره في الذهن؛ سيلزم القول بوجود شريك للباري، وهو خلاف الضرورة، فقد قال الله ﷻ: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(١)، وقال الرسول ﷺ: «لا مثله شيء، وهو منشئ الشيء حين لا شيء، دائم قائم بالقسط، لا إله إلا هو العزيز الحكيم»^(٢).

وإن قلت: إن وجوده تم بالفرض، أي فرضت وجوده ثم نفيت، فالنفي فرع الإثبات، فيكون إثباته وتحقيقه في الخارجي واقعاً قبل نفيه، وهذا أيضاً يستلزم القول بوجود شريك للباري.

وإن لم يكن له منشأ انتزاعي؛ فسيكون من قبيل تصور الأوهام الممكنة، كما قال الإمام الرضا ﷺ: «لا تقع صورة في وهم ملحد إلا وقد خلق الله ﷻ عليها خلقاً، ولا يقول قائل: هل يقدر الله ﷻ على أن يخلق على صورة كذا وكذا إلا وجد ذلك في خلقه تبارك وتعالى»^(٣).

(١) سورة البقرة- الآية: (١٦٣)

(٢) الاحتجاج- الشيخ الطبرسي: ج ١ / مصادر حديث الغدير ص ٧١.

(٣) بحار الأنوار- العلامة المجلسي: ج ٣ ب ٣ / إثبات الصانع... ص ٤١ ح ١٥.

فالعدم شيء موجود، وإطلاق العدم على الشيء يكون من باب وجود موجود أقوى منه، ويدل على ذلك حديث زرارة وهشام بن الحكم في النبي، حينما قال زرارة: ليس بمخلوق، وقال هشام: هو مخلوق. فقال الإمام الرضا عليه السلام لسائل: «قل في هذا بقول هشام ولا تقل بقول زرارة»^(١).

٤- ممكن الوجود لذاته؛ نحن نسأل: هل إمكان هذا الممكن من نفسه، أم من غيره؟

فإن كان من نفسه فهو واجب الوجود لا ممكن الوجود، وإن كان من غيره فهو ممكن الوجود بالغير.

واستدلّ لهم على عدم وجود الممكن بالغير لاستلزامه انقلاب الحقائق - أي أن جعل الله تعالى الشيء ممكناً ثم موجوداً في الأعيان يستلزم الانقلاب؛ لأنه بعد خروجه من الإمكان، إما أن يكون ممتنعاً، أو يكون واجباً، باطل؛ لاستلزامه نفي القدرة عن الله تعالى.

فانقلاب الحقائق وإن كان من المحالات العقلية؛ إلا أنها ليست بمحال على القادر المتعال، فهو القادر على أن يجعل كل شيء ممكناً حتى الممتنع، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام - في خطبة له في مسجد الكوفة -: «الحمد لله الذي لا من شيء كان ولا من شيء كوّن ما قد كان»^(٢).

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٤ ب ٦ / نادر ص ٣٢٢ ح ١.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام - الشيخ الصدوق: ج ١ ب ١١ / ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار في التوحيد

وبعد تقرير هذا الكلام، نقول:

بأن الحق هو ما ذكره أهل البيت عليهم السلام - كما قال الإمام الرضا عليه السلام:
 «وإنما هو الله تعالى وخلقه، لا ثالث بينهما»^(١) - من أن الوجود ينقسم إلى قسمين^(٢):

١- الوجود الحق: وهو وجوده تعالى، ولا يعلم كيف هو إلا هو، وإطلاق العبارة من باب العنوان لا من باب وقوعها على ذاته.

٢- الوجود الممكن: وينقسم إلى قسمين:

أ- الوجود المطلق: وهو الوجود غير المقيد بشرط يتوقف عليه، وهو الصادر الأول، أو المشيئة، أو علة العلل، أو الحقيقة المحمدية، أو عالم الأمر، أو الفؤاد، وغيرها من الإطلاقات.

ب- الوجود المقيد: وهو الوجود المأخوذ فيه قيد أو شرط. وهو الوجود المطلق بعد إضافة الشخصيات والقيود، أي إضافة الحدود الستة: الكم، الكيف، الجهة، الرتبة، الزمان، والمكان. ومصادقه وجود جميع الكائنات الموجودة في جميع العوالم من وجود الذرة إلى وجود المجرة^(٣).

(١) التوحيد - الشيخ الصدوق: ب٦٥/ ذكر مجلس الرضا بيانه في علة إرادته تعالى بالعبد سوءاً ص ٤٣٨ ح ١.

(٢) انظر / رسائل الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ص ٥٠.

(٣) المخازن - الميرزا حسن كوهن: ص ١٢٢.

المطلب الخامس

الأدلة النقلية والعقلية على فساد عقائد الصوفية

تظافت الآيات والروايات في فساد معتقدات الصوفية، وسوف نقوم

بإيراد البعض منها ؛ لتمام الأمر في هذا المبحث :

١- قال الله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(١).

٢- وقال الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِي شَيْءٌ﴾^(٢).

٣- وقال الله ﷻ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(٣).

٤- وقال الله ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٤).

٥- وروى في خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال :

«الحمد لله الواحد الأحد المتفرد الذي لا من شيء كان ولا من شيء»

(١) سورة التوحيد.

(٢) سورة الشورى - الآية : (١١).

(٣) سورة التوبة - الآية : (٣١).

(٤) سورة محمد - الآية : (١٩).

خلق ، ما كان قدرة بان بها من الأشياء وبانت الأشياء منه... إلى أن قال :
 وحد الأشياء كلها عند خلقه إبانة لها من شبهة وإبانة له من شبهها ،
 لم يحلل فيها فيقال : هو فيها كائن ، ولم ينأ عنها فيقال : هو منها باين ،
 لكنه سبحانه أحاط بها علمه وأتقنها صنعه وأحاط بها حفظه ، لم تعزب عنه
 خفيات غيوب الهواء ، ولا غوامض مكنون ظلم الدجى ، ولا ما في
 السماوات العلى إلى الأرضيين السفلى ، لكل شيء منها حافظ ورقيب ،
 وكل شيء منها بشيء محيط ، والمحيط بما أحاط منها ، الواحد الأحد الصمد
 الذي لا تغيره صروف الزمان ، ولا يتكأده صنع شيء كان»^(١).

٦- وروي عن أبي عبد الله عليه السلام ، في تفسير قوله عَلَيْكَ : ﴿هُوَ لَأَوْلٌ
 وَلَا آخِرٌ﴾^(٢) ، أنه قال :

«إنه ليس شيء إلا يبيد أو يتغير ، أو يدخله التغير والزوال ، وينتقل من
 لون إلى لون ، ومن هيئة إلى هيئة ، ومن صفة إلى صفة ، ومن زيادة إلى
 نقصان ، ومن نقصان إلى زيادة ؛ إلا رب العالمين. فإنه لم يزل ولا يزال بحالة
 واحدة ، هو الأول قبل كل شيء ، وهو الآخر على ما لم يزل ، ولا تختلف
 عليه الصفات والأسماء ، كما تختلف على غيره مثل الإنسان ، الذي يكون
 مرة تراباً ، ومرة لحماً ودماً ، ومرة رفاتاً ورميماً ، فتبديل عليه الأسماء
 والصفات ، والله تعالى بخلاف ذلك»^(٣).

(١) الكافي - الشيخ الكليني : ج ١ ب / جوامع التوحيد ص ١٣٤ ح ١ .

(٢) سورة الحديد - الآية : (٣) .

(٣) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول - العلامة المجلسي : ج ٢ ب / معاني الأسماء واشتقاقها ص ٣٧ ح ٥ .

٧- وروي عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال :

«من زعم أن الله تعالى من شيء، أو في شيء، أو على شيء فقد كفر. قلت: فسره لي، قال: أعني بالحواية من الشيء له، أو بامسك له، أو من شيء سبقه»^(١).

فجميع تلك الأدلة دالة على الوحدانية لله سبحانه وتعالى، وعدم قبول القسمة؛ والاتحاد والحلول، ووحدة الوجود؛ يستلزم منها التعدد والتركيب والانقسام، وغيرها من الأمور التي لا تليق إلا بخلقه.

فهي من صفات الحادث المخلوق؛ وليست من صفات الحق تعالى، كما قال الإمام الرضا عليه السلام: «ونظام توحيد الله نفي الصفات عنه، لشهادة العقول أن كل صفة وموصوف مخلوق، وشهادة كل مخلوق أن له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف، وشهادة كل صفة وموصوف بالاقتران، وشهادة الاقتران بالحادث، وشهادة الحادث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحادث. فليس الله عرف من عرف بالتشبيه ذاته، ولا إياه وحده من اكتننه، ولا حقيقة أصاب من مثله، ولا به صدق من نهاه، ولا صمد صمده من أشار إليه، ولا إياه عنى من شبهه، ولا له تدلل من بعضه»^(٢).

وأما بالنسبة إلى الأدلة العقلية الدالة على فساد معتقد الحلول والاتحاد، ووحدة الوجود؛ فسوف نستطرد هنا - بصورة مبسطة - بعضها:

(١) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول - العلامة المجلسي: ج ٢ ب/ الحركة والانتقال ص ٧١ ح ٨.

(٢) التوحيد - الشيخ الصدوق: ب/ التوحيد ونفي التشبيه ص ٣٤ ح ٢.

١- أن الله ﷻ لا يحل في غيره ؛ لأن الحال مفتقر إلى المحل ، والضرورة تحكم بأن كل مفتقر إلى الغير ممكن - أي محتاج - ، وعلى فرض أن الله ﷻ ممكن لم يكن واجباً ، قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ لِلَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(١).

٢- لو كان الله ﷻ يحل أو يتحد في الأشياء ؛ للزم تغير حاله ، والمتغير حادث ، وهذا باطل بالضرورة ؛ لمنافاتها القدم ، ووجوب الوجود ، فعن أبي عبد الله عليه السلام ، أنه قال : « لا يقع عليه الحدوث ، ولا يحول من حال إلى حال ، خالق كل شيء »^(٢).

٣- لو كان الله ﷻ يحل أو يتحد في الأشياء ؛ فيلزم من ذلك جواز رؤيته ، برؤية ما حل فيه أو تحد به ، وذلك باطل قطعاً ، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أِنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَىٰكَ﴾^(٣).

٤- إن حلول الله ﷻ أو اتحاده في الأشياء ؛ يلزم منه اجتماع القدم والحدوث ، والوجوب والإمكان ، واجتماع تلك الأوصاف المتناقضة في ذات واحدة باطل بالضرورة ، فقد ورد في الدعاء المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام : «ودان بالجحود في كل حالاته ، والله أكبر القاهر للأضداد ، المتعالي عن الأنداد ، المتفرد بالمنة على جميع العباد»^(٤).

(١) سورة فاطر - الآية : (١٥).

(٢) الكافي - الشيخ الكليني : ج ١ ك / التوحيد ب / معاني الأسماء واشتقاقها ص ١١٦ ح ٦.

(٣) سورة الأعراف - الآية : (١٤٣).

(٤) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٨٧ ب / ٩ / أعمال الأسبوع وأدعيته وصلواتها ص ١٣٩ ح ٧.

٥- إن حلول الله ﷻ أو اتحاده في الأشياء، يلزم تعدد الواجب، فيلزم انقسامه، وهذا باطل، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ • اللَّهُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ • وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(١).

٦- إن حلول الله ﷻ أو اتحاده في الأشياء؛ يلزم كونه مركباً أو جزءاً من مركب، والمركب محتاج إلى أجزائه بالضرورة، فيكون وجوده متوقفاً عليها، وهذا باطل، قال الله ﷻ: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾^(٢)، وقال: ﴿إِنَّا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٣).

٧- إن حلول الله ﷻ أو اتحاده في الأشياء؛ يلزم منه إما كون جميع الأشياء حادثة وليس في الوجود قديم، أو كون جميع الأشياء قديمة وليس في الوجود شيء حادث. والأول باطل؛ لثبوت احتياج الحوادث إلى واجب غني يسد فقرها بغناه. والثاني باطل أيضاً؛ للزومه تعدد القدماء، وبطلان تعدد القدماء متفق عليه عند جميع الملل الموحدة، قال الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾^(٤)، وقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٥).

(١) سورة التوحيد.

(٢) سورة الزخرف - الآية: (١٥).

(٣) سورة النساء - الآية: (١٧١).

(٤) سورة إبراهيم - الآية: (١٩).

(٥) سورة الأنبياء - الآية: (٢٢).

المبحث الرابع

حقيقة العرفان عند الشيخ الأوحـد قدس سره

وفيه سبعة مطالب:

- المطلب الأول: مختصر حياة الشيخ الأوحـد قدس سره
- المطلب الثاني: دور الشيخ الأوحـد قدس سره في الفكر الإسلامي
- المطلب الثالث: مصادر منهج الشيخ الأوحـد قدس سره
- المطلب الرابع: أدوات منهج الشيخ الأوحـد قدس سره
- المطلب الخامس: سفر العارف إلى مبدئه عند الشيخ الأوحـد قدس سره
- المطلب السادس: مقامات توحيد العارفين عند الشيخ الأوحـد قدس سره
- المطلب السابع: حول دليل الحكمة عند الشيخ الأوحـد قدس سره

المطلب الأول

مختصر حياة الشيخ الأوحّد سنة قدس

لسنا بصدد إسهاب البحث في الجوانب التاريخية لسيرة الشيخ الأوحّد سنة ؛ لأن سرد حياة حكيم حير العالم بغزارة علمه فنال لقب (الأوحّد) بين أقرانه يُعد فوق طاقة من يحاول ذلك ؛ خصوصاً مع ضياع العديد من مصنفاته، وظلم التاريخ له، وتستر العديد من الأعلام التاريخية على أغلب جوانب معارفه، وجزئيات حياته.

وما ذكرته كتب التراجم^(١) له ما هو إلا محاولة متواضعة، لم ينجح أغلبها في إبانة الصورة الحقيقية لحياة هذا الحكيم ؛ فإن الناظر فيها يجد أنها لم تخلُ من تأويل لا يناسب المقام، أو نسبة شيء إليه من دون تحقيق في المرام.

(١) مثلاً: كتاب (الشيخية) لمحمد حسين آل الطالقاني ؛ الذي تناول سيرة الشيخ الأحسائي بشكل تاريخي شبه مفصل ؛ ولكنه على الرغم من محتواه التاريخي. لم يوفق في بيان أطروحات الشيخ وأفكاره بالشكل الصحيح. فحمل الكتاب في طياته بعض الافتراءات عليه وعلى أتباعه. ولعل عدم فهمه لحكمة الشيخ فهماً دقيقاً هو ما أوقعه في مثل هذه الأمر.

ولأجل إعطاء الصورة الكاملة التي نسعى إلى تقديمها في مبحثنا، كان مما لا بد منه استطراد بعض الأجزاء التاريخية من جوانب سيرته، نوردها في عدة نقاط:

أولاً: سيرة بخط قلمه الشريف

من أجل دقة التحقيق، ولحاجتنا إلى تنظير بعض الأمور في سيرته فيما بعد، ارتأينا أنه من الأفضل لنا في ذلك هو نقلها من أهل الدار لأنهم أدرى بمن فيها^(١).

قال رحمته - في السيرة التي كتبها بخط قلمه الشريف -:

(بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

أما بعد.. فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين، بن إبراهيم، بن صقر، بن إبراهيم، بن داغر - غفر الله لهم أجمعين -، بن رمضان، بن راشد، بن دهيم، بن شمروخ، آل صقر، وهو كبير الطائفة المشهورة بالمهاشير، وشيخهم وبه يفتخرون وإليه ينتسبون.

قعد داغر في بلدنا المعروف بالمطيرفي^(٢) من الأحساء وترك البادية، ومن الله عليه بالإيمان وله الحمد والمنة ليستنقذنا من الضلالة، وكانت أولاده

(١) هناك رسائل استقلت في الترجمة للشيخ الأحسائي. منها: ١- سيرة الشيخ أحمد الأحسائي رحمته. كُتبت بقلمه الشريف. ٢- ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي. كُتبت بقلم نجله الشيخ عبد الله رحمته. ٣- دليل المتحيرين. كُتبت بقلم تلميذة الأول. السيد كاظم الرشدي رحمته.

(٢) من قرى الأحساء الشمالية. وهي قرية متوسطة المساحة. تبعد عن الهفوف - عاصمة الأحساء - (٩٠ كم). ولا زال فيها مسجد ومنزل الشيخ الأوحـد (أعلى الله مقامه) إلى الآن.

كلهم من الشيعة الاثنى عشرية، إلى أن أخرجني وخلصني من الأرحام والأصلاب، حتى أخرجني إلى الدنيا وله الفضل والحمد والشكر.

فخرجت في وقت قد انتشر الجهل وعمّ الناس، خصوصاً في بلدتنا لأنها نائية عن المدن، وليس فيها أحد ممن يدعو إلى الله وعبادته، ولا يعرف أهلها شيئاً من الأحكام، ولا يفرقون بين الحلال والحرام.

وكان مما تفضل عليّ عليه السلام أن رزقني ذرية^(١) كرمهم الله بالعلم، وكان كبيرهم سنّاً وعلماً هو الابن الأعز محمد تقي - أعزه الله وهداه وجعلني من المنية فداه -، التمس مني أن أذكر بعض أحوالي في حالة الصغر، وفي حال التعلم لتكون كالتاريخ، فأجبتة إلى ما التمس مني.

كانت ولادتي في السنة السادسة والستين بعد المئة والألف من الهجرة (١١٦٦هـ)، في شهر رجب المرجب.

وعلى رأس الستين من ولادتي جاء مطر شديد، وأتت بلادنا سيول من الجبال، حتى كان عمق الماء في المكان المرتفع من بلادنا ذراعين ونصفاً تقريباً، وفي ذلك اليوم تولد المرحوم المبرور أخي الشيخ صالح^(٢) - تغمده الله برحمته، وأسكنه بمجوحة جنته -.

وفي اليوم الثالث وقعت بيوت بلدنا كلها، ولم يبق فيها إلا مسجدها،

(١) كان للشيخ الأوحده (أعلى الله مقامه) أربعة أولاد: الشيخ محمد تقي. الشيخ علي نقي. الشيخ عبدالله.

الشيخ حسن. الشيخية. الطالقاني: ص ٥٣.

(٢) الشيخ صالح بن زين الدين الأحسائي. ولد في الأحساء عام (١١٦٨هـ). وتوفي في كرمانشاه عام (١٢٤٠هـ). وهو

أصغر من الشيخ الأحسائي.

وبيت لعمتي فاطمة الملقبة (بجبابة) - رحمة الله عليها - ، وكان عمري حينئذ سنتين ، وأنا أذكر هذه الواقعة .

وعلى مختصر القصة قرأت القرآن وعمري خمس سنين ، وكنت كثير التفكير في حالة طفولتي ، حتى إنني إذا كنت مع الصبيان ألعب معهم كما يلعبون ؛ ولكن كل شيء يتوقف على النظر أكون فيه مقدمهم وسابقهم ، وإذا لم يكن معي أحد من الصبيان أخذت في النظر والتدبر ، وأنظر في الأماكن الخربة والجدران المنهدمة ، أتفكر فيها وأقول في نفسي : هذه كانت عامرة ثم خربت .

وأبكي إذا تذكرت أهلها وعمرانها بوجودهم ، وأبكي بكاء كثيراً ، حتى إنه لما كان حسين بن سياب الباشه حاكم الأحساء ، وتألّب عليه العرب ، وأتى محمد آل عزيز وحاصروا الباشه ، وقتلوا الروم وأخذوا الأحساء ، وحكم فيها محمد آل عزيز . وبعد أن مات حكم في الأحساء ابنه علي آل محمد ، وقتله أخوه دجين أبو عرعر ، وكان مقتله قرب عين الحوار (بالحاء المهملة) ودفن هناك ، فإذا مررت وعمري خمس سنين تقربياً بقبره أقول في نفسي : أين ملكك؟ أين قوتك؟ أين شجاعتك؟ وكان في حياته على ما يذكرون أشجع أهل زمانه ، وأشدّهم قوة في بدنه ، وأتذكر أحواله وأبكي بكاءً شديداً على تغيير أحوال الدنيا وتقلبها وتبدلها .

وكانت هذه حالتي إن كنت مع الصبيان في لعبهم فأنا مشتغل باللعب معهم ، وإن كنت وحدي فأنا أتفكر وأتدبر .

وكان أهل بلدنا في غفلة وجهل ، لا يعرفون شيئاً من أحكام الدين ، بل كان أهل البلد صغيرهم وكبيرهم لهم مجامع يجتمعون فيها بالطبول والزمور ، والملاهي والغناء والعود والطنبور .

وكنت مع صغري لا أقدر أصبر عن الحضور معهم ساعة ، وعندني من الميل إلى طرفهم ما لا أكاد أصفه ، وأبكي وحدي شوقاً إلى ما أتخيله من أفعالهم ، حتى أكاد أقتل نفسي ، وإذا خلوت وحدي أخذت في الفكر والتدبر ، وبقيت على هذه الحال .

فلما أراد الله سبحانه إنفاذي من تلك الحالات اجتمعت مع رجل من أقاربنا ، من المقدمين في طرق الضلالة ، المتوغلين في أفعال الغواية والجهالة . وقال : أنا أريد أنظم بعض أبيات الشعر وأريدك تعيني - هذا وأنا صغير ما بلغت الحلم ..

فقلت له : أفعل .

فقعدنا في خلوة ، فأخذ أوراقاً صغاراً عنده يقلب فيها ، وإذا فيها أبيات شعر منسوبة للشيخ علي بن حماد البحراني الأوالي^(١) - تغمده الله برحمته ورضوانه - في مدح الأئمة عليهم السلام ، وهي :

قاموا من الفرش للرحمن عبادا

لله قوم إذا ما الليل جنّهم

لأنهم جعلوا للأرض أوتادا

الأرض تبكي عليهم حين تفقدهم

وفي القيامة سادوا كل من سادا

هم المطيعون في الدنيا لخالقهم

(١) الشيخ علي بن حماد البحراني. من العلماء الأعلام. توفي عام ٩٩٩هـ.

محمد وعلي خير من خلقوا وخير من مسكت كفاه أعوادا
ويركبون مطايا لا تملهم إذا هم بمنادي الصبح قد نادى
فلما قرأ هذه الأبيات ألقاها وقال: الحاصل أن الذي ما يعرف النحو ما
يعرف الشعر.

فلما سمعت هذا الكلام منه تذكرت أن هنالك صبياً - أمه بنت عم
أمي، تغمده الله برحمته -، اسمه الشيخ أحمد بن محمد آل ابن حسن، يقرأ في
النحو في بلدة قريبة من بلدنا بينهما فرسخ، عند المرحوم الشيخ محمد بن
الشيخ محسن - قدس الله روحه -.

قلت - للشيخ أحمد -: ما أول شيء يقرأ فيه من النحو.

فقال: عوامل الجرجاني.

فقلت له: أعطني كتبها.

فأخذتها وكتبتها، ولكنني استحي أن أذكر لوالدي - قدس الله روحه ونور
ضريحه -؛ لأنه كان عندي من الحياء شيء ما يتصور، حتى إن ذلك الحال
الذي أشرت إليهم من الاشتياق إلى أفعال أولئك الفساق ما اطلع عليه أحد
إلا الله سبحانه، فمضيت فيه إلى موضع من بيتنا يقعد فيه والدي ووالدتي
ونمت فيه، وبينت بعض الأوراق التي فيها العوامل، وأتت والدتي - وأنا
مغمض عيني كأني نائم -.

ثم أتى والدي وقال لوالدتي: ما هذه الأوراق التي عند أحمد؟

قالت: ما أعلم.

فقال: ناولينها.

فأخذتها وأنا أرخيت أصابعي - من حيث لا تشعر - حتى تأخذ القرطاس، فأخذتها وأعطتها والدي - رحمه الله -.

فنظر فيها وقال: هذه رسالة نحو، من أين له هذه؟

قالت: ما أدري.

فقال: رديها مكانها.

فردتها وألنت أصابعي - من حيث لا تشعر - فوضعتها في يدي وبقيت قليلاً، ثم تمطيت وانتبهت وأخفيت القرطاس، كأني أحب أن لا يطلع عليها.

فقال لي والدي: من أين لك هذه الرسالة النحوية؟

قلت: كتبتها.

فقال لي: تحب أن تقرأ في النحو؟

فقلت: نعم. وجرت (نعم) على لساني من غير اختياري - وأنا في غاية الحياء، كأن قولي نعم من أقبح الأشياء -، ولكن الله - وله الحمد والشكر - أجراها على لساني من غير اختياري. فلما كان من الغد أرسلني مع شيء من النفقة إلى البلد التي فيها الرجل العالم، أعني الشيخ محمد بن الشيخ محسن القرين، ووضعتني مع ذلك الصبي - الذي تقدم ذكره - وهو الشيخ أحمد - رحمه الله -، فكان شريكاً في الدرس عند الشيخ محمد، وقرأت العوامل والآجرومية عنده.

ورأيت في المنام رجلاً كأنه من أبناء الخمس والعشرين سنة، أتى إليّ وعنده كتاب، فأخذ يُعرِّف لي قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۖ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾^(١)، مثل خلق أصل الشيء؛ يعني هيولاه، فسوى صورته النوعية، وقدر أسبابه فهدها إلى طريق الخير والشر، يعني من هذا النوع، وإن لم يكن خصوص ما ذكرته، فانتبهت وأنا منصرف الخاطر عن الدنيا، وعن القراءة التي يعلمناها الشيخ؛ لأنه إنما يعلمنا: زيد قائم، زيد: مبتدأ، وقائم: خبره.

وبقيت أحضر المشايخ ولا أسمع لنوع ما سمعت في المنام من ذلك الرجل شيئاً. وبقيت مع الناس بجسدي، ورأيت أشياء كثيرة لا أقدر أحصيها منها:

أني رأيت في المنام كأنني أرى جميع الناس صاعدين على السطوح يتطلعون لشيء، فصعدت أنا سطح بيتنا، وإذا أنا أرى شيئاً أتى مما بين المغرب والجنوب، وهو معلق بالسمااء بطرف منه، وطرف آخر متدل كالسرادق وهو مقبل إلينا - أنا والناس كلهم -، وكلما قرب منا انخط إلى جهة الأسفل، حتى وصل إلينا، وكان أسفل ما منه ما كان عندي وقبضته بيدي، وإذا هو شيء لطيف لا تدركه حاسة اللمس بالجسم إلا بالبصر، وهو أبيض بلوري يكاد يخفى من شدة لطافته، وهو حلقٌ منسوجة على هيئة نسج الدرع، ولم يصل إليه أحد من تلك الخلائق المتطلعين إليه غيري.

ورأيت ليلة أخرى: كأن الناس كلهم يتطلعون على السطوح - كالرؤيا الأولى - إلى شيء نزل من السماء وقد سدَّ جهة السماء، إلا أن جميع أطرافه متصلة بالسماء ووسطه منخفض، ولم يصل إليه من تلك الخلائق أحد غيري؛ لأن أخفض ما في وسطه المتدلي هو الذي وصل إليّ، فقبضته بيدي، فإذا هو غليظ ثخين.

ورؤى لي - أيضاً -: كأن جبلاً عالياً إلى عنان السماء، وحوله من جميع جوانبه رمال سيّالة، وكل الخلائق يعالجون في صعوده، ولم يقدر أحد منهم أن يصعد منه قليلاً، وأتيت أنا وصعدته كلمح البصر، بأسهل حركة إلى أعلاه، وأمثال ذلك من الأمور الغريبة التي أعجز عن إحصائها.

ثم إنني رأيت ليلة: كأنني دخلت مسجداً، فوجدت فيه رجالاً ثلاثة، وشخص آخر يقول لكبير الثلاثة: يا سيدي كم أعيش؟

فقلت: من هؤلاء؟ ومن هذا الذي تسأله؟

فقال: هذا الحسن بن علي ابن أبي طالب عليه السلام، فمضيت إليه وسلمت

عليه وقبلت يده، وتوهمت أن الذين معه الحسين وعلي بن الحسين عليهم السلام.

فقال عليه السلام: هذا علي بن الحسين، وهذا الباقر عليه السلام.

فقلت: أنا يا سيدي كم أعيش؟

فقال: خمس سنين أو أربع سنين، أو قال: خمس سنين وأربع سنين.

فقلت له: الحمد لله.

فلما عَلِمَ مني الرضا بالقضاء قعد عند رأسي، وذلك كأنني حين

إظهارى الرضا بما قال نائم على قفـاي ، ورأسى إلى جهة القطب الجنوبى ،
 وهم عليه السلام قيام على جانبى الأيمن ، كالمصلين على الميت ، إلا أن الحسن عليه السلام
 مما يلى رأسى ، فلما أظهرت الرضا بالقضاء قعد عند رأسى ، ووضع فمه
 على فمى ، فقال له على بن الحسين عليه السلام : أصلح إن كان فى فرجه خراب .

فقال الحسن عليه السلام : الفرج لا يخاف منه وإن أعقمه الله ، فإنما يخاف من
 القلب ، فتعلقت به فوضع يده على وجهى وأمرها على صدري ، حتى
 وجدت برد يده الشريفة فى قلبى . ثم كأنى أنا وهم قيام ، فقلت له : يا
 سيدي أخبرنى بشيء إذا قرأته رأيتكم . فقال لى :

كن عن أمورك معرضا	وكل الأمور إلى القضا
ولربما اتسع المضيق	وربما ضاق الفضاء
ولرب أمر متعب	لك فى عواقبه رضا
الله يفعل ما يشاء	فلا تكن متعرضا
الله عودك الجميل	فقس على ما قد مضى

ثم قال :

رب أمر ضاقت النفس به	جاءها من قبل الله فرج
لا تكن من وجه روح آيسا	ربما قد فرجت تلك الرتج
بينما المرء كئيب دنف	جاءه الله بروح وفرج

وكان يقرأ من الأول فقرة ، ومن الثانى فقرة ، فقلت : وكيف هذا؟

فقال عليه السلام : قد يستعمل فى الشعر هكذا!

فقلت : يا سيدي هل رأيت القصيدة التي أولها :

ألا انظرن يا خليلي بين أحوالي في أيها هو أحلى لي وأحوى لي
فقال : رأيتها وهي عجيبة إلا أنها ضائعة ، وذلك إنما قال عليه السلام ذلك لأنني
نظمتها في التغزل .

فقلت له : إن شاء الله تعالى أنظم في مدحك قصيدة .

ثم إنني أحببت انصرافهم لئلا أنسى هذه الأبيات ، وثقة مني
بوعده عليه السلام . ثم إنني ذات ليلة قعدت آخر الليل لصلاة الليل ، وكان قريب
بلدنا بلد اسمها (البابة) وفيها نخلة طويلة جداً ، ما رأيت منذ خلقت نخلة
طولها وعليها حمامة راعية وهي تنوح ، فذكرتني تلك الرؤيا ومن رأيت ،
فنظمت القصيدة في مدحهم عليهم ، التي أولها :

بي العزا عز وجل الوجل وماج مدمعي بما احتمل
وهي موجودة .

والحاصل ثم إنني بقيت أقرا الأبيات كل ليلة وأكررها ولا أراهم عليهم
كم شهر .

ثم إنني استشعرت أنه عليه السلام ما يريد مني قراءة الأبيات ، وإنما يريد مني
التخلق بمعانيها ، فتوجهت إلى الإخلاص في العبادة وكثرة الفكر ، والنظر في
العالم ، وكثرة قراءة القرآن ، والاعتبار والاستغفار في الأسحار .

فرأيت منامات غريبة عجيبة في السماوات وفي الجنات ، وفي عالم الغيب
والبرزخ ، ونقوشاً وألواناً تبهر العقول .

ثم انفتح لي رؤيتهم ﷺ ، حتى إني أكثر الليالي والأيام أرى من شئت منهم ، على ما أختار منهم الذي أراه ﷺ .

وإذا رأيت أحداً منهم وانتبهت وانقطع كلامي قبل تمامه ، رجعت في النوم ورأيت ذلك الذي رأيته عند منقطع كلامي حتى أتممه ، وإذا ذكر لي أحد من الناس أن إذا رأيتهم تسأل لي الدعاء ، رأيت كذلك . وقد ذكر لي أخي الشيخ صالح أن إذا رأيت القائم ﷺ فاسأله لي الدعاء ، فرأيت القائم ﷺ وقلت له : يا سيدي إن أخي صالحاً يسألك الدعاء ، فدعا له وقال : في زوجته ولد ، ثم حملت زوجته بزین الدين ابنه .

وكنت في أول انفتاح باب الرؤيا رأيت الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ ، فسألته عن مسائل فأجابني ، ثم وضع فمه الشريف في فمي وبقي يجّ علي من ريقه وأنا أشرب وهو ساخن ، إلا أنه ألدّ من الشهد قدر نصف ساعة ، وكل ذلك وأنا أشرب من ريقه .

ثم بعد كم سنة رأيت النبي ﷺ وقلت : يا سيدي أريد منك أن أخلع الدنيا أصلاً ، بحيث لا أعرف . فقال : هذا أصلح .

فشددت عليه في الطلبة فتغافلني ومضى عني من حيث لا أشعر ، ففتشت عليه ثم وجدته وقلت له : أنا أريد منك هذا الطلب .

فقال : يمكن بعد حين ، فتغيب عني فطلبته فوجدته وشددت عليه مراراً .

فمرة يقول : هذا أصلح ، ومرة يقول : بعد حين .

فلما آيست من مطلبي قلت له : إذن زودني ، فرفع يمينه الشريفة وأراد أن يمسح بها على وجهي وصدري .
فقلت له : ما أريد هذا .
فقال لي : ما تريد ؟

قلت : أريد تسقيني من ريقك ، فوضع فمه على فمي ومجّ عليّ من ريقه ما ألدّ من الشهد ، وأبرد من الثلج ، إلا أنه قليل ، وكنت وهو الطيب قائمين فضعفت لشدة اللذة وبرد الماء فقعدت ، ثم قمت وهو يضحك من قعودي وضعفي ، وسقاني مرة أخرى كالأولى ثم مضى .

والحاصل أنني رأيت أكثر الأئمة عليهم وظني كلهم ، إلا الجواد عليه فإني متوهم في رؤيته . وكل من رأيت منهم يجيبني في كل ما طلبت ، إلا مسألة الانقطاع ، فإن جوابهم لي فيه كجواب النبي صلى الله عليه وسلم .

وكنّت مدة إقبالي سنين متعددة ما يشتهه عليّ شيء في اليقظة إلا وأتاني في المنام ، وأشياء ما أقدر ضبطها لكثرتها .

وأعجب من هذا ما أرى في المنام إلا على أكمل ما أريده في اليقظة ، بحيث يفتح لي جميع ما يؤيد أدلته ويمنع ما يعارضه .

وبقيت سنين كثيرة على هذه الحال ، حتى عرفني الناس ، واشتغلت بهم عن ذلك الإقبال ، وانسد ذلك الباب المفتوح ، فكنت الآن ما أراهم عليهم إلا نادراً من الأحوال .

وكان من جملة هذه الأمور النادرة أنني رأيت أمير المؤمنين عليه

في مجلس مشحون من العلماء والأجلاء ، فلما أقبلت قام عليه السلام فقعدت عند النعل.

فقال : أقبل ما هذا مكانك ، فقمتم ثم قعدت قريباً .

فقال : أقبل .

ولم يزل عليه السلام يقربني حتى أقعدني في جانبه ، فكان مما سألته : هل يجوز

بيع الصبرة؟

فقال : لا .

ثم ذكرت له حاجتي ، فقال : أنا ما في يدي شيء .

فقلت له : نعم ، ولكنني أتيت إليك من الذي بيني وبينك أريد مما أعرف

من مقامك عن الله . فلما قلت له ذلك قال : إن شاء الله يكون بعد حين .

وكنت في تلك الحال دائماً أرى منامات وهي إلهامات . فإني إذا خفي

عليّ شيء رأيت بيانه ولو إجمالاً ، ولكنني إذا أتاني بيانه في الطيف وانتبهت

ظهرت لي المسألة بجميع ما يتوقف عليه من الأدلة ، بحيث لا يخفى عليّ

أحوالها ، حتى إنه لو اجتمعت الناس ما أمكنهم يدخلون عليّ شبهة فيها ،

فأطلع على جميع أدلتها . ولو أوردوا عليّ ألف منافع ، وألف اعتراض ظهر

لي محاملها وأجوبتها بغير تكلف ، ووجدت جميع الأحاديث كلها جارية

على طبق ما رأيت في الطيف ؛ لأن الذي أراه في المنام معاينة لا يقع فيه

غلط . وإذا أردت أن تعرف صدق كلامي فانظر في كتبي الحكمية ، فإني في

أكثرها في أغلب المسائل خالفت جل الحكماء والمتكلمين ، فإذا تأملت في

كلامي رأيتَه مطابقاً لأحاديث أئمة الهدى عليهم السلام، ولا تجد حديثاً يخالف شيئاً من كلامي. وترى كلام أكثر الحكماء والمتكلمين مخالفًا لكلامي ولأحاديث الأئمة عليهم السلام، حتى بلغ منهم الحال إلى أن أكثرهم ما يعرفون كلام الإمام عليه السلام، ولكن إذ أردت البيان فانظر بعين الإنصاف لتعرف صحة ما ذكرت، فإني ما أتكلم إلا بدليل منهم عليهم السلام.

ولقد كان بيني وبين الشيخ محمد بن الشيخ حسين بن عصفور البحراني - رحمهم الله - بحث كثير، وأكثر الإنكار عليّ، ثم انصرفنا. فلما جاء الليل رأيت مولاي علي بن محمد الهادي - عليه وعلى آباءه الطيبين وأبائنا الطاهرين أفضل الصلاة وأزكى السلام -، فشكوت إليه حال الناس، فقال عليه السلام: اتركهم وامض فيما أنت فيه.

ثم أخرج إليّ أوراقاً على حجم الثمن، وقال: هذه إجازاتنا الاثنا عشر، فأخذتها وفتحتها وإذا كل صفحة مصدرة: بسم الله الرحمن الرحيم، وبعد البسملة إجازة واحدة منهم عليهم السلام.

وكان مما أمروني به ووعدوني به ووصفوني عليهم السلام به، ما لا يصدق به كل من سمع استعظماً له، وإنني لست أهلاً له، حتى إنني قلت للنبي صلى الله عليه وآله: من القائل بذلك.

فقال: أنا القائل.

فقلت: يا سيدي أنت تعرفني، وأنا أعرف نفسي، أني لست أهلاً لذلك، فلأني سبب قلت ذلك.

فقال : بغير سبب.

فقلت : بغير سبب.

فقال : أمرت أن أقول كذا.

فقلت : أمرت أن تقول كذا.

فقال : نعم ، وأمرت أن أقول إن (ابن أبى مدربس) من أهل الجنة ، وكان رجلاً من أهل بلدنا من جهال الشيعة.

وقال - أيضاً- : وأمرت أيضاً أن أقول إن (عبد الله الغويدري) من أهل الجنة.

فقلت : عبد الله الغويدري من أهل الجنة!

فقال : لا تغتربأن ظاهره خبيث ، فإنه يرجع إلينا ولو عند خروج روحه.

وكان عبد الله الغويدري رجلاً عشاراً من أهل السنة والجماعة ، ولم نسمع منه شيئاً من الخير ، إلا أنه كان يحب جماعة من السادة من أقاربنا ، ويخدمهم ويعظمهم ويكرمهم غاية الإكرام. ثم بعد مدة تكلمت بهذا الكلام بمحضر جماعة من الشيعة ، فقال شخص منهم اسمه عبد الله ولد ناصر العطار ، وكان بينه وبين عبد الله الغويدري صداقة ومؤاخاة ، فقال : عبد الله الغويدري شيعي. فقلنا : ليس بشيعي.

فقال : والله إنه شيعي ، ولا يطلع عليه إلا الله وأنا ، وهورفيقي

وأنا أعرفه.

والحاصل من الاتفاق أن طوائف من البوادي، اعتدوا على طائفة من الشيعة من أهل القطيف، ووقع بينهم حرب، واستعان الشيعة بأهل الأحساء عسكرياً لإعانة أهل القطيف على البوادي، وكان من جملة من خرج معهم عبد الله الغويدري، فقتل في جملة من قتل، فختم له بالشهادة في الدفاع عن المؤمنين.

والحاصل أن من الأمور الغريبة تعبير ما ذكرت من الرؤيا التي تقدم ذكرها، فإنه مما لا يحسن بيانه؛ خصوصاً للجهال. وأما أنا فإن افتريته فعليّ إجرامي.

ولقد ورد عن الباقر عليه السلام، أنه قال: «ما من عبد أحبنا وزاد في حبنا، وأخلص في معرفتنا، وسئل مسألة إلا ونفتنا في روعه تلك المسألة»^(١).
ولقد فتح الله أشياء ما أعرف أصفها للناس، وكل ذلك من التخلق بتلك الأبيات المتقدمة.

فأنت وفقك الله إذا أردت شيئاً فأقبل على الله على النحو الذي أمر به الشارع عليه السلام، وتفهم قول الله تعالى: ﴿فَاذْكُرْ فِي أَذْكُرْكُمْ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿مَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾^(٣)^(٤) انتهى كلامه.

(١) الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة - الشيخ جواد الكربلائي: ج ٤ ص ٣٧٢.

(٢) سورة البقرة - الآية: (١٥٢).

(٣) سورة التوبة - الآية: (٦٧).

(٤) نقل هذه السيرة الميرزا محمد تقی بن الملا محمد حجة الإسلام المامقاني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. من نسخته نقلت من خط الشيخ الأحسائي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وأخرجها د. حسين علي محفوظ في عام (١٣٧٦هـ) تحت عنوان "سيرة الشيخ الأحسائي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ".

ثانياً: سيرته العلمية

كان الشيخ الأوحـد - أعلى الله مقامه - من الرعيل الأول من بين كبار علماء الشيعة الإمامية^(١)، وقد انصب جهده العلمي في جوانب عديدة منها:

الجانب الأول: إجازاته

هاجر - أعلى الله مقامه - إلى العراق في سنة (١١٨٦هـ)، وتنقل بين النجف وكربلاء^(٢)، ونال العديد من الإجازات من أعظم العلماء آنذاك، ومنهم:

١- السيد محمد مهدي الطباطبائي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٣)، وتاريخ إجازته عام (١٢٠٩هـ)^(٤).

٢- السيد علي الطباطبائي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، صاحب (كتاب الرياض)^(٥)، لم يرد تاريخ لإجازته^(٦).

(١) لم يعرف للشيخ الأوحـد (أعلى الله مقامه) أساتذة. كما لم يذكر هو في ترجمته لنفسه غير الشيخ محمد محسن القرين الأحسائي.

(٢) الشيخية - الطالقاني: ص ٣٥.

(٣) وهو من أكابر علماء عصره. علماً وأدباً. تخرج عليه جمع من أعظم الفقهاء وعمد الطائفة. وهو جد أسرة (أل بحر العلوم) العلمية في النجف. ولد في كربلاء عام (١١٥٥هـ). وتوفي في النجف عام (١٢١٢هـ). لامتتهى المقال في أحوال الرجال - للشيخ أبي علي الحائري: ص ٣١٤.

(٤) الذريعة إلى تصانيف الشيعة - الشيخ الطهراني: ج ١ ص ٢٥٥.

(٥) وهو أحد الفقهاء الأثبات. والعلماء الخالدين. وجهابذة الرأي الأفاضل. تخرج على يديه العديد من العلماء: الشيخ محمد المازندراني. والسيد أبو قاسم الخونساري. والشيخ أسد الله التستري. وأبنيه السيد محمد والسيد مهدي الطباطبائي.. وغيرهم. ولد عام (١١٦١هـ). وتوفي عام (١٢٣١هـ). لقصص العلماء - للتكابني: ص ١٢٩-١٣١.

(٦) الذريعة إلى تصانيف الشيعة - الشيخ الطهراني: ج ١ ص ٢١٩.

٣- السيد ميرزا مهدي الشهرستاني قده^(١)، وتاريخ إجازته عام (١٢٠٩هـ)^(٢).

٤- الشيخ حسين آل عصفور البحراني قده^(٣)، وتاريخ إجازته عام (١٢١٤هـ)^(٤).

٥- الشيخ أحمد بن الشيخ حسن الدمستاني البحراني قده^(٥)، وتاريخ إجازته عام (١٢٠٥هـ)^(٦).

وقد طبعت هذه الإجازات مستقلة في النجف الأشرف عام (١٣٩٠هـ)، بشرح وتعليق الدكتور حسين علي محفوظ^(٧).

ولا بأس بذكر بعض المقتطفات القصيرة من تلك الإجازات، وثناء العلماء عليه؛ لبيان مكانته الشخصية، ورفعته العلمية والعملية عندهم.

قال الميرزا مهدي الشهرستاني قده - في إجازته له -:

(... حيث إن الشيخ الجليل والعمدة النبيل، والمهذب الأصيل العالم

(١) من أكابر فقهاء كربلاء وزعمائها الدينيين في عصره. وبيت الشهرستاني من الأسر العلمية الكربلائية التي أنجبت الكثير من العلماء. توفي عام (١٢١٦هـ). لالكنى والألقاب - للمحدث القمي: ج ٢ ص ٥٣٤٤-٥٣٤٥.

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة - الشيخ الطهراني: ج ١ ص ٥٣.

(٣) هو زعيم المدرسة الإخبارية. وشيخ علمائها. وأحد المجازين من عمه الشيخ يوسف البحراني. صاحب كتاب (الحدائق الناظرة). توفي عام (١٢١٦هـ). لأعيان الشيعة - السيد محسن الأمين: ج ٢٧ ص ١٢٨-١٣٦.

(٤) الذريعة إلى تصانيف الشيعة - الشيخ الطهراني: ج ١ ص ١٨٨.

(٥) وهو من علماء عصره وأدبائه. ولكن التاريخ ظلمه كألوف غيره. لاسيما من أبناء منطقته وطائفته. [طبقات أعلام الشيعة - الطهراني: ج ٢ ص ٨١٨٠].

(٦) الذريعة إلى تصانيف الشيعة - الشيخ الطهراني: ج ١ ص ١٤١.

(٧) إجازات الشيخ أحمد الأحسائي - د. حسين علي محفوظ: ص ٥.

الفاضل ، والبازل الكامل المؤيد المسدد الشيخ أحمد الأحسائي - أطال الله بقاءه ، وأقام في معارج العز وأدام ارتقاءه - ، ممن رتع في حياض العلوم الدينية ، وكرع من حياض زلال سلسيل الأخبار النبوية ، وقد استجازني فيما صحت لي روايته وثبتت لدي درايته ، من معقول ومنقول وفروع وأصول ، حسبما جرى عليه السلف والخلف من علمائنا الأبرار ، من الشرف والانتظام في سلك الرواة عن الأئمة الأطهار... ولما كان دام عزه وعلاه أهلاً لذلك ، فسارعت إلى إجابته ، وإنجاح طلبته ، لما كان إسعاف مأموله فرضاً لفضله وجودة فطنته ، فأقول : إني قد أجزت له أدام الله علاه أن يروي عني..^(١).

وقال السيد محمد مهدي الطباطبائي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - في إجازته له :-

(... وكان ممن أخذ بالحظ الوافر الأسنى ، وفاز بالنصيب المتكاثر الأهنى ، زبدة العلماء العاملين ، ونخبة العرفاء الكاملين ، الأخ الأسعد الأجد ، الشيخ أحمد بن الشيخ زين الدين الأحسائي - زيد فضله ومجده ، وعلا في طلب العلا جده .. وقد التمس مني أيده الله تعالى الإجازة في رواية الأخبار ، الواردة عن الأئمة الأطهار - عليهم سلام الله أثناء الليل والنهار - عني وعن مشائخي الأعظم الأجلة ، ووسائطي إلى رؤساء المذهب والملة ، فسارعت إلى إجابته ، وقابلت التماسه بإنجاح طلبته ، لما ظهر لي من ورعه وتقواه ، وفضله ونبله وعلاه ، فأجزت له وفقه الله لسعادة الدارين وحباه بكل ما تقر به العين ، رواية الكتب...)^(٢).

(١) إجازات الشيخ أحمد الأحسائي - حسين علي محفوظ : ص ١٩.

(٢) نفس المصدر السابق : ص ٢٩.

وقال الشيخ حسين آل عصفور البحراني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - في إجازته له :-
 (... التمس مني من له القدم الراسخ في علوم آل بيت محمد الأعلام،
 ومن كان حريصاً على التعلق بأذيال آثارهم - عليهم الصلاة والسلام -، أن أكتب
 له إجازة، كما هي الطريقة الجارية بين العلماء في جميع الأصقاع والأعوام،
 لحصول التبرك بطرق التحمل المغروسة في قلوب العلماء، حدائق التشيت
 المروية برواشح إفاضاتهم على الاستمرار والدوام، وهو العالم الأجد ذو
 المقام الأنجد، الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، ذلَّ اللهُ له شوامس
 المعاني، وشيّد به قصور تلك المباني، وهو في الحقيقة حقيق بأن يجيز ولا
 يجاز، لعراقته في العلوم الإلهية على الحقيقة لا المجاز، ولسلوكة طريق أهل
 السلوك وأوضح المجاز...) (١).

وقال السيد علي الطباطبائي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - في إجازته له :-
 (... إنَّ من أغلاط الزمان، وحسنات الدهر الخوان، اجتماعي بالأخ
 الروحاني والخل الصمداني، العالم العامل والفاضل الكامل، ذي الفهم
 الصائب والذهن الثاقب، الراقى أعلى درجات الورع والتقوى والعلم
 واليقين، مولانا الشيخ أحمد بن الشيخ زين الدين الأحسائي - دام ظله العالي -..
 فسألني بل أمرني أن أجيز له ما صحت لدي إجازته، واتضح لي روايته،
 من مصنفات علمائنا الأبرار.. فأجزت له رواية جميع ذلك، وأن يروي
 عني..) (٢).

(١) إجازات الشيخ أحمد الأحسائي - حسين علي محفوظ: ص ٤٣.

(٢) نفس المصدر السابق: ص ٢٣.

وقال المحقق الشيخ عبد الحسين الأميني رحمته الله (١) - في حقه (أعلى الله مقامه) - :
 (أحد فطاحل العلماء يروي عن سيدنا بحر العلوم ، والشيخ كاشف
 الغطاء ، والسيد صاحب الرياض ، والسيد مهدي الشهرستاني ، والشيخ
 أحمد البحراني ، ويروي عنه صاحب الجواهر ، والحاج ميرزا إبراهيم
 الكلـبـاسي صاحب الإشارات) (٢).

وقال الشيخ الميرزا محمد باقر الخوانساري رحمته الله (٣) - في حقه (أعلى الله
 مقامه) - :

(... ترجمان الحكماء المتألهين ، ولسان العرفاء المتكلمين ، غرة الدهر
 وفيلسوف العصر ، العالم بأسرار المباني والمعاني ، شيخنا أحمد بن الشيخ
 زين الدين بن الشيخ إبراهيم الأحسائي ، لم يُعهد في هذه الأواخر مثله في
 المعرفة ، والفهم والمكرمة والحزم ، وجودة السليقة ، وحسن الطريقة ،
 وصفاء الحقيقة ، وكثرة المعنوية ، والعلم بالعربية ، والأخلاق السنية والشيم
 المرضية والعلمية والعملية ، وحسن التعبير والفصاحة ، ولطف التقرير
 والملاحة ، وخلوص المحبة والوداد ، لأهل بيت الرسول الأمجاد ...) (٤).

(١) هو العلامة الشيخ عبد الحسين بن الشيخ أحمد بن المولى نجف علي الشهير بالأميني. صاحب كتاب (الغدير). ولد
 عام (١٣٢٠هـ). وتوفي عام (١٣٩٠هـ) في طهران. ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف.

(٢) شهداء الفضيلة - الشيخ عبد الحسين الأميني : ص ٣١١.

(٣) الميرزا محمد باقر الخوانساري الأصفهاني بن الفقيه الميرزا زين العابدين بن المحدث الفقيه السيد أبي القاسم بن
 الفقيه السيد حسين بن الفقيه المتبحر المير أبي القاسم جعفر المشتهر بالمير الكبير. وهو من العلماء المشهورين
 والفقهاء العظام. ولد في بلدة خوانسار عام (١٢٢٦هـ) وتوفي عام (١٣١٣هـ).

(٤) روضات الجنات - الخوانساري : ج ١ ص ٩٧.

وقال الشيخ عباس القمي قَدَسَتْهُ^(١) - في حقه (أعلى الله مقامه) :

(الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي البحراني ، الحكيم المتأله ،
الفاضل العارف العالم العابد ، المحدث الماهر والشاعر ، وصاحب شرح
الزيارة ، وشرح الحكمة العرشية لملا صدرا ، وشرح التبصرة للعلامة ،
والرسائل الكثيرة ، والذي توفي في أوائل سنة (١٢٤٣هـ) في سفر الحج ،
ودفن خلف البقعة المباركة لأئمة البقيع - صلوات الله عليهم أجمعين - . وزرت
قبره وكان مكتوباً على لوح مزاره الشريف :

لزين الدين أحمد نور علم تضيء به القلوب المدلهمة

يريد الجاحدون ليطفئوه ويأبى الله إلا أن يتمه)^(٢) .

وقال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء قَدَسَتْهُ^(٣) :

(... ثم لما انتشرت كتبه ورسائله بعد حياته اختلف الناس فيه بين غالٍ
وقال ، بين من يقول بركنيته ، وبين من يقول بكفره ، والتوسط خير الأمور ،
والحق أنه من أكابر علماء الأمامية وعرفائهم ، وكان على غاية من الورع
والزهد والاجتهاد في العبادة ، كما سمعناه ممن نثق به ...)^(٤) .

(١) الشيخ عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم القمي رحمه الله تعالى. صاحب كتاب (مفاتيح الجنان). وهو من العلماء المشهورين بتهذيب النفس وقيم الأخلاق والعلم. ولد في قم عام (١٢٩٤هـ) وتوفي عام (١٣٥٩هـ).

(٢) أعلام هجر - السيد هاشم الشخص : ج ١ ص ١٨٣ . عن الفوائد الرضوية .

(٣) هو الشيخ محمد حسين بن الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء. ولد في النجف الأشرف عام (١٢٩٤هـ). وتوفي عام (١٣٧٣هـ). وعائلة كاشف الغطاء من العوائل العلمية العريقة التي تزعمت الحركة الدينية في النجف لمدة قرن وثمانين سنة.

(٤) الآيات البيئات - محمد حسين كاشف الغطاء : ص ١١١ .

وقال العلامة الشيخ عبد الله بن معتوق القطيفي رحمته الله (١):

(ناموس الدهر وتاج الفخر وعلامة العصر، موضح الحقيقة والطريقة، ومحبي الشريعة على الحقيقة، الحكيم الرباني والعارف السبحاني، والفريد الذي ليس له ثانٍ، أعلم العلماء ورئيس الحكماء وقدوة الفقهاء، العارف بالله والمقتضي في مطالبه لأولياء الله، والمتخلق بأخلاق الروحانيين، والتمسك بجبل الله المتين، عماد الملة والدين، العلم الأوحـد الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي طاب ثراه ...) (٢).

وقال الشيخ الميرزا علي التبريزي رحمته الله (٣):

(الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، فخر الأعلام وذخر الأيام، تاج الدهر وناموس العصر، العلامة الأوحـد والفاضل الفهامة الأجد، العالم الرباني والفاضل الكبريائي الصمداني... وكان رحمته الله قليل النطق كثير الصمت، لو نطق فبالحق ولو سكت فعن الباطل، جامعاً بين الشريعة والحقيقة، مرتاضاً زاهداً، معرضاً عن الدنيا وأهلها، ساعياً في إظهار ما أراد الله من التدبر في آيات النفس والآفاق ...) (٤).

(١) الشيخ عبد الله بن معتوق بن درويش بن معتوق بن عبد الحسين بن الحاج مرهون البلادي القطيفي التاروتي. من العلماء البارعين ومراجع الدين. من أشهر المستجيزين منه آية الله العظمى المولى الميرزا موسى الحائري الإحقاقي. ولد عام (١٢٧٤هـ). وتوفي عام (١٣٦٢هـ).

(٢) أعلام هجر - السيد هاشم الشخص: ج ١ ص ١٨٤.

(٣) الشهيد ثقة الإسلام، الميرزا علي بن الميرزا موسى التبريزي. أحد مشاهير العلماء في العهد القاجاري. ولد عام (١٢٧٧هـ). وتوفي عام (١٣٣٠هـ).

(٤) مرآة الكتب - التبريزي: ج ١ ص ٢٦٠-٢٦١.

الجانب الثاني: تلاميذه

تصدر - أعلى الله مقامه - للتدريس في المعقول والمنقول سنيماً طويلاً، في كربلاء والنجف والبصرة، وغيرها من المدن العراقية، وفي قزوين وطهران وكرمانشاه، وغيرها من المدن الإيرانية، وفي الأحساء والبحرين، وغيرهما من مدن الخليج. وقد تخرج على يديه العديد من العلماء وأهل الفضل في تلك الفترة، وكان من أهم تلامذته:

١- السيد كاظم بن السيد قاسم الحسيني الرشتي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(١)، وهو من أوائل تلامذته، المتوفى عام (١٢٥٩هـ).

٢- الميرزا حسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٢)، الشهير بـ (كُوهر)، المتوفى عام (١٢٦٦هـ).

٣- السيد عبدالله بن السيد محمد رضا شبر الحسيني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، المتوفى عام (١٢٤١هـ).

(١) هو آية الله العظمى السيد محمد كاظم بن محمد قاسم بن أحمد بن حبيب الحسيني الموسوي المدني الكربلائي. ترجع أسرة السيد الرشتي إلى عائلة الزُّبارة. وهي بطن كبير من السادة العلوية. ولد في مدينة رشت. واختلف في تاريخ ولادته؛ فقيل في عام (١٢٠٥هـ). وقيل في عام (١٢١٢هـ). وقد خلف ثروة فكرية ضخمة في مختلف المواضيع الإسلامية. كالعقيدة. والتفسير. والفقه. والأصول. والعلوم الغريبة. وعلم الحرف. وغير ذلك. دس له والي بغداد نجيب باشا سمّاً في القهوة. وتوفي عام (١٢٥٩هـ). لرسالة صعودية نزولية - الرشتي: ج ٢ ص ٢٣٤. الأنساب - السمعاني: ج ٣ ص ١٢٨. الشيخية - الطالقاني: ص ١١٨-١٣٢. الإجازة - الخائري: ص ٨٦.

(٢) هو آية الله العظمى الميرزا حسن بن علي القزويني. الشهير بـ كُوهر. ولد في بلدة (أوج دبين) وهي قرية من قرى (قزوين) من محال آذربيجان. وقد حظي عند أستاذه الشيخ الأوحَد (أعلى الله مقامه) بمكانة رفيعة. ومنزلة عظيمة. تولى المرجعية في العراق بعد وفاة السيد كاظم الرشتي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عام (١٢٥٩هـ).. توفي في مكة المكرمة عام (١٢٦٦هـ). الشيخية - الطالقاني: ص ٢٢٤-٢٢٧.

٤- الشيخ محمد بن الحسين المامقاني التبريزي قدس سره^(١)، المعروف بـ (حجة الإسلام)، المتوفى عام (١٢٦٩هـ).

٥- الشيخ الملا هادي بن المهدي السبزواري قدس سره، صاحب كتاب (المنظومة)، المتوفى عام (١٢٨٩هـ).

٦- السيد محسن بن السيد حسن الأعرجي الحسيني الكاظمي قدس سره، المتوفى عام (١٢٢٧هـ).

٧- الشيخ علي نقوي بن الشيخ أحمد الأحسائي قدس سره، المتوفى عام (١٢٤٦هـ).

٨- الشيخ محمد تقي بن الشيخ أحمد الأحسائي قدس سره.

وغيرهم الكثير من العلماء والفضلاء - قدس الله أسرارهم -.

وقد نال بعضهم إجازة من الشيخ الأوحـد (أعلى الله مقامه)، ومنهم:

١- الشيخ أسد الله التستري الكاظمي قدس سره، صاحب كتاب (المقابس)، المتوفى عام (١٢٣٤هـ).

٢- الشيخ إبراهيم الكلباسي قدس سره، صاحب كتاب (الإشارات)، المتوفى عام (١٢٦١هـ).

٣- السيد كاظم بن السيد قاسم الحسيني الرشتي قدس سره، المتوفى عام (١٢٥٩هـ).

(١) هو آية الله العظمى الشيخ محمد بن الحسين بن زين العابدين بن علي بن إبراهيم المامقاني التبريزي. عرف بالزهد والورع وعزوفه الشديد عن الدنيا ولذاتها. وهو من الذين ناظروا الباب وحكموا بكفره. توفي في تبريز عام (١٢٦٩هـ) ودفن في مزار السيد إبراهيم الواقع في محلة شتریان دوه جي. [الشيخية - الطالقاني: ص ٢٢٨-٢٣٠].

٤- الميرزا حسن بن علي قَدَسَتْهُ، الشهير بـ (كُوهر)، المتوفى عام (١٢٦٦هـ).

٥- السيد عبد الله بن السيد محمد شبر رضا الحسيني قَدَسَتْهُ، المتوفى عام (١٢٤١هـ).

٦- الشيخ مرتضى الأنصاري قَدَسَتْهُ، صاحب كتاب (المكاسب)، المتوفى عام (١٢٨١هـ).

٧- الشيخ محمد بن الحسين المامقاني التبريزي قَدَسَتْهُ، المتوفى عام (١٢٦٩هـ).

٨- الشيخ علي نقبي بن الشيخ أحمد الأحسائي قَدَسَتْهُ، المتوفى عام (١٢٤٦هـ).

٩- الشيخ محمد تقي بن الشيخ أحمد الأحسائي قَدَسَتْهُ.

١٠- الشيخ محمد حسن النجفي قَدَسَتْهُ، صاحب كتاب (جواهر الكلام)، المتوفى عام (١٢٦٦هـ).

الجانب الثالث: مصنفاته وآثاره العلمية

خلف الشيخ الأوحَد - أعلى الله مقامه - العديد من الآثار الفكرية في مختلف العلوم والمعارف، من كتب ورسائل وشروحات وأجوبة وغيرها^(١).

(١) ذكر - المعاصر - الأستاذ الدكتور حسن الشيخ في كتابه (آخر الفلاسفة): أن مصنفات الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (أعلى الله مقامه) قد بلغ عددها (١٨٥). من مصنف ورسائل وأجوبة وشروحات وقصائد وغيرها. وهو أعلى عدد تم رصده لمؤلفاته (أعلى الله مقامه) حتى الآن. آخر الفلاسفة - د. حسن الشيخ: ص ٢٥٥.

وقد اختلف في عددها:

فيذكر آية الله المولى المعظم الميرزا عبد الرسول الحائري الإحقاقي قدس سره^(١) في كتابه "التحقيق في مدرسة الشيخ الأوحـد"، ما يقرب من (١٧٣) مصنفاً للشيخ الأحسائي مع شرح مبسط لمحتوياتها^(٢).

ويذكر رياض طاهر في فهرسته لتصانيف الشيخ الأوحـد - أعلى الله مقامه - :
 (أن مجموع ما صدر عن المترجم من رسائل وكتب وخطب وفوائد وقصائد (١٥٤)، ومجموع جوابات المسائل (٥٥٥) مسألة، من مخطوط ومطبوع على الأقل)^(٣).

ويذكر الشيخ أبو القاسم الكرمانى^(٤) في كتابه : (أن مجموع آثار الشيخ أحمد تبلغ (١١٥) رسالة، و(٥) خطب، و(٣٥) فائدة، ومراسلة واحدة، تقع في (٣١) مجلداً، فُقد منها (١١) مجلداً)^(٥).

وأهم مصنفاته وأوضحها لفكره أربعة كتب هي :

١- شرح الزيارة الجامعة الكبيرة.

(١) هو المرجع الديني الراحل المولى آية الله المعظم الميرزا عبد الرسول بن الميرزا حسن بن الميرزا موسى بن الميرزا محمد باقر بن الآخوند محمد سليم الحائري الإحقاقي الأسكوئي. له العديد من المؤلفات. أشهرها: "الولاية". "التحقيق في مدرسة الشيخ الأوحـد". "تفسير الثقلين". ولد في الكويت عام (١٣٤٨هـ). وتوفي في عام (١٤٢٤هـ).

(٢) التحقيق في مدرسة الشيخ الأوحـد - الميرزا عبد الرسول الحائري الأحقاقي : ج ١ ص ٢٢٩.

(٣) فهرست تصانيف الشيخ أحمد الأحسائي - رياض طاهر : ص ٣.

(٤) هو الحاج أبو القاسم خان بن الحاج زين العابدين خان بن الحاج محمد كريم خان القاجاري الكرمانى. ولد في كرمان عام (١٣١٤هـ). وتوفي عام (١٣٨٩هـ). [الشيخة - الطالقاني : ص ٢٦٦-٢٦٩].

(٥) فهرست كتب شيخ أحمد أحسائي وسائر مشائخ عظام - الشيخ أبو القاسم الكرمانى : ص ٧٣٥.

٢- شرح العرشية ، لصدر الدين الشيرازي.

٣- شرح المشاعر ، للشيرازي أيضاً.

٤- الفوائد وشرحها.

الجانب الرابع : وفاته

توفي الشيخ الأوحـد ﷺ بعد مشوار طويل قضاه في العلم والعمل في يوم الأحد (٢٢) من ذي القعدة عام (١٢٤١هـ)، في منطقة تسمى (هدية) بين المدينة ومكة، ونقل جثمانه إلى المدينة المنورة ودفن في البقيع خلف الحائط الذي فيه أئمة البقيع عليهم السلام ^(١).

(١) الدين بين السائل والمجيب - الميرزا حسن الأحقاعي : ج ١ ص ١١٠.

المطلب الثاني

دور الشيخ الأوحـد قدس سره في الفكر الإسلامي

حينما تتأمل أحوال المسلمين وما آلت إليه أمورهم من انقسامات متعددة في وقتنا الحالي، تلحظ بأنها لم تكن وليدة اليوم؛ بل كانت لها ظلال حتى في القرون الأولى من صدره؛ حيث انقسم المسلمون إلى تيارين رئيسيين هما: التيار المؤمن بالرسالة المحمدية، والتمسك بما أوصى به النبي صلوات الله عليه وآله، بالكتاب والعترة الطاهرة عليهم السلام، كما في قوله صلوات الله عليه وآله: «يا أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين، أما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»^(١)، والتيار المخالف والخارج عن دائرتها.

فانقسام الأمة إلى فرق، وتحقق نبوءة النبي صلوات الله عليه وآله: «وإن أمتي ستفترق بعدي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية واثنان وسبعون في النار»^(٢)؛ ليس هو أمراً طارئاً على الحضارة الإسلامية مؤخراً؛ بل كان

(١) بحار الأنوار- العلامة المجلسي: ج ٥ ب ١ / نفي الظلم والجور عنه تعالى... ص ٢١ ح ٣٠.

(٢) بحار الأنوار- العلامة المجلسي: ج ٢٨ ك / الفتن والمحن ب ١ / افتراق الأمة بعد النبي صلوات الله عليه وآله ص ٢ ح ٣.

موجوداً حتى في بدايات انطلاق النهج الإسلامي ؛ غير أنه مع مرور الأيام والعصور، والبعد الزمني عن صدره، اشتد هذا الانقسام، وازدادت الفتن العاصفة بأهله، التي كانت وما زالت لها تداعيات دينية وسياسية واجتماعية، أدت إلى ما عليه الأمة من خلاف وانحراف وتحلف في جانبه.

ونحن حينما نمحص التاريخ الإسلامي بدقة متناهية، نلاحظ بأن ما وُلدته تلك الانقسامات من فتن، كان بسبب البدعة والمبتدعين من أئمة الجور والضلال ؛ ولذا نرى الكم الهائل من الروايات التي تناولت مسألة البدع، وحذرت الأمة من الوقوع في براثن شرك المبتدعين، كما روى داود ابن سرحان، عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم، وأكثروا من سبهم والقول فيهم والوقوع»^(١)، وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما أحدثت بدعة إلا ترك بها سنة فاتقوا البدع وألزموا المهيع إن عوازم الأمور أفضلها وإن محدثاتها شرارها»^(٢).

ومن هنا، يأتينا تساؤل مفاده هو: لماذا كل هذا التحذير من النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام؟

ألم يكن بالأحرى، أن يكون هذا الكم الهائل من الروايات التي حذرت من الوقوع في الفتن، موجهة إلى الأعداء الحقيقيين إلى الإسلام، وهم الكفار؟

(١) الكافي - الشيخ الكليني: ج ٢ ب/ مجالسة أهل المعاصي ص ٣٧٥ ح ٤.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٢ ب ٣٢ / البدعة والسنة والفريضة والجماعة والفرقة... ص ٢٦١ ح ١٥.

الجواب: إن أصحاب الفتن في الإسلام أشد خطورة من أولئك الكفار الواضحين والصريحين في مواقفهم؛ لأن هؤلاء يحاربون الإسلام وهم متلبسون بزيه، ويغزون المسلمين مباشرة في عقور دارهم؛ ولهذا جاءت حملات الرسول ﷺ وأهل البيت عليهم السلام للتصدي لأمثال هؤلاء بالذات؛ حفظاً لبيضة الإسلام، وحفظاً لشتات المسلمين وضياعهم، بترك النهج القويم، وإتباع مناهجهم الضحلة الوعرة.

ويكفي أن نلاحظ خطورتهم في المحاولة التي قاموا بها، وهي قولبتهم للتعاليم اليونانية والوثنية والصوفية في القوالب الدينية، التي توحى بظاهاها إلى الإسلام، وتؤدي في باطنها إلى الغرض الأكبر لها، وهو الكفر والإلحاد. ولا يهمننا الأمر إن كان ذلك الفعل قد صدر من جهة المغالبة لعلم أهل البيت عليهم السلام، كما فعل حكماء الجور والضلال، أو صدر من جهة بعض العلماء الذين سعوا لفهم المنهج الإسلامي من خلال الجذور الخارجية؛ أي: سعوا إلى فهمه بمعزل عن مصادره وأدواته؛ فالكلام واقع في أن المنهج الإسلامي نفسه قد اختلط بالعث والسمن، وابتعدت أغلب المناهج الإسلامية المنشعبة منه عن المصدر الأساسي لها؛ على الرغم من وضوحه عن غيره من الأديان والمعتقدات وضوحاً كرابعة الشمس في وضح النهار؛ لأن رسالته هي الخاتمة والمبينة لجميع الرسالات السابقة لها.

على أي حال، حينما تشعبت مناهج الفكر الإسلامي، وسرى الابتداع في جذورها - إلى حد أن بعضهم يسمع كلام الإمام عليه السلام ويرده،

ويسمع كلام غيره ويقبله ؛ بحجة أنه من يفهم كلام الإمام عليه السلام (١) ، شاء الله تعالى أن يبرز نجم حكيم من الحكماء ، وعبقري من العباقرة في الإسلام ، كان لنور علمه الفضل الكبير في إزاحة دياجر الجهل والانحراف عنه ؛ فظهر منهج الشيخ أحمد ابن زين الدين الأحسائي قدس سره.

حيث تجلّى موقف منهج هذا العالم الأوحـد ، والحكيم المتألّه ، ببيان المنهج الإسلامي الأصيل ، وعدم التورع عن التصدي لكل دسيـسة دست في أعماقه ، وذلك من خلال مدرسته الحكيمية التي أتى بها ، وأنشأها من مصدر القرآن والسنة ، والعقل المستنير بنورهما ، ومن الأدوات الخاصة به .

فهو لم يؤيد الفلسفة اليونانية ، ولا تعاليم الصوفية ، ولا تعاليم غيرها من المدارس الفكرية التي ضربت به ضربة لم تزل آثارها إلى يومنا هذا ؛ بل أخذ علومه من المنبع الصحيح ، من علوم أهل البيت عليهم السلام . وأن من أخذ عنهم لا يخطئ أبداً ، كما يقول قدس سره في مقدمة كتابه " شرح فوائد الحكمة " : (وأنا لم أسلك طريقهم ، وأخذت تحقيقات ما علمت عن أئمة الهدى عليهم السلام ، لم يتطرق على كلماتي الخطأ ؛ لأنني ما أثبت في كتبي فهو عنهم ، وهم عليهم السلام معصومون عن الخطأ ، والغفلة والزلل ، ومن أخذ عنهم لا يخطئ من حيث هو تابع) (٢) .

ولا يأخذك الوهم بأن الشيخ الأوحـد قدس سره هو الوحيد الذي نبذ فلسفة اليونان والتصوف وغيرهما ، ودافع وحافظ على أصالة المنهج الإسلامي في

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٣ ص ٤٥١ .

(٢) شرح الفوائد - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ١ ص ٤ .

الحكمة ؛ فهناك الكثير من يعتقد بأن أتباعه يقولون : بأن جميع ما كان قبله من المعارف الإسلامية لم تكن إلا مجرد فقاعات نظيرية !
والحقيقة أنه ليس كذلك ؛ بل إن حكمة أهل البيت ﷺ كانت موجودة جارية متوارثة عند العلماء الراسخين ؛ وحتى الشيخ الأوحَد ﷺ يؤكد ذلك في قوله : (الحكمة محفوظة بالوحي النازل على الأنبياء صلوات الله عليهم ، وتلقوها الحكماء المتقدمون عنهم ، فلما انفردوا منهم كما جرى للمشائين والرواقين فإنهم ربما فهموا من تلقاء أنفسهم أشياء لا تجري على قواعد وحي الله سبحانه)^(١) ؛ ولكن أغلب تراثها قد انمحق تحت سطوة المؤثرات الخارجية والداخلية عليه .

والميزة التي انفرد بها منهج الشيخ الأوحَد ﷺ عن غيره ، هي أصالة المصدر الصافي المستمد كلياً من منبع أهل بيت العصمة ﷺ ؛ ليس في الأفكار والمعتقدات فحسب ؛ بل حتى في المصطلحات التي زين بها منهجه ، مما جعل الآخرين يرتاع منها ، ومن قواعده التي استنبطها من الشارع نفسه لا من عقول من سبقه ، كما يقول ﷺ - في كتاب شرح المشاعر - : (اعلم أنني كثيراً ما أكرر في العبارة ، وأردد في التلويح والإشارة ، ليتقرر لك ما أنبهك عليه ، لاحتمال أن لا يكون لك أنسٌ بمراداتي ؛ لأنس ذهنك بمصطلح القوم ، وأكثر اصطلاحاتهم يخالف معناها طريق أهل العصمة ﷺ .
ومراداتي مفتاح فهمها طريقهم ﷺ)^(٢) .

(١) شرح الفوائد - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي : ج ٢ ص ٣٧٠ .

(٢) شرح المشاعر - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي : ج ١ ص ٣ .

فهو وإن كانت كلماته وأسلوبه الحكمي العميق والفريد من نوعه لم يسبق له مثيل؛ إلا أنه لم يخالف العلماء الراسخين التابعين لعلوم آل محمد ﷺ. وأيضاً، إن الحداثة في المصطلحات الحكمية، والتميز بأسلوب الطرح والنقد مع بقاء المحتوى الحكمي لا يضعف المعنى؛ بل يضفي جمالاً ورونقاً متميزاً، يوحى بقوة قلم المتحدث، وعمق علمه.

فهو إذاً لم يخالف أعلام العلماء الذين كانت لهم جولات وصولات في الدفاع عن حياض المنهج الحكمي الإسلامي الأصيل، ومن جملتهم: آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي رحمته الله^(١)، قال - في إحدى تعليقاته على كتاب "إحقاق الحق" -: (ليس المراد من الحكمة - في الآية^(٢) - : الفلسفة التي هي تراث اليونانيين؛ بل المراد العلم الذي به حياة الأرواح، وشفائها من الأسقام، وهل هي إلا العلوم الدينية الإسلامية، والمعتقدات الحقّة، وأسرار الكون، بشرط اتخاذها عن الراسخين في العلم الذين من تمسك بهم فقد نجى. كيف؟! وعلومهم مستفادة من المنابع الإلهية)^(٣).

وآية الله العظمى العلامة الشيخ لطف الله الصافي رحمته الله^(٤)، قال - في مقدمة إحدى رسائله -: (وقد تجنبنا في هذه الرسالة عن الاستشهاد

(١) هو آية الله العظمى السيد شهاب الدين محمد حسين المرعشي النجفي. من أفاضل علماء الإمامية. ولد في النجف الأشرف عام (١٣١٥هـ) وتوفي في مدينة قم المقدسة عام (١٤١١هـ).

(٢) المقصود بالآية: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لُنْفِي ضَلَّالٍ مُبِينٍ» سورة الجمعة - الآية: (٢).

(٣) إحقاق الحق - المرعشي: ج ١ ص ٩٧.

(٤) هو آية الله العظمى لطف الله الصافي الكلبايكاني. من علماء الدين البارزين ومراجع الشيعة. ولد في كلبايكان عام (١٢٨٧هـ). وبيع في شتى العلوم الإسلامية. توفي عام (١٣٧٢هـ).

بمخترعات الفلاسفة أذئاب اليونانيين، وأتباعهم المنتحلين إلى المذاهب الإسلامية، أولئك الذين لم يهتدوا بهدى أهل بيت الوحي والنبوة ﷺ، وسلوكوا سبلاً متشعبة أبعدتهم عن التمسك بالثقلين^(١).

وقال الشيخ الصدوق ﷺ^(٢) - حينما تطرق للكلام عن الفلاسفة -:

(فمنهم من سلك مسلك الحكماء - ويقصد بهم الفلاسفة - الذين ضلوا وأضلوا، ولم يقرؤوا بنبي، ولم يؤمنوا بكتاب، واعتمدوا على عقولهم الفاسدة، وآرائهم الكاسدة... فهم يؤولون النصوص الصريحة عن أئمة الهدى - صلوات الله عليهم - بأنه لا يوافق ما ذهب إليه الحكماء...)

ثم قال: ومعاذ الله أن يتكل الناس إلى عقولهم في أصول العقائد،

فيتحيروا في مراتع الجهالات. ولعمري! إنهم كيف يجترئون أن يؤولوا النصوص الواضحة الصادرة عن أهل بيت العصمة والطهارة، لحسن ظنهم بيوناني كافر، لا يعتقد ديناً ولا مذهباً^(٣).

على أي حال، بالرغم من وضوح حقيقة منهج الشيخ الأوحـد ﷺ،

وكمية الأثر العقائدي الذي خلفه، وورثه من بعده تلامذته؛ إلا أن معظم عطاء هذا الحكيم المتأله لم يسلم من عملية كيل التهم والافتراءات فيه، ومن زيف الحاسدين والحاقدين عليه.

(١) مجموعة الرسائل - الشيخ لطف الله الصافي: ج ٢ ص ١٣٦-١٣٧.

(٢) هو الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق. ولد في مدينة قم في حدود عام (٣٠٦هـ). ويعتبر من أهم محدثي الشيعة الإمامية وقد بلغت مصنفاته فوق المئتين. من أهمها كتاب "من لا يحضره الفقيه" وهو من الكتب الأربعة المعتمدة في الحديث عند الشيعة. توفي في بلدة الري عام (٣٨١هـ).

(٣) الاعتقادات في دين الإمامية - الشيخ الصدوق: ص ١٧.

ومن جملة تلك الافتراءات التي أصابت منهجه ؛ هو نسبة أداة العرفان التي استخدمها إلى المنهج الصوفي ، بانين على أساس هذا الافتراء أمر اعتباره من المناهج الباطنية الباطلة التي حادت عن جادة الصواب.

ولكن الحق لا يعرف بالقليل والقال ؛ بل بالنظر في كلماته ومعانيها ، التي من خلالها سيظهر لنا الحق جلياً وواضحاً ، كما سيأتي في المباحث التالية.

المطلب الثالث

مصادر منهج الشيخ الأوحى قدس سره

لقد شكل تضارب الأقوال حول منهج الشيخ الأوحى قدس سره ضباباً منيعاً لدى القراء والباحثين والطامحين لنيل معارفه ؛ هذا على الرغم من وفرة الكتب ، والكتاب من تلامذته - وغيرهم - الذين تنوعت أساليبهم في الطرح ، وانفتحت عباراتهم أثناء الشرح .

وحيثما نمحص تلك التضاربات ، نجد أن وابل التهم تكال عليه من جانب ، ونجد موقف المتصددين لها قد زخر من جانب آخر ، وهذا الأمر من شأنه أن يضع الباحث في حقيقة منهجه في موضع الحيرة ، فتراه لا يركن إلى ركن وثيق في بحثه ، بل يعيش في وسط دوامة القادحين والمداحين له ؛ مما يؤدي إلى ضياع الحقيقة من بين يديه دوماً ؛ بسبب أمواج الطرح الإيجابي والسلبي فيه .

ولكن بغض النظر عن مواقف التهم والافتراء والتشنيع التي شنّها عليه الحاسدون والمبغضون وغيرهم ؛ فإنه قدس سره كان (ضليعاً بخلق الأطر الفلسفية

والعقلية، لكثير من المبادئ العقائدية الإسلامية الصرفة، بحيث إن مؤيديه ومعارضيه يجمعون على القول بعلو منزلته العلمية، ونزوعه الشديد إلى تزكية النفس، وتهذيبها وترويضها^(١). وكان (من رجالات الشيعة اللامعين الذين أخذوا بأسباب المعرفة والفكر، والفلسفة والكلام، والفقه والرياضيات والنجوم والكيمياء، وعلم الأعداد والكلمات، والحديث والأصول)^(٢)، (والغريب بعد هذا أنه لم يأخذ عن أستاذ قط، ولم يكن له شيخ معروف، مع أنه حصل أكثر العلوم العقلية والنقلية)^(٣)، كما يؤيد ذلك آية الله المعظم الإمام المصلح والعبـد الصالح الميرزا حسن الحائري قدس سره^(٤) في كتابه الدين بين السائل والمجيب: (ما نعلم للشيخ أساتذة تتلمذ عندهم والله العالم، إنما كان يحضر في دروس بعض المجيزين له)^(٥).

ويقودنا هذا الكلام إلى تساؤل نود طرحه في هذه الجزئية، وهو:
إذا لم يتبع الشيخ الأوحـد قدس سره نهج السابقين من العلماء في تفسير الرؤية الكونية، ولم يذكر التاريخ له مدرسين؛ فمن أين جاء بحكمته، وقواعده الحكمية التي تضمنها منهجه؟

(١) الحركة العلمية في كربلاء - نور الدين الشاهرودي: ص ١٥٣.

(٢) فلاسفة الشيعة - عبد الله نعمة: ص ١١٣.

(٣) أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين العاملي: ج ٢ ص ٥٨٩.

(٤) هو آية الله المعظم الإمام المصلح والعبـد الصالح المرجع الديني الكبير الميرزا حسن ابن العلامة الميرزا موسى ابن الحكيم الإلهي الميرزا محمد باقر ابن الآخوند سليم الأسكوئي. ولد في عام (١٣١٨هـ) في مدينة كربلاء. وتوفي عام (١٤٢١هـ).

(٥) الدين بين السائل والمجيب - الميرزا حسن الحائري: ج ١ ص ١١٤.

بمعنى آخر: ما هي مصادره المعرفية التي قام عليها منهجه؟

الجواب: من المعلوم بأن الحكمة غاية يسعى إليها كل طالب للكمال،

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(١)، فهي حياة للقلب الميت، وري للظمان، وفيها الغنى كله.

وعلى الرغم مما يكتنزه القرآن الكريم، وأحاديثهم وخطبهم

وأدعيتهم عليهم، من قواعد وآثار حكمية هامة؛ إلا أن العديد ممن سعى

إليها في الإسلام، قد ذهب إلى البحث عنها بمعزل عن الكتاب والسنة - كما

ذكرنا مراراً في بحثنا سابقاً -؛ أي: أنهم تركوا الروافد الأصلية التي انبثق

منها المعقول الحكمي الإسلامي، وفضلوا الموروثات الخارجية؛ كالفلسفة

اليونانية، وتعاليم الصوفية، وغيرهما.

فسعيهم في ذلك كان وما زال بالصورة المقلوبة؛ أي: أنهم قد أشبعوا

تلهفهم المعرفي من الخارج إلى الداخل، ﴿أَمْ سَتَبَدِّلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ

خَيْرٌ﴾^(٢).

ومن هنا، حينما غاصوا في أعماق تلك الفلسفات الخارجية بالتنقيب

والدراسة والشرح وغيره - وقد أجاد بعضهم ذلك حقيقة -، عادوا في نهاية

مطافهم إلى واقعهم الإسلامي، فواجهوا حينها أعظم تحدٍ لهم، وهو:

كيفية مطابقة فلسفتهم بالشريعة الإسلامية؟

(١) سورة البقرة - الآية: (٢٦٩).

(٢) سورة البقرة - الآية: (٦١).

فـعكفت جـلّ المدارس الفلسفية أباً عن جد، تتوارث العمل الدؤوب ليلاً نهاراً على تحقيق هذا الأمر، وهو فلسفة الدين - كما عبر عنه بعضهم -؛ أي: إيجاد مخارج لتلك الموروثات الفلسفية من خلال نافذة الدين، ومن ثم نشرها في الإسلام.

وبما أن مصدر التشريع في الإسلام هو القرآن والسنة، فقد فشل الكثير منهم في تحقيق أمل المطابقة؛ فما زالت كتبهم مليئة بالأدلة التي تضع المصادر الإسلامية في موضع القصور؛ بحجة احترام العقل والبرهان، أو احترام الكشف بطريق البطلان^(١).

ولا يحتاج كشف هذا الأمر إلى بحثة عميق الدراية والنظر، فإنك لو دقت في مطالبهم بعد خلو النفس مما أنست عليه من قواعد، وجعلت طريق محمد وآله عليه السلام هو الحكم فيها، فستجد بأن أغلبها قد عارض ما جاء به الشارع المقدس، كما قال القاضي سعيد محمد القمي قدس سره^(٢):

(وأكثر العقلاء من أهل الإسلام لما لم يفكّوا رقبتهم عن ربة تقليد المتفلسفة بالكلية، وأرادوا تطبيق ما ورد عن أهل البيت على هذه الآراء المتزيفة، فتارةً يقولون نحن لا نفهم حقائق هذه الأخبار، التي هي أخبار

(١) مدخل إلى فلسفة الشيخ الأحاسائي - الميرزا حسن فيوضات: ص ٤٧.

(٢) هو الحكيم العارف القاضي محمد بن محمد مفيد. ويدعو نفسه بسعيد الشريف القمي. ويصف نفسه بالحكيم والقاضي. ولد في سنة ١٠٤٩هـ. ومن أشهر كتبه شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي. المعروف بالشيخ الصدوق. قيل إنه توفي بقم قريباً من سنة ١١٠٠هـ. لأنظر/ مقدمة شرح توحيد الصدوق - للقاضي سعيد محمد القمي - تصحيح وتعليق/ د. نجفقلبي حبيبي: ج ١

الآحاد، ولعلمهم أضمروا في أنفسهم أن الأمر ليس كذلك؛ لكن لا يجروون على إظهاره ..^(١).

من هنا التفت الشيخ الأوحده رحمته لهذا الأمر، فانطلق في مسار حكمته بعكس ما فعلوا، فبدأ من الداخل؛ أي: انطلق من منهج الإسلام الأصيل. ولذا قال رحمته - في أكثر من موضع في كتبه، بصريح العبارة وواضح الإشارة -: (وإذا أردت أن تعرف صدق كلامي، فانظر في كتبي الحكمية، فإنني في أكثرها في أغلب المسائل خالفت جل الحكماء والمتكلمين، فإذا تأملت في كلامي رأيته مطابقاً لأحاديث أئمة الهدى عليهم السلام، ولا تجد حديثاً يخالف شيئاً من كلامي. وترى كلام أكثر الحكماء والمتكلمين مخالفاً لكلامي، ولأحاديث الأئمة عليهم السلام، حتى بلغ منهم الحال إلى أن أكثرهم ما يعرفون كلام الإمام عليه السلام، ولكن إذا أردت البيان، فانظر بعين الإنصاف؛ لتعرف صحة ما ذكرت، فإنني ما أتكلم إلا بدليل منهم عليهم السلام)^(٢)، وقال في موضع آخر: (وأنا قد ذكرتها على نحو ما عثر عليه الحكماء، ولا وقف عليه العلماء؛ لأنهم - أي العلماء والفلاسفة والمتكلمين - يأخذون بتحقيقات علومهم بعض عن بعض؛ وأنا لم أسلك طريقهم، وأخذت بتحقيقات ما علمت عن أئمة الهدى عليهم السلام، لم يتطرق على كلماتي الخطأ؛ لأنني ما أثبت في كتبي فهو عنهم، وهم عليهم السلام

(١) شرح توحيد الصدوق - القاضي سعيد محمد القمي: ج ٢ ص ٥٠٧.

(٢) سيرة الشيخ أحمد الأحسائي بقلمه - تحقيق / الشيخ توفيق البوعلي: ص ٩٧-٩٦.

معصومون عن الخطأ والغفلة والزلل ، ومن أخذ عنهم لا يخطئ من حيث هو تابع ، وهو تأويل قوله تعالى : ﴿سِيرُوا فِيهَا لِيُبَيِّنَ لَكُمْ آيَاتِهِ وَأَيَّامَ آَمِنِينَ﴾^(١) . وقولي لم يجر ذكرها في خطاب يعني : في خطاب أحد غيرهم ، وإلا فإنها قد ذكرت في الأحاديث بالإشارة والتلويح لأهله ، وعلى الله قصد السبيل^(٢) .

فتأمل - على سبيل المثال لا الحصر ؛ وإلا فالإنصاف أنه قد كرر مثل هذا العبارات في العديد من مصنفاته - قوله : (فإذا تأملت في كلامي رأيته مطابقاً لأحاديث أئمة الهدى عليهم السلام ، ولا تجد حديثاً يخالف شيئاً من كلامي) ، وقوله : (وأنا لم أسلك طريقهم وأخذت تحقيقات ما علمت عن أئمة الهدى عليهم السلام) ؛ فإن فيهما بياناً صريحاً وواضحاً ، من أن مصدر منهجه الأول والأصيل هو الكتاب والسنة.

ونحن لو لم نأخذ كلماته السابقة بعين الاعتبار ، واعتبرناها دعوى من غير دليل ، فمصنفاته تثبت لنا صحة مدعاه ، حيث إنه من خلال استقراءنا لأي مصنف من مصنفاته ، يظهر لنا - وضوح الشمس في رابعة النهار - بأن المنهج الذي جاء به ، بما فيه من قواعد حكمية وآراء فكرية ، قد استقى مصادره من الكتاب والسنة ؛ فلا تخلو نصوصه الحكمية من دليل يطابق الروح القرآنية الكلية ، أو السنة الصحيحة المحكمة ، أو سيرة العقلاء ، أو الواقع الحقيقي ؛ هذا بالنسبة إلى مصدر القرآن والسنة.

(١) سورة سبأ - الآية : (١٨).

(٢) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي : ج ١ ص ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣ .

أمَّا بالنسبة للعقل، فالشيخ الأوحده رحمته الله لا ينكر دوره في تحصيل المعارف الإلهية؛ ولكنه يجعله تابعاً للكتاب والسنة لا متبوعاً، فالأساس في تفسير الرؤية الكونية لديه هو الكتاب والسنة، أمَّا ما يتوصل إليه العقل من معارف عن طريق البراهين والأقيسة؛ فإن طابقت الكتاب والسنة أقرها، وإن خالف ردها، (لأن المعنى المقصود هو معرفة الله سبحانه، كما وصف نفسه به على السنة أوليائه، لا على السنة المتكلمين والحكماء، فإذا كان تعالى أكمل الدين لنبيه ﷺ، ونبيه قد استحفظه كله عند أوصيائه عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(١)، فمن أراد أن يعرف الله بعقله، فليعرفه بما وصف به نفسه، ولا وصف نفسه إلا على السنة أوليائه عليهم السلام، فالواجب أن ينظر فيما قالوا، ويفهم ما أرادوا. وأمَّا من لم ينظر في ذلك، ويريد أن يعرف الله سبحانه، فإنه لا يقع فهمه إلا على الباطل؛ لأنه ما وصل إلى الأزل، ولم يره ليصف ما رأى، والعقول لا تدرك تلك الأمور المقدسة عن الإدراك، فكيف يعرف الله من لم يأخذ عن الله سبحانه وتعالى؟!^(٢)، وقد أكد ذلك في قوله: (واعلم أيها الناظر أنني ما أفرطت في ردي عليه [أي على الملا صدرا الشيرازي]، فإني والله ليس بيني وبينه شيء إلا أنني والله ما رأيت له اعتقاداً ولا دليلاً يوافق ما عليه أئمة الهدى عليهم السلام، ولا يطابق عقلي؛ لأن عقلي يحكي عنهم عليهم السلام)^(٣).

(١) سورة المائدة - الآية: (٣).

(٢) شرح الفوائد - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي: ج ١ ص ١٨٨-١٨٩.

(٣) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ٣٣٨.

وأطلق على العقل المطابق والمشابه للشرع بالعقل الشرعي ، أو العقل الجزئي ، الذي هو (رأس من العقل الكلي)^(١) ، أما العقل المخالف له ، فأطلق عليه بالشيطنة أو النكراء ، حيث قال : (فما شابه الكلي منها أو قاربه في الشبه فهو عقل شرعي ؛ أي : ما عبُد به الرحمن واكتسب به الجنان ، وما خالف فهو النكراء والشيطنة)^(٢) .

وجعل العقل تابعاً للشرع لا متبوعاً ، مما لاشك فيه هو أساس مذهب أهل البيت عليهم السلام ، فعن الثمالي قال : قال علي بن الحسين عليه السلام : «إن دين الله لا يصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة والمقاييس الفاسدة ، ولا يصاب إلا بالتسليم ، فمن سلم لنا سلم ، ومن اهتدى بنا هدي ، ومن دان بالقياس والرأي هلك ، ومن وجد في نفسه شيئاً مما نقوله أو نقضي به حرجاً ، كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم وهو لا يعلم»^(٣) .

فالعقل البشري مهما وصلت قدرته في الإدراك ، يبقى قصوره واضحاً جلياً في تفسير الرؤية الكونية بالشكل الذي يقدمه لنا القران والسنة النبوية ؛ لأن ما نبحت فيه أبعد من مرتبة إمكانه .

فمهما أطلقنا لجام عقولنا من أجل معرفة الله سبحانه وتعالى ؛ فإن المتصور لنا والمدرك ما هو إلا مخلوق ممكن مثلنا ؛ لأن كل الأشياء في الحقيقة لا تُدرك إلا نظائرها ، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : «إنما تحد الأدوات أنفسها

(١) رسائل الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ص ٨٢-٨٣ .

(٢) رسائل الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي : ص ٨٢-٨٣ .

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٢ ب ٣٤ / البدع والرأي والمقاييس ص ٣٠٣ ح ٤١ .

وتشير الآلات إلى نظائرها»^(١)، وكما قال الإمام الباقر عليه السلام: «كلُّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقِّ معانيه مصنوع مثلكم مردود إليكم»^(٢).

فمعرفة عنه الحقيقية لا تتم إلا بما وصف لنا نفسه على السنة أوليائه عليه السلام، فهم الوسيلة والوصلة إليه، كما قال عليه السلام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾^(٣)، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا باب حطة من عرفني وعرف حقي فقد عرف ربه»^(٤)، وقال الإمام الحسين عليه السلام: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: إلزموا مودتنا أهل البيت، فإنه من لقي الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا»^(٥).

ويمكننا أن نقرر بعد هذا الكلام؛ أن الشيخ الأوحَد قَدَسَتْهُ قد خالف الحكماء والفلاسفة والصوفية وغيرهم، واستقى منهج حكمته وقواعده من مصدر الكتاب والسنة، ومن العقل المستنير بهما، كما يؤكد ذلك تلميذه الأول، السيد كاظم الرشتي قَدَسَتْهُ في قوله: (ومن العجائب التي لا تنقضي، والغرائب التي لا تفنى ولا تتصرم، أنه أعلى الله مقامه، وأشاد شأنه، ورفع في الدارين أعلامه، كان يستخرج هذه العلوم والأحوال كلها من

(١) نهج البلاغة - الشريف الرضي: ج ٢ خطبة له في التوحيد ص ١٢٠ خطبة رقم (١٨٦).

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٦٦ ب ٣٧ / صفات خيار العباد وأولياء الله ... ص ٢٩٣ ح ٢٣.

(٣) سورة المائدة - الآية: (٣٥).

(٤) مستدرک سفینه البحار - الشيخ علي النمازي الشهرودي: ج ٢ / الأخبار في الحطيم ص ٣٢٣.

(٥) الأمالي - الشيخ الطوسي: ص ١٨٧، ح ٣١٤.

الكتاب والسنة، ويستدل عليها بالحكمة، والمجادلة، والموعظة الحسنة، ويأتي بكل مسألة من هذه الفنون المشتتة بآية من محكمات الكتاب، وحديث من محكمات الأحاديث، ودليل عقلي من العقل المستنير بنور الشرع^(١).

هذا بالنسبة إلى مصادر منهجه تَدْرُسُ، أما بالنسبة إلى الأدوات التي استخدمها فيه؛ فالكلام عليها سيكون في المطلب التالي.

المطلب الرابع

أدوات منهج الشيخ الأوحـد سَيِّدُهُ قَدَّسَهُ

قد يعتقد البعض - خصوصاً ممن ليس له أنس بما جاء به الشيخ الأوحـد سَيِّدُهُ - من أن حكمته قد ارتكزت على أداة دليل الحكمة^(١) (العرفان) فقط، فسار فيها على نهج الصوفية في تفسير الرؤية الكونية، أو ارتكز نهجه على منهج الإشراقيين، كما قال الطالقاني^(٢) في كتابه: (وقد نهج في ذلك نهج الإشراقيين)^(٣).

والحقيقة أننا لو نظرنا منهجه بدقة، وفهمنا مراداته فيه؛ فسنجد أنه قد خالفهم في كل شيء يدور حول هذا الأمر.
كيف لا؟

(١) - قلنا سابقاً - بأنه لا مشاحة في الاصطلاح بين العلماء، وأن همنا هو المصداق لا اللفظ المستعمل لنقل المعنى. ومن المهم الإشارة هنا: بأن الشيخ الأحسائي لم يستخدم مصطلح العرفان (بمعنى العرفان الشائع الآن). أو الإشراق. أو الفيض. أو الحدس في كتبه؛ بل استخدم مصطلح العرفان المحمدي الأصيل. ووكده بصورة أجلى وضوحاً بمصطلح "دليل الحكمة".

(٢) هو السيد محمد حسن بن عبد الرسول بن مشكور الطالقاني. ولد في سنة (١٣٥٠ هـ) وتوفي في سنة (١٤٢٤ هـ).

(٣) الشيخية - الطالقاني: ص ٨٠.

وهو من الأعلام الذين وقفوا لهم ولشطحاتهم بالمرصد، فرد عليهم، وأنقض أساس مبانيهم؛ كنفده لنظرية وحدة الوجود التي قامت عليها ركائزهم وغيرها. ويمكن اعتبار كتابيه "شرح العرشية" و"شرح المشاعر"، اللذين رد فيهما على الملا صدرا الشيرازي، وانقض ثلثة من مبانيه وأفكاره، خير شاهد ودليل على ذلك، حيث قال عليه السلام: "في كتاب شرح العرشية - في مخالفته لهم، وفي مطابقة ما جاء به للشرع: (وأما المكاشفة فقد تستعمل في الأمور المؤدية إلى الجهل بالله تعالى، لأنها قد تكون ناشئة من الرياضات المنهي عنها شرعاً، والأوراد التي تستعملها الصوفية، التي لم ترد عن أهل العصمة عليهم السلام، بل ورد عن الصادق عليه السلام: «إلا أن أكثرهم يسفل»؛ يعني: أن أكثرهم يخطئ الحق، اللهم إلا أن يكون رجلاً قد راض نفسه بصدق الإخلاص، في القيام بالإمتثال لأوامر الله، واجتناب نواهيه، والتقرب إليه بالنوافل، وملازمة الآداب الشرعية، ويجعل فهمه وعقله تابعين للكتاب والسنة، لا يريد بجميع أعماله وأفعاله وأقواله إلا ما يرضي الله تعالى، فإن الله تعالى يسدده للإصابة في جميع أعماله واعتقاده، لما هو الأحب إليه، ويعصمه من الخطأ في أمور دنياه وآخرته، وهذا هو البرهان الحق، لا البرهان الاصطلاحي، وهذا هو معنى الحديث القدسي: «ما زال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به...»^(١)، فحينئذٍ يريه الله الأشياء كما هي^(٢).

(١) معارج اليقين - السبزواري: ص ٢٠٥ ح ١١/٥٠٥.

(٢) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحساني: ج ٣ ص ٤٥٥.٤٥٦.

فدليل الحكمة (العرفان) المؤدي إلى المكاشفة، والذي صرح به في مصنفاته، لم يطابق ما جاؤوا به، ولم يخرج فيه قيد أنملة عن إطار الشارع المقدس؛ بل إنه قد أوضح وأبان ما يعنيه أهل البيت عليهم السلام من المعرفة الحقّة في هذا المضمار؛ وسوف ترى كيف أنه اعتمد على النصوص الشرعية أيّما اعتماد في مقدمته وغايته، وقبول أو رد نتيجته.

ومن أجل الإنصاف والأمانة العلمية، فإننا لن نقوم بتأويل أو تفسير كلماته في دليل الحكمة بحسب إدراكات عقولنا، أو هفوات أو هامنا؛ بل سنستند في تفسير كلماته بكلماته، مع إيّانة المقصود إن اقتضى المقام إفصاح الإشارة، وفتح التلويح في العبارة. فهلّم نظّر في أداة دليل الحكمة لديه، ونشرحها بدقّة؛ ليتضح لنا غاية المبحث، فنقول - وعلى الله التوفيق -:

إن مقصود الشيخ الأوحَد ﷺ من المعرفة الحقّة الكاملة، أي: العرفان؛ لأن العرفان في اللغة مشتق من (عَرَفَ)، ويعنى به المعرفة، كما قال ابن منظور: (عَرَفَ: العَرِفَانُ: العلم.. عَرَفَهُ، يَعْرِفُهُ، عَرِفَةٌ وَعَرِفَانًا وَعَرِفَانًا وَمَعْرِفَةً وَاَعْتَرَفَهُ.. وَالْعَرِيفُ وَالْعَارِفُ بِمَعْنَى مِثْلِ عَلِيمٍ.. وَالْجَمْعُ عُرَفَاءُ)^(١)؛ هو معرفة الوصف الذي وصف عليه السلام به نفسه لعبده ليعرفه، أي: معرفة النفس، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اطلبوا العلم ولو بالصين، وهو علم معرفة النفس، وفيه معرفة الرب ﷻ»^(٢).

(١) لسان العرب - ابن منظور: ج ٩ فصل العين المهملة ص ٢٣٦.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٢ ب ٩/ استعمال العلم والإخلاص في طلبه.. ص ٣٢ ح ٢١.

ولذا قال قَدَسَ سَمُوهُ في ماهية هذه المعرفة: (لن طلب المعرفة الحقّة الكاملة، إن الإنسان مركب من مادة وصورة، وحقيقة المادة من فيض كرم الله، وهي وصف الله نفسه لعبده؛ لأن الله سبحانه لما كان لا يمكن معرفته لغيره من نحو ذاته، وأحب أن يعرفه عبده، ووصف نفسه وصف تعريف وتعريف، وجعل ذلك الوصف حقيقة عبده، وتلك الحقيقة هي مادته، وهي وجوده، وهي جهته من ربه، وهي نور الله الذي ينظر به المؤمن المتفرس، وهو فؤاده، وهو آية الله في نفسه، التي أراهم الله إياها، وهي إنموذج فهواني)^(١).

وقد اصطلح على آلة تحصيل هذه المعرفة بمصطلح دليل الحكمة، الذي عرفه في كتبه بعدة تعريفات، أوضحها ما ذكره في كتابه "شرح فوائد الحكمة"، وهي:

- هو آلة لتحصيل المعارف الإلهية الحقيقية^(٢).

- هو الدليل الكشفي العياني^(٣).

- هو الحكمة العلمية والعملية معاً بشروطهما؛ لأن أحدهما لا يكفي

عن الآخر، وإن كان بشروطه^(٤).

فأمّا بالنسبة للتعريف الأول - (دليل الحكمة: هو آلة لتحصيل المعارف

الإلهية الحقيقية) -:

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ١٠.

(٢) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي: ج ١ ص ٢٠٥.

(٣) شرح الفوائد - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي: ج ١ ص ١٩٥.

(٤) شرح الفوائد - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي: ج ١ ص ١٩٥.

فيظهر منه نوع دليل الحكمة عند الشيخ الأوحَد رحمته ، وأنه علم آلي لا ذاتي ؛ أي : أنه يقوم مقام الأداة ، أو الآلة الموصلة إلى المعارف الإلهية ، فهو ليس مصدراً يستقي منه معارفه في تفسير الرؤية الكونية ، كما لدى الصوفية ؛ بل يعتبره آلة كاشفة فقط ، لا مصدراً مشرعاً له .

وبيِّن مراده منه بقوله : (أن دليل الحكمة به يُعرف الله ، ويُعرف ما سواه ، أي : ما سوى الله سبحانه ؛ مثل آياته الدالة عليه تعالى ، كمعرفة النفس ، فإنك إذا عرفت مجردة عن كل نسبة وإضافة ، وعن جميع العوارض والمشخصات ، بأن تعتبرها مجردة عن جميع سبحانه من غير إشارة ، عرفت الله تعالى ؛ لأنها حينئذ هي وصفه لنفسه تعالى لعبده ، فمن عرف وصفه لنفسه عرفه ، وهي حينئذ ذلك الوصف)^(١) .

وقيدَ هذه الآلة عنده ، هو استنادها إلى النقل والفؤاد ، كما قال :

(ومستنده [أي مستند دليل الحكمة] الفؤاد والنقل . [والمراد بالفؤاد] هو الوجود ، وهو الذي يعرف الله ، وبه يعرف الله ، وهو في الإنسان بمنزلة الملك في المدينة ، والقلب بمنزلة الوزير . وإنما انحصر دليل الحكمة الاصطلاحي في إدراك الفؤاد ؛ لأنه هو الذي يُدرك الشيء مجرداً عن جميع ما سوى محض وجود الشيء ، مع قطع النظر عن جميع عوارض الشيء الذاتية ، كأركان القابلية ومتمماتها والعارضية ، بلا إشارة ولا كيف ، ولا يحصل من غير الفؤاد ؛ فلذا كان محل المعرفة ، ولذا قلنا : مستنده الفؤاد .

(١) شرح الفوائد . الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي : ج ١ ص ٢٠٦ . ٢٠٧ .

وأما النقل ؛ والمراد منه الكتاب والسنة ، لكونه - أي النقل - أصلاً لاستنباط ذلك الدليل - أي دليل الحكمة - ، ومتبوعاً للفؤاد... والمراد بمستنده منهما - أي من الكتاب والسنة - هو المحكم منهما لا المتشابه^(١) .

فالنتيجة التي يمكننا الحصول عليها من التعريف الأول ، هي :

١- أن دليل الحكمة عند الشيخ الأوحـد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، هو آلة لتحصيل المعارف ، وليس مصدراً يتخذ كحجة لإثبات مطالبه .

٢- أن مستند هذا الدليل هو الوجود المجرد ، الذي هو الأثر والصفة التي يُعرَفُ بها رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ؛ لأنه آيته الدالة عليه^(٢) .

٣- أن محل استنباط هذا الدليل هو المحكم من الكتاب والسنة ، لا المتشابه .

وأما بالنسبة للتعريف الثاني - (دليل الحكمة : هو الدليل الكشفي العياني) :-

فيظهر منه آية دليل الحكمة عند الشيخ الأوحـد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وسبيل إثباته بعد الظفر بالنتيجة . ويبيِّن مراده منه بقوله :

(إن الكشف على قسمين :

[القسم الأول] : قسم يكشف الناظر به عن حقيقة ما يتدبر فيه

وينظر ، وليس له لحاظ غير ذلك ، فإذا انقطع عما سوى تدبر الآية ظهر له

(١) شرح الفوائد الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي : ج ١ ص ٢٠٦-٢٠٧-٢٠٨ .

(٢) سوف نتكلم بشكل مفصل عن تجريد النفس في المطلب التالي. ليتضح المقام أكثر.

بعض ما فيها من الآيات والعنوانات، لأن كل شيء خلقه الله تعالى في تقدير الله، جعله دليلاً ومدلولاً عليه، وشاهداً ومشهوداً، وكتاباً ومكتوباً، وبياناً ومبيناً، وتابِعاً في تقدير الله ومتبوعاً، وعارضاً ومعروضاً، وعلّة ومعلولاً، وأمثال ذلك.

فإذا نظر في الآية متدبراً لها غير ملتفت إلى ما يفهم قبل، ولا إلى قواعد عنده، ولا إلى ما أنست به نفسه من المسائل، فإنه يفتح له بنسبة إقباله وإخلاصه في إقباله. وما حصل له من الآيات والدلالات، فلا شك، في صحته وقطعيته، وذلك العلم لدني، قال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾^(١)، وقال تعالى - في الحديث القدسي -: «من أخلص لله العبودية أربعين صباحاً، تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه،...»^(٢)، وهذا هو الذي يصح فيه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣).

[القسم الثاني]: وقسم يكشف الناظر به عن حقيقة خصوص مقصوده، فإن انقطع في النظر في الآفاق وفي الأنفس تحصيلاً لتصحيح معاندته ومكابرتة للحق، أو للغير حصل له شبهة قوية، وعبارات متينة، وتدقيقات خفية، تؤيد باطله لا يكاد يتخلص منها ويردها، ولا يعرف وجه بطلانها، إلا صاحب الكشف الأول.

(١) سورة الأنعام - الآية: (٧٥).

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٥٣ / في أن المداومة على العبادة والإخلاص في النية أربعين صباحاً... ص ٣٢٦.

(٣) سورة العنكبوت - الآية: (٦٩).

والآفاق والأنفس ، وإن كانتا لم يُخلقا باطلاً ولا عبثاً ، إلا أنه سبحانه لما أجرى حكمته على الاختبار والامتحان ، ليميز الخبيث من الطيب ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾^(١) ، ولأن الخبيث يشابه الطيب ، قال تعالى : ﴿ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾^(٣) ، فشبه كلا منهما بالشجرة ، وكذا في آية : ﴿ فَاحْتَلَطَ السَّلْبِيُّ زَبَدًا رَابِئًا وَمِمَّا يُوقَدُونَ عَلَيْنِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ ضَيْرٌ بُّ اللَّهِ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ ﴾^(٤) ، وذلك لما بين الضدين من كمال المعاكسة ، حتى إنه يعرف الشيء بضده ، وكل ذلك لفائدة التمييز والاختبار ، ولذا قال عليه السلام : «فلو أن الباطل خلص لم يخف على ذي حجي ، ولو أن الحق خلص لم يكن اختلاف ، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث ، فيمزجان فيجئان معاً ، فهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه ، ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى»^(٥) ، أو كما قال : فيعرف المعاند من المشابهات شَبهاً يؤيد باطله .

ثم يكمل قدس في بيان بقية أنواع الكشف الباطل :

[الثاني] : ومثل هذا في عدم الإصابة من انقطع في النظر في الآفاق

(١) سورة طه - الآية : (١٥) .

(٢) سورة إبراهيم - الآية : (٢٤) .

(٣) سورة إبراهيم - الآية : (٢٦) .

(٤) سورة الرعد - الآية : (١٧) .

(٥) الكافي - الشيخ الكليني : ج ١ ك / فضل العلم ب / البدع والرأي والمقائيس ص ٥٤ ح ١ .

وفي الأنفس، لتحصيل ما يؤيد ما أنست به نفسه من الاعتقادات أو المسائل، فإنه يحصل له منهما ما يؤيد ما في نفسه.

[الثالث]: ومثل هذا أيضاً مَنْ كان عنده قواعد وضوابط لما يعلم ويعتقد، فينظر في الآفاق وفي الأنفس ليحصل له ما يقوي ما عنده من العلوم، فإذا ظهر له شيء منهما عرضه على قواعده، فإن وافق قلبه، وإن خالف تأولّه أو طرحه، ولعل الخطأ في قواعده.

فالكاشف على نحو واحد من هذه الثلاثة - أي من الكشف الباطل - لا يكاد يصيب الحق إلا نادراً، بخلاف الأول - أي الكشف الأول، والذي هو العلم اللدني^١ - فإنه لا يكاد يخطئ الحق، مع أن كل واحد من الأربعة يدعي الصواب، وهي دعوى باطلة، إلا أن يشهد الله سبحانه بصحتها، وذلك بما أنزل في محكم كتابه، وأوحى إلى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وألهم أولياءه أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَام.

فإذا اختلفت الأربعة فعليهم الترافع إلى محكم الكتاب والسنة، فمن شهد له بالصدق فهو الصادق، ومن لم يشهد له فأولئك هم الكاذبون^(١).

فالنتيجة التي يمكننا الحصول عليها من التعريف الثاني، هي:

١- أن آلية الكشف عند الشيخ الأوحَد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تكون بالتدبر في الآفاق والأنفس، أي في الآيات، من غير الالتفات إلى ما يفهم قبل، ولا إلى القواعد الموجودة عنده، ولا إلى ما أنست به نفسه من المسائل.

٢- أن غاية الكشف عنده هو تحصيل العلم اللدني^٢؛ لا تحصيل

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي: ج ١ ص ٤٣-٤٤-٤٥.

المعاندة والمكابرة للحق ، ولا لتحصيل ما يؤيد ما أنست به النفس من الاعتقادات أو المسائل ، ولا لتحصيل ما يقوي ما عنده من العلوم.

٣- أن آية إثبات قطعية الكشف عنده تكون بالترافع إلى محكم الكتاب والسنة.

وأما بالنسبة إلى التعريف الثالث - (دليل الحكمة : هو الحكمة العلميّة والعملية معاً بشروطهما ؛ لأن أحدهما لا يكفي عن الآخر ، وإن كان بشروطه) :- :

يظهر منه أقسام دليل الحكمة عند الشيخ الأوحـد قَدَسَتْ وشروطها ، ويبيّن هذه الأقسام بقوله :

[وشروط الحكمة العلمية (العرفان النظري)] :

١- أن يجمع قلبه على استماع المقصود ، والتوجه إليه من غير أن يريد العناد والرد ؛ لأنه لو استمع وهو يريد الرد والعناد ، كان منشغلاً بغير ما هو بصدده ، فيتفرق قلبه ، ولا يفهم المراد.

٢- أن لا تركز نفسه إلى ما أنست به ، فإن حب الشيء يعمي ويصم ، حتى إنه يصعب عليه مفارقة ما عنده ؛ وإن ظهر له كونه مرجوحاً ، فيتكلف في الجواب عما يخالفه.

٣- أن لا يعتمد على مجرد ما عنده من القواعد والضوابط ، فإن من اعتمد على ذلك غالباً لا يكاد يصيب الحق ، بل يرى كل ما يوافق قواعده صحيحاً ، وإن كان عند نفسه مرجوحاً ، فإذا التفت إلى مرجوحيته ، أغمض

عنه اعتماداً على قواعده، ويرى كل ما يخالفها باطلاً، وإن كان وجد في نفسه راجحيته أو حقيته اتكالاً على قواعده، ولعل الغلط إنما هو في قواعده، إما في أصل صحتها، أو في عمومها.

فإذا ترك العناد والركون والأنس بالمسألة، وعدم الالتفات إلى القواعد، وإنما ينظر فيما يرد عليه من الكتاب والسنة، وفيما أراه الله تعالى من آياته في الآفاق وفي نفسه، بمحض فهمه وذكائه، بحيث يكون متعلماً من الكتاب والسنة وآيات الله سبحانه، قابلاً منها، مصداقاً لها، فيكون تابعاً، ولا يكون مؤولاً للكتاب والسنة وآيات الله سبحانه على ما يلائم مراده وشهوته، فيكون متبوعاً، وهي تابعة له.

[وأما بالنسبة لشروط الحكمة العملية (العرفان العملي)]:

١- أن يكون مخلصاً لله ﷻ في توحيده وعبادته، بحيث لا يكون له غرض إلا رضى الله سبحانه في كل شيء.

فإذا تمت له شروط العلم وشروط العمل جميعاً على الوجه المطابق للكتاب والسنة؛ حصل له دليل الحكمة، الذي لا يعرف الله إلا به^(١).

وهناك جواب له عن منهج الرياضة العملية، ذكرها للسيد محمد البكاء؛ حينما سأله عن مسائل من جملتها ذلك، حيث قال السيد:

(وبين لي في آخر الأجوبة: طريقة الرياضة، وكيفية تحصيل السعادة والمعرفة، وقل لي أي شيء أفعل في الخلوة، وبين لي كل شيء ترى فيه

(١) شرح الفوائد - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي: ج ١ ص ١٩٥-١٩٦-١٩٧.

صلاح أحوالي ، ولا تتأمل في قضاء حاجتي . وأنا والله العظيم معترف بلساني وقلبي وجوارحي ؛ بأن حقيقة الحق عندك ، وبه وبركتكم كشف الله عن قلبي غطاء الظلمة والريب . وابتسط في الأحقية ، واكشف غطاء الإجمال ، واكتب حقيقة الكشف ، ولا تقتصر بالاستدلال حتى تكون أجوبتكم ذخيرتي في دنياي وآخرتي وأنسي في وحشتي وخلوتي . إن لم تكشف الغطاء والله يوم القيامة عند جدي آخذ ذيلك وأشكو إليه .

وأعلم يقيناً أن ليس في عصرنا أحد يعرف قدركم وأنت مجهول القدر كساداتك الطاهرين ، طول الله عمركم وجعلني الله من العارفين بحقكم ونور قلبي بأنوار قلبي بأنوار مشكاة معارفكم وفيوضاتكم ، ولا تنسني من صالح دعائكم وحسن رأفتكم في الدنيا والآخرة . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فرد عليه الشيخ الأوحـد رحمته : (إن طريق الحق ونهج الصدق في الرياضة : هو ما سنه أئمة الهدى عليهم السلام ، وهو أن تسلك الطريقة المستقيمة في الأحوال والأفعال والأقوال .

أمّا في الأكل والشرب : فلا تأكل حتى تجوع ، فإذا أكلت فلا تشبع ؛ بل تبقي من شهوتك ، ولا تشرب حتى تعطش ، وإذا شربت فلا ترو . وأمّا في العبادة : فتحسن وضوءك وتقرأ عنده الأدعية الماثورة وسورة القدر في أثنائه ، وبعد الفراغ تقرأها ثلاثاً ، وتحسن صلاتك ، وتقبل عليها بقلبك ، وفرغ قلبك في صلاتك لعبادة ربك ، وتصلي صلاة مودع .

وأما في أحوالك: فاجعل قلبك منبراً للملائكة، ولا تجعله مربوطاً لحيوانات الشهوات، ولتكن ذاكراً لله كثيراً؛ بأن لا تغفل عن الله، فتذكره عند الطاعة فتفعلها، وعند المعصية فتتركها، ولا تحقر شيئاً من طاعة الله، فعسى أن يكون فيه رضا الله، ولا شيئاً من معاصي الله، فعسى أن يكون فيه سخطه. وأن تكون دائم النظر في خلق الله نظر اعتبار وتدبر، وتذكر الآخرة والموت، وتنظر إلى الدنيا وتقلباتها وعدم دوام لذاتها.

وأما أفعالك: فإن قدرت أن لا تتحرك ولا تسكن إلا بما يوافقُ محبة الله فافعل. فاجعل سعيك إلى المساجد ومواضع الذكر، وبطشك في ما أمر الله تعالى، ونظرك وسمعك وجميع جوارحك.

وأما أقوالك: فلا تنطق إلا فيما يعينك في الدنيا والآخرة، وعليك بقراءة القرآن بتدبر؛ فإنه مفاتيح خزائن الغيب.

ثم اعلم أن الله يقول: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١). فذكر الإيمان ثلاث مرات والتقوى ثلاث مرات.

فالأول: الإيمان بالله والتقوى تقوى الله فيما بينك وبينه فلا تنظر غير الله إلا بالعرض. كأن تراه سبباً لفعل الله أو مظهراً لقدرته، ولا تعتمد على غير الله في شيءٍ قلَّ أو جَلَّ؛ فإن ما سوى الله ليس شيئاً إلا بالله، ولا تثق بغير الله في كل حال؛ بل اتق الله أن تنظر لغير الله شيئاً في كل لحاظٍ إلا به.

والتقوى الثانية: أن تتقي نفسك فلا تلين لها ولا تتركها وشهواتها فتوردك المهالك؛ بل تجعل همك في جهادها وحملها على الانقياد لأمر الله. والإيمان الثاني: أن تؤمن بذلك فإنك إذا فعلت بها كذلك غير مؤمن به إنهدم ما أسست لها.

والتقوى الثالثة: أن تتقي الناس بأن تجتنب ما حملوك من العادات المخالفة للشرع والآراء ومجالسة أهل الغفلة منهم والمعاصي، وأن تجتنب كل ما لا يجبون منك مما لا يُرادُ منك شرعاً؛ بل تعاملهم بما تحب أن يعاملوك به، وتكون مؤمناً بذلك كما ذكرنا وتعمل وتحسن العمل فإنه تمام الأمر.

ولا تستصعب ما وصفت لك؛ بل تعمل ما تقدر عليه، ولا تترك ما تقدر عليه لأجل ما يصعب عليك، فإنك إذا فعلت ما تقدر عليه قويت على ما صعب عليك، قال الصادق عليه السلام: «بالحكمة يُستخرج غور العقل، وبالعقل يُستخرج غور الحكمة»^(١). وإذا داومت على الأعمال الصالحة والنوافل، انفتحت لك الأبواب، وتسببت لك الأسباب، ورفع عنك الحجاب، ووزقك الله من رحمته وعلمه ومعرفته ومعرفة أحكامه بغير حساب، قال تعالى: «ما زال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبتة وإن سألتني أعطيتة»^(٢).

(١) الكافي - الشيخ الكليني: ج ١ ك / العقل والجهل ص ٢٨ ح ٣٤.

(٢) الكافي - الشيخ الكليني: ج ٢ ب / من أذى المسلمين وأحقرهم ص ٣٥٢ ح ٧.

فإذا تقرب العبد إلى الله بالنوافل أحبّه، فإذا أحبّه قال ﷺ: «ليس العلم بكثرة التعلّم، وإنما هو نور يقذفه الله في قلب من يحب»^(١)، فينفسح فيشاهد الغيب، وينشرح فيحتمل البلاء. قيل: وهل لذلك من علامة، قال ﷺ: «التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله»^(٢).

فهذه حقيقة الطريقة وطريقة الحقيقة، وهي أقرب الطرق إلى الله وأقومها. وأمّا ما ذكره أهل التصوف وأصحاب التقشف من الرياضات والأذكار التي لم ترد عن الأئمة الأطهار، فذلك زخرف القول يفعلونه غروراً، ولو شاء ربك ما فعلوه؛ ولكنه تركهم وخلاهم من يد رحمته، فذرهم وما يفترون وليصغي إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة من إخوانهم أهل الغواية والضلالة والملاهي؛ الذين يطلبون ما يباهون به العلماء، ويمارون به السفهاء، فيصورون الباطل في صورة الحق؛ ليستحسنه أهل الإلحاد في أسماء الله، وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون.

وهو طريق كثير الحيات والعقارب، مظلم كالليل الدامس مُسبِع، وهو سبيل الفجار وطريق النار فاجتنبوه لعلكم تهتدون. والسلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى ورحمة الله وبركاته. وكتب العبد المسكين أحمد بن زين الدين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله^(٣).

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ١ ك/ العلم ب٧/ آداب طلب العلم وأحكامه ص ٢٢٥ ح ١٧.

(٢) كنز العمال - المتقي الهندي: ف ٣/ في فضل الإيمان والإسلام ص ٧٦ ح ٣٠٢.

(٣) رسائل الحكمة - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي: ص ١٥١-١٥٢-١٥٣.

فالنـتـيـجـة الـتي يـمـكـنـنا الـحـصـول عـلـيـها مـن الـتـعـرـيـف الـثـالـث ، هـي :

١- أن دليل الكـشـف عـنـد الـشـيـخ الأـوـحـد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قائـم عـلـى الجـانـب العـلمـي والجـانـب العـمـلـي معاً وبشـروطـهـما. فـهـو لا يـنـكـر الجـانـب العـلمـي كـمـا يـفـعـله الصـوفـيـة.

٢- أن الجـانـب العـلمـي مـسـتـنـد عـلـى الـكـتـاب والسـنة فـي نـظـره وتـأويله.

٣- أن الجـانـب العـمـلـي مـسـتـنـد عـلـى الـكـتـاب والسـنة فـي تـوحيده وعبادته. فـيـمـكـنـنا أن نـقـرر بـعـد هـذا الـكـلام :

أن الـشـيـخ الأـوـحـد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اسـتـخـدم دليـل الحـكـمة - أو العـرفـان - فـي مـنـهـجـه كأداة فقط ، وأن غايته هو تحصيل العلم اللدني ، وأنه قد استند في مقدمته وآليته وقبول نتيجته على ميزان الكتاب والسنة.

وأنه لم ينتهج نهج الصوفية في ذلك ، ولا نهج الإشراقين ؛ بل اعتمد على مصدرية القرآن والسنة في حكمته النظرية وفي حكمته العملية. وهـنا - عـزـيـزي القـارئ - :

ادعوك دعوة حق ونظر، لا دعوة تعسف وكبر؛ بالإنصاف في كلماته، والحكم عليها ببصرك إن كنت من أهل الفطنة، وببصيرتك إن كنت من أهل المعرفة، ثم تقرّر بنفسك بعد ورود كلماته :

هل قال الشيخ الأوحـد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعرفان مخالف عما ورد في الشرع ؛ بعرفان الصوفية؟ أم أن جميع مع ذكره في عرفانه قد كان مطابقاً لما ورد عنهم عليهم السلام؟ كما سيوضح أكثر في المطالب التالية.

وعلى أي حال، من أجل شمولية المطلب، بقي أن نذكر أن هناك دليلين^(١) ذكرهما الشيخ الأوحَد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في منهجه؛ ولكنه لم يستخدمهما في تحصيل الحكمة الإلهية؛ بل استخدمهما في غاية أخرى، وهما:

١- دليل الموعظة الحسنة، (الذي هو روح السلوك العلمي، وذلك بمعرفة تهذيب الأخلاق، والظفر بالمطلوب، من تعديل أحوال النفس، بأن تعرف التخلق بأخلاق الله، وتتخلق بها، على نحو ما تخلق بها الروحانيون)^(٢)، وقد استخدمه لعلم الطريقة؛ أي: علم طريق السلوك العملي.

٢- دليل المجادلة بالتي هي أحسن، وهو (ما ذكره العلماء في كتبهم من البراهين والأقيسة بكل أنواعها، كما هو مقرر في المنطق، وفي علم الأصول)^(٣)، وقد استخدمه لعلم الشريعة.

(١) لا غرض في بحث وشرح هذين الدليلين. وما يهمنا هو دليل الحكمة أو العرفان الذي استخدمه في منهجه. ومن أجل الزيادة. انظر/ شرح فوائد الحكمة - لشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ٢١٧-٢٢٦.

(٢) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ٢١٧.

(٣) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ١٩٧.

المطلب الخامس

سفر العارف إلى مبدئه عند الشيخ الأوحـد سَيِّدُهُ قَدَسُ

قد بينا سابقاً أن دليل الحكمة (العرفان) الذي اعتمده الشيخ الأوحـد سَيِّدُهُ قَدَسُ كأداة من أجل معرفة الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومعرفة حقائق الأشياء، وهنا سوف نتعمق بشكل أدق فيه، ونعرف كيف وظف سَيِّدُهُ قَدَسُ النص الديني من أجل استنباط هذا الدليل، والاستناد عليه، من خلال التطرق إلى كيفية سفر العارف عنده.

ومن أجل أن يكون الكلام وافياً في المقام، نحتاج إلى استطراد مقدمة حكمية مبنية على أصول منهجه، فنقول:

إن الغاية التي يصبو إليها كل عارف من سفره، هي تحصيل المعرفة الحقة الكاملة، أو تفسير الرؤية الكونية، أو الوصول إلى رتبة الكمال في العقيدة، عبر عنها بما شئت، فجميعها نتائج متحصلة من هذه المعرفة.

وتحصيل هذه المعرفة بدرجاتها هو امتثال للحب الإلهي؛ لأنها الغاية

التي من أجلها خلق الله ﷻ الخلق، كما ورد في الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف»^(١).

ولما لم تكن هناك طريق بينه ﷻ وبين خلقه، لوجوبه تعالى وإمكان خلقه، ولعدم القدرة على إحاطة كنهه؛ لأنه سبحانه وتعالى لا يُدرك لا بالحواس ولا بغيرها، ولقصور مخلوقاته عن إدراكه، وجب عليه - في الحكمة - أن يُعرِّف نفسه لهم بهم، وإلا لكان عقابهم على ترك معرفته عبثاً؛ لمنافاته مقتضى الحكمة، والحكيم لا يصدر منه العبث^(٢).

فمن منه وكرمه ولطفه بنا، أن عرف نفسه لنا بنا، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الحمد لله الذي تجلى لخلقه بخلقه»^(٣)؛ فالكريم اللطيف الخبير بمصالح عباده لم يجعلهم وحده في هذا الأمر؛ بل عرف نفسه لهم، وبين الطرق الذي فيه صلوح غاياتهم.

وقد جاء هذا التعريف - الذي من خلاله تتحصل المعرفة الإلهية - على نوعين^(٤)، هما:

١- تعريف مقالي

وهو معرفة الشيء بغيره لا بنفسه؛ أي: بواسطة، كما لو طلبت منك معرفة زيد فأريتني ما يدل عليه من دلائل، كصورته مثلاً.

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٨٤ ص ١٩٩ ح ٦.

(٢) حياة النفس - الشيخ أحمد الأحسائي: ص ١٠.

(٣) نهج البلاغة - الشريف الرضي: ص ٢٠٠ خطبة رقم (١٠٨).

(٤) المخازن - الميرزا حسن كوهر: ص ٤٤.

وبما أن معرفة ذات الله مستحيلة، جعل له دلائل ومظاهر تدل عليه، وهم محمد وآله عليهم السلام، فكانت معرفتهم هي عين معرفته.

فقد ورد في دعاء الندبة: «فكانوا هم السبيل إليك، والمسلك إلى رضوانك... أين باب الله الذي منه يؤتى، أين وجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء، أين السبب المتصل بين الأرض والسماء»^(١).

وورد في الزيارة الجامعة: «السلام على محال معرفة الله... إلى الله تدعون، وعليه تدلون... من أراد الله بدأ بكم، ومن وحده قبل عنكم، ومن قصده توجه بكم... من والاكم فقد والى الله، ومن عاداكم فقد عادى الله، ومن أحبكم فقد أحب الله، ومن أبغضكم فقد أبغض الله، ومن اعتصم بكم فقد اعتصم بالله... وبموالاتكم علمنا الله معالم ديننا، وأصلح ما كان فسد من ديانا، وبموالاتكم تمت الكلمة، وعظمت النعمة، واثقلت الفرقة، وبموالاتكم تقبل الطاعة المفترضة»^(٢).

والمقصود بمعرفتهم التي هي عين معرفته، ليس معرفة أسمائهم؛ بل معرفتهم بالنورانية، التي هي معرفة مقاماتهم التي منحهم الله ﷻ إياها في النشأة، ومظهرية الصفات، والآثار والأفعال الإلهية - من ولاية تكوينية أو تشريعية أو غيرها -، والتصديق الجازم بها، والتولي لهم، والتبري من أعدائهم، والاعتقاد بمعارفهم وفضائلهم، والتسليم لهم في كل شيء^(٣).

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٩٩ ب ٧ / زيارة الإمام المستتر عن الأبصار... دعاء الندبة ص ١٠٤.

(٢) عيون أخبار الرضا - الشيخ الصدوق: ج ٢ ب ٦٨ / في ذكر زيارة الرضا عليه السلام الزيارة الجامعة ص ٣٠٩.

(٣) أحوال البرزخ والآخرة - الشيخ أحمد الأحسائي: ص ٧٠-٧١.

فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام ، أنه قال - في حديث طويل حينما سأله سلمان وجندب رضي الله عنهما عن معرفته بالنورانية :- «إنه لا يستكمل أحد الإيمان حتى يعرفني كنه معرفتي بالنورانية ، فإذا عرفني بهذه المعرفة ، فقد امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام وصار عارفاً مستبصراً ، ومن قصر عن معرفة ذلك فهو شاك ومرتاب .

يا سلمان ويا جندب ، قالوا : لبيك يا أمير المؤمنين .

قال : معرفتي بالنورانية معرفة الله تعالى ، ومعرفة الله تعالى معرفتي بالنورانية ، وهو الدين الخالص ، الذي قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِطِينَ لَهُ الدِّينَ حُمَفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ ^(١) (٢) .

هذا هو الطريق الأول للمعرفة الموصلة إلى الكمال - عند الشيخ

الأوحـد قدس سره - ، الذي لا يكون إلا عن طريق معرفتهم عليهم السلام .

٢ - تعريف حالي

وهو معرفة الشيء بنفسه لا بغيره . كما لو طلبت منك معرفة زيد أريبتني إياه بنفسه . وهذه هي معرفته تعالى بأثارة في نفس عبده ؛ كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : « كل معروف بنفسه مصنوع وكل قائم في سواه معلول ، بصنع الله يستدل عليه وبالعقول يعتقد معرفته » ^(٣) ؛ لأن الله لما (أحب أن

(١) سورة البينة - الآية : (٥) .

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٢٦ ب / نادر في معرفتهم عليهم السلام بالنورانية ص ٢ ح ١ .

(٣) التوحيد - الشيخ الصدوق : ب ٢ / التوحيد ونفي التشبيه ص ٣٥ ح ٢ .

يعرفه عبده، وصف نفسه وصفَ تعريفٍ وتعريفٍ، وجعل ذلك الوصف حقيقة عبده، وتلك الحقيقة هي مادته، وهي وجوده، وهي جهته من ربه، وهي نور الله الذي ينظر به المؤمن المتفرس، وهو فؤاده، وهو آية الله في نفسه، التي أراهم الله إياها، وهي إنموذجُ فهواني^(١)؛ ولذا قال رسول الله: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»^(٢).

وللتعريف الحالي طريقتان:

الطريق الأول مجمل: وهو أن من عرف أن نفسه أثرٌ ونورٌ وصنعٌ، (والأثر يدل باللزوم على المؤثر، والنور يدل على المنير، والصنع يدل على الصانع)؛ عرف بأن له صانعاً بما أودع في نفسه من آثار صنعه الدالة عليه دلالة تعريف وتعريف.

فمعرفة النفس ما هي إلا معرفة آية أثر فعله، التي بها يستدل عليه، كما قال عليه السلام: ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِي لَأُفِي فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبْتِغَى لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكُنْ بُولُوكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٣)؛ فهي لا تعني معرفة عين ذاته عليه السلام؛ بل تعني معرفة آية صنعه الدالة عليه؛ لأن المعرفة فرع الإحاطة، وهو محيط بكل شيء ولا يمكن أن يحاط.

أما الطريق (الثاني): أعني الطريق المفصل، [وهو] أن تنفي في

(١) شرح العرشية - الشيخ الأحسائي: ج ٢ ص ١٠.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٦٧ ب ٤٤ / القلب صلاحه وفساده... ص ٣٥ ح ١.

(٣) سورة فصلت - الآية: (٥٣).

وجدانك جميع سبحات نَفْسِكَ ، حتى لا تجد إلا نفسك ، وهو الحقيقة التي سأل كميل عليها عنها ، فقال له ما لك والحقيقة يا كميل؟^(١).

«فقال كميل : أولستُ صاحب سرِّك يا أمير المؤمنين؟

فقال عليه السلام : بلى ، ولكن أخاف أن يطفح عليك ما يرشح مني .

فقال كميل : أو مثلك من يخيب سائلا؟

فقال عليه السلام : الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة .

فقال كميل : زدني فيه بيانا يا أمير المؤمنين ! .

فقال عليه السلام : محو الموهوم مع صحو المعلوم .

فقال كميل : زدني فيه بيانا ! .

فقال عليه السلام : هتك الستر لغلبة السرِّ .

فقال كميل : زدني فيه بيانا ! .

فقال عليه السلام : جذب الأحذية لصفة التوحيد .

فقال كميل : زدني فيه بيانا ! .

فقال عليه السلام : نور أشرق من صبح الأزل فيظهر على هياكل

التوحيد آثاره .

فقال كميل : زدني فيه بيانا ! .

فقال عليه السلام : أطفئ السراج فقد ظهر ضوء الصباح»^(٢).

(١) شرح العرشية - الشيخ الأحسائي : ج ٢ ص ١١ .

(٢) نور البراهين - السيد نعمة الله الجزائري : ج ١ / شرح حديث كميل ابن زياد في الحقيقة ص ٢٢١ .

فاعلم - عزيزي القارئ :-

أنَّ طريق السفر - أو المعرفة المفصلة التي عنها الشيخ الأوحده رحمته الله - نحو الحقيقة الذي ذكره أمير المؤمنين عليه السلام لكميل رضي الله عنه ، قد (أتى به على أنحاء مختلفة في العبارة وإن كان معناه متحداً ؛ ليعلم كل أناس مشربهم ، وينال كل قوم مطلبهم)^(١) ، فالمعنى في العبارات هو واحد ؛ وإنما الاختلاف وقع في التبيان ، وهذه الطرق هي^(٢) :

أ - طريق كشف السبحات

وهو الطريق الأول للسفر (كشف سبحات الجلال من غير إشارة) ، (المراد بالكشف هنا : [هو] الإزالة من موضع نظر البصيرة ، وهو معنى المحو الآتي والهتك)^(٣) ، وأما المراد بالسبحات : فهي (جمع سبحة ، وهي النور

(١) جواب الملا كاظم السمناني "جوامع الكلم" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٢٩١ .

(٢) قبل الكلام في هذا الطريق المفصل. نود الإشارة لنكتة هامة. وهي: أن الشيخ الأحسائي رحمته الله قد اعتمد اعتماداً كلياً في هذا الطريق وغيره. على ما ورد عنهم عليهم السلام. وهو وأضح من خلال تفصيله لهذا الطريق بالحديث المشهور الذي سأل فيه كميل أمير المؤمنين عليه السلام عن الحقيقة. وهذا الأمر لابد أن يوثق له في الفرق بين الآلية التي انتهجها الصوفية. وبين الآلية التي انتهجها هو في الوصول إلى الحقيقة ؛ فهو لم يضع له آلية من خيالاته الشخصية. ولا من طرق الصوفية ؛ بل اعتمد على الأخذ من الأساس الصحيح.

ولصعوبة المبحث. فالتحقق في كلامه رحمته الله في هذا الطريق. وفي وبيانه ؛ سيكون على وجه الاستقصاء ؛ لأن فهمها لا يدرك إلا بالوصول إلى هذا المقام. وسيكون من خلال تقسيمه تقسماً مبسطاً ؛ ليكون أكثر قبولاً للألباب. وإلا في الحقيقة أنه رحمته الله لم يقسم هذا الطريق - بالتقسيم الذي سنترق إليه لاحقاً ؛ ؛ ولكننا قد قمنا به من أجل بيان مقصوده فيه. مع المحافظة على المعنى الحقيقي الذي يرمي إليه في كلماته. فتمعن في كلامه فإنه طريق من رام إلى معرفة الحقيقة بالصورة التي وردت عنهم عليهم السلام.

(٣) جواب الملا كاظم السمناني "جوامع الكلم" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٢٩١ .

والشعاع^(١)، وهي (أشعة الجلال، وهي الشئون والصفات)^(٢)، وأما المراد بالجلال: فهي (ذات الشخص؛ أعني: حقيقته من ربه)^(٣).

فالكشف هنا: هو عبارة عن كشف سبحات النفس أو حجبها أو آثارها بالبصيرة، لا كشف ذاته ﷻ؛ لأن كشف حجب الشيء يوجب الكشف عن ذاته، وهو باطل ومحال على الكريم المتعال؛ لأنه لا يجري عليه الكشف، ولا إحاطة الوصف؛ فالكشف ليس جارياً على الذات البحت بل على آثارها^(٤).

وما ورد في الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف»^(٥)، لا يدل على أن الغاية من خلق الخلق هو كشف خفاء الذات؛ بل إن المراد منه: هو الكشف عن (الخفاء الصادق على عدم المعرفة بالآثار)^(٦)؛ أي: كشف ما خفي من فاعليته، أو أثر فعله؛ لأنه ﷻ لما خلقنا اقتضى في الحكمة تعريف نفسه لنا بأثر فعله لا بذاته^(٧).

وأنت إذا أزلت القيود والمشخصات من نفسك، بأن (تلقني عن ذاتك في الاعتبار والوجدان جميع شئون ذاتك)^(٨)، حتى من الإشارة القلبية

(١) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ١١.

(٢) رسائل الشيخ الأوحـد - الشيخ أحمد الأحسائي: ص ١٩.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٨٤ ص ١٩٩ ح ٦.

(٦) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ٢٧٢.

(٧) رسالة في جواب بعض الأجلء "جوامع الكلم" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٣ ص ٧١-٧٠.

(٨) رسائل الشيخ الأوحـد - الشيخ أحمد الأحسائي: ص ٢٠.

والكيف، سَمَت تلك النفس، وكانت سبحة من سبحات الجلال؛ أي: كانت أثراً من آثار صنعه أو آثار مشيئته - فعله -، فظهرت بآية الأُحدية التي من عرفها فقد عرف ربّه، وهو مصداق قوله عليه السلام: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»^(١)؛ يعني: بنور المشيئة الحادث.

وإزالة تلك القيود والمشخصات يكون بتجريدك نفسك عما سواها من جميع الحجب؛ كالثبوت والصفات والأفعال، إلى أن تصل إلى رتبها المحضة؛ أي: تصل إلى حالة (لا يبقى إلا محض الذات)^(٢).

فإذا وصلت نفسك في تجردها إلى درجة لم يعرف مثلها شيء؛ أي: (وصلت في تجردها إلى أن لا يبقى شيء ليس كمثله شيء، فإذا عرفت شيئاً ليس كمثله شيء؛ فقد عرفت ربك؛ لأنه تعالى شيء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)^(٣)، أصبحت هي أثر فعله عليه السلام، وآية توحيده؛ أي: آيته الدالة عليه، وعرفت ربك بما وصف لك بها نفسه، وهو مصداق قوله عليه السلام: ﴿سَدْرٌ مِنْهُمْ آيَاتِي لَا فَخْرَ فِيَّ أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٤)، ومصداق قول الرسول ﷺ: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»^(٥)؛ لأنها (أعلى مظاهر الحق. فتحصل الحقيقة [عندها] لكل عارف بنسبته)^(٦).

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٢٥ ب ١ / بدء أرواحهم وطينتهم عليه السلام وأنهم من نور واحد ص ٢١ ح ٣٢.

(٢) رسائل الشيخ الأوحَد - الشيخ أحمد الأحسائي: ص ١٩.

(٣) رسائل الشيخ الأوحَد - الشيخ أحمد الأحسائي: ص ٢٠.

(٤) سورة فصلت - الآية: (٥٣).

(٥) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٦٧ ب ٤٤ / القلب صلاحه وفساده... ص ٣٥ ح ١.

(٦) رسالة الملا كاظم السمناني "جوامع الكلم" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٢٩٨.

فكرر الكلام هنا ، لأهمية المقام في معاني كلام الشيخ الأوحـد ﷺ ، من أن مقصوده من معرفة النفس في هذا المقام ، ما هي إلا آية يستدل بها إلى معرفته ﷺ ، لا إلى الكشف عن ذاته ، كما قال أمير المؤمنين ﷺ : «صفة استدلال عليه لا صفة تكشف عنه»^(١) .

فالنفس إذا تجردت - عند الشيخ الأوحـد ﷺ - لا تكون محلاً أو صورةً للذات البحت ﷺ - كما أدعى الصوفية وغيرهم بذلك^(٢) ، حينما وصلت ذواتهم لهذا المرحلة من التجريد ، فإن ما كشف لهم لم يكن على ما هو عليه في الواقع ؛ بل كان على طبق أذهانهم وأفهامهم وحقائقهم المعوجّة - ؛ وذلك لأن الأثر لا يلحق المؤثر في رتبة ذاته ؛ أي : لا وجود لآثاره ﷺ بوجه من الوجود في رتبة ذاته ، كما قال جبرئيل ﷺ - لرسول الله ﷺ في المعراج :- «لله دون العرش سبعون حجاباً لو دنونا من أحدها لأحرقتنا سبحات وجه ربنا»^(٣) .

ب - طريق محو الموهوم

(محو الموهوم مع صحو المعلوم) : هذا زيادة بيان من أمير المؤمنين ﷺ لقوله : (كشف سبحات الجلال من غير إشارة) .

فمحو الموهوم إشارة إلى أنك إذا توجهت إلى الله ﷺ من الباب الذي أمرك به ، وجردت نفسك عن كل ما سواها من السبحات الموهومة بالنسبة

(١) غرر الحكم - الأملدي : ص ١٣٣

(٢) فصوص الحكم - ابن عربي - شرح القاشاني : ص ٨٥ .

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ج ٥٥ ب ٥ / الحجاب والأستار والسراقات ص ٤٥ ح ١٣ .

إليها، (لأن الإنية التي تلك السبحات والشئون أركانها التي تتقوم بها موهومة)^(١)، صحاك مقام يظهر فيه الله ﷻ بصفة تعرفه لك ؛ أي : يظهر لك الحق بحقيقة ظهوره لا بحقيقة ذاته ؛ لأن الشيء إنما يعرف بصفته، فإذا جردت نفسك عن كل شيء، رأيتها أثراً أو صفة لفعله، والنور الذي هو من صنعه، فتكون نفسك دليلاً عليه، لأن الأثر يدل على المؤثر، والنور يدل على المنير^(٢).

وحينئذ تحصل لك معرفة بربك أعلى من معرفتك في المقام السابق، فيكون مقامك الأول موهوماً بالنسبة لمقامك الثاني، والمقام الثاني يكون معلوماً بالنسبة إلى الأول^(٣).

وهكذا سير العارف بلا نهاية في طريقه، بحكم المحو لكل مقام يجاوزه، والصحو في كل مقام يصل إليه، إلى أن يوصله الله ﷻ إلى ما يريد^(٤).

وليس المقصود من عبارات الشيخ الأوحـد ﷻ في هذا المقام، ما قاله أهل التصوف : من أن السالك إذا (محا الموهوم الذي هو حجب الصفات اتصل بعين الذات)^(٥) ؛ أي : أن المحو الموهوم قد جرى على صفات الذات والمعلوم على الذات، فهو باطل ؛ لأن الصفات إن أريد بها الصفات الذاتية فهي عين الذات، وإذا محيت لم يبق من الذات شيء، والذات لا يمكن

(١) رسائل الشيخ الأوحـد - الشيخ أحمد الأحسائي : ص ٢٢.

(٢) تفسير آية الكرسي - السيد كاظم الرشتي : ج ٢ ص ٢١٧.

(٣) شرح تفسير آية الكرسي - السيد كاظم الرشتي : ج ١ ص ٣١٢.

(٤) شرح العرشية - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ٢٩.

(٥) رسالة الملا كاظم السمناني "جوامع الكلم" - الشيخ أحمد الأحسائي : ج ٢ ص ٣٠٠.

دركها، ولا يمكن درك صفاتها بأي نحو من الأنحاء؛ لأنها عين ذاته^(١)، كما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال: «إن الله عظيم رفيع لا يقدر العباد على صفته ولا يبلغون كنه عظمته، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير. ولا يوصف بكيف ولا أين وحيث. وكيف أصفه بالكيف؟! وهو الذي كيف الكيف حتى صار كيفاً، فعرفت الكيف بما كيف لنا من الكيف. أم كيف أصفه بأين؟! وهو الذي أين الأين حتى صار أيناً فعرفت الأين بما أين لنا من الأين. أم كيف أصفه بـحيث؟! وهو الذي حيث حيث حيث حتى صار حيثاً فعرفت حيث بما حيث لنا من حيث.

فالله تبارك وتعالى داخل في كل مكان وخارج من كل شيء، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، لا إله إلا هو العلي العظيم وهو اللطيف الخبير»^(٢).

جـ - طريق هتك الستـر

(هتك الستـر لغلبة السر): إذا أزلت الحجب الظلمانية النفسانية المانعة عن نيل مطلوبك؛ لأنها (الحجاب الذي يستر العبد عن مشاهدة آيات الرب سبحانه)^(٣)، وصلت إلى مقام سر الحقيقة؛ أي: وصلت إلى مقام تجلي المظاهر الإلهية بأثر الفعل، وهو مقام ظهور الحق لك بك، كما قال

(١) تفسير آية الكرسي - السيد كاظم الرشتي: ج ٢ ص ٢١١.

(٢) الكافي - الشيخ الكليني: ج ١ ك/ التوحيد ب/ النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه تعالى ص ١٠٤ ح ١٢.

(٣) رسائل الشيخ الأوحـد - الشيخ أحمد الأحسائي: ص ٢٢.

أمير المؤمنين عليه السلام: «تجلى لها بها وبها امتنع عنها وإليها حاكمها»^(١)؛ أي: تجلى لك بك؛ لأن التجلي الذي هو الأثر، يكون بالفعل، لا بذاته عليه السلام، إذ لا تختلف عليه الأحوال^(٢).

د - طريق جذب الأحدية

(جذب الأحدية لصفة التوحيد): ليس المراد بالأحدية هو الذات البحت، لأن المعنى الواقع عليه هذا اللفظ حادث، والحادث لا يقع على القديم؛ بل إن المراد منه: هو الصفة الإلهية الحادثة المختصة بالله عليه السلام، فهذا اللفظ وغيره إذا أطلق دل على المعاني المخلوقة، التي هي عنوانات ومظاهر للذات، خلقها عليه السلام لعباده ليعرفوه بها^(٣)، كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «فأما ما عبرته الألسن أو عملت الأيدي، فهو مخلوق، والله غاية من غاياته، والمغيب غير الغاية، والغاية موصوفة وكل موصوف مصنوع وصانع الأشياء غير موصوف بحد مسمى، لم يتكون فيعرف كينونيته بصنع غيره، ولم يتناه إلى غاية إلا كانت غيره»^(٤).

فحدوث الصفات الإلهية ما هو إلا من قبيل حدوث الأسماء^(٥)، فعن أبي هاشم الجعفري قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام، فسأله رجل

(١) نهج البلاغة - الشريف الرضي: ج ٢ من خطبة له في تنزيه الله ص ١١٥ خطبة رقم (١٨٥).

(٢) تفسير آية الكرسي - السيد كاظم الرشتي: ج ٢ ص ٢١٢.

(٣) شرح الزيارة الجامعة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ٤٠٢.

(٤) الكافي - الشيخ الكليني: ج ١ ك/ التوحيد ب/ حدوث الأسماء ص ١١٣ ح ٤.

(٥) شرح فوائد الحكمة - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ١ ص ٢٣٠.

فقال: أخبرني عن الرب تبارك وتعالى أله أسماء وصفات في كتابه؟ وهل
أسماءه وصفاته هي هو؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: «إن لهذا الكلام وجهين: إن كنت تقول هي هو
أنه ذو عدد وكثرة فتعالى الله عن ذلك، وإن كنت تقول هذه الأسماء
والصفات لم تزل وإنما لم تزل محتمل معنيين فإن قلت: لم تزل عنده في
علمه وهو يستحقها فنعم وإن كنت تقول: لم يزل صورها وهجاؤها
وتقطيع حروفها فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره بل كان الله تعالى ذكره
ولا خلق ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه يتضرعون بها إليه ويعبدونه وهي
ذكره، وكان الله سبحانه ولا ذكر، والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم
يزل، والأسماء والصفات مخلوقات، والمعني بها هو الله الذي لا يليق به
الاختلاف ولا الائتلاف، وإنما يختلف ويألف المتجزي»^(١).

وعن هشام بن الحكم، أنه سأل - أبا عبد الله عليه السلام عن أسماء الله
واشتقاقها -: الله مما هو مشتق؟

فقال عليه السلام: «يا هشام! الله مشتق من إله، وإله يقتضي مألوهاً،
والاسم غير المسمى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً،
ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك وعبد اثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم
فذاك التوحيد، أفهمت يا هشام؟! »

قال: قلت: زدني.

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٤ ب ١ / المغايرة بين الاسم والمعنى... ص ١٥٣ ح ١.

قال عليه السلام: «لله تسعة وتسعون اسماً فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها إلهاً؛ ولكن الله معنى يدل عليه بهذه الأسماء وكلها غيره»^(١).

وعلى أي حال، إن لصفة الأحدية مراتب عديدة، وإطلاقات اللفظ على جميعها من باب التشكيك^(٢)، ومن إطلاقاتها: كنه ذات العبد؛ أي: آثار الجلال (التي هي صفة التوحيد)^(٣)، وهي جهة العارف من ربه، وهي الأثر الظاهر من صورة صفات فعله عليه السلام. (والعارف إذا كشف سبحات الجلال من غير إشارة ظهرت الأحدية فيه، وهي الجلال في الجواب الأول، والمعلوم في الثاني، والسر في الثالث، وهي النفس في من عرف نفسه فقد عرف ربه، وهي حقيقتك من ربك)^(٤).

وأنت إذا محوت جميع سبحات نفسك، اضمحلت إنية تلك النفس، وظهرت صفة الأحدية فيك، وهي جهة حقيقتك من ربك.

فتنجذب حينئذٍ بعد تجرد نفسك بوجودها غير المقيد بقيود من شهادة الأعيان إلى غيب الإمكان؛ أي: تنجذب نحو صفة التوحيد، أو نحو سبحات الجلال، فلا يبقى إلا ظهوره تعالى لك بك بتلك الصفة؛ أي: بصفة الأحدية؛ لأن الأحدية وصفتها هي صفة التوحيد^(٥).

(١) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي: ج ٢ / أجوبته عليه السلام لهشام ابن الحكم ص ٧٢.

(٢) رسائل الشيخ الأوحده - الشيخ أحمد الأحسائي: ص ٧٣، ٧٢.

(٣) رسائل الشيخ الأوحده - الشيخ أحمد الأحسائي: ص ٢٣.

(٤) رسالة الملا كاظم السمناني "جوامع الكلم" - الشيخ أحمد الأحسائي: ج ٢ ص ٣٠٥.

(٥) رسائل الشيخ الأوحده - الشيخ أحمد الأحسائي: ص ٧٤.

وتلك الصفة ؛ أي : صفة الأحدية الظاهرة فيك ، ليست هي كما قاله الصوفية : من أنها (اسم لصرافة الذات المجردة عن الاعتبارات الحقيّة والحلقية)^(١) ؛ بل هي - عند الشيخ الأوحـد رحمته - أثر من آثار فعله عز وجل ، جعلها لك لتعرفه بها ؛ لأن الأثر يشابه صفة المؤثر من جهة التأثير ، فإذا عرفت صفة أثر فعله تعالى عرفته ، لأن الشيء إنما يعرف بصفته .

هـ - طريق النور المشرق من صبح الأزل

(نور أشرق من صبح الأزل فيظهر على هياكل التوحيد آثاره) : ليس المراد بالنور هنا الذات البحت - كما وصف الصوفية الذات البحت به - ؛ بل إنّ المراد منه هو النور الحادث الصادر من المشيئة^(٢) ؛ لأن الذات لا يصدر من ذاتها شيء .

فهذا النور المشرق قد أشرق من المشيئة على هياكل التوحيد ؛ أي : على صور الحقيقة ؛ فيكون المقصود منهما : النور المشرق من المشيئة على صور الحقيقة ، أو على آثار الحقيقة ، أو على النفس المجردة ؛ لأن (النفس العليا - أعني الفؤاد - إذا توجه إلى معرفتها ، كان آية لها ، ودليلاً عليها ، فتظهر فيه إمكانات تلك الجهة في لحاظ متعلقاتها)^(٣) .

وأنت إذا جردت نفسك من جميع شئونها ، ظهر عليك أثر ذلك النور الصادر من المشيئة ؛ أي : ظهرت لك الحقيقة ؛ لأن كل صفة تشابه صفة

(١) شرح فصوص الحكم - القيصري : ص ٣ هامش (١٥) .

(٢) شرح فوائد الحكمة - الشيخ الأحساني : ج ١ ص ٢٩٠ .

(٣) شرح فوائد الحكمة - الشيخ الأحساني : ج ١ ص ٣١٦ .

مؤثرها، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «خلق الإنسان ذا نفس ناطقة، إن زكاها بالعلم فقد شابته أوائل جواهر عللها»^(١).

س - طريق إطفاء سراج النفس

(أطفئ السراج فقد ظهر ضوء الصباح): إن الوصول إلى حقيقة النفس التي من عرفها فقد عرف ربه، والتي هي حقيقة العارف من ربه، لا يتم إلا بإطفاء الحواس الظاهرة والباطنة، حتى من الإشارة والكيف. وقد سميت هذه الحواس سراجاً؛ لأنها تعين الإنسان على إدراك الأشياء في ظلمة التكثرات العينية والوهمية.

وأنت إذا أطفأت نور حواسك؛ أي: جردت نفسك حتى من الإشارة القلبية، ظهر لك أثر النور الأقوى منك، وهو نور ضوء الصباح، الذي هو محل أثر فعله عليه السلام، وهو الحقيقة المحمدية؛ لأن فعله لا يظهر إلا بواسطتهم عليهم السلام، وظهوره فيمن شاء من خلقه لا يكون إلا بواسطتهم^(٢). فهم عليهم السلام ركن الآيات والتوحيد، وهم المقامات التي لا تعطيل لها في كل مكان، كما قال الإمام الحجة عليه السلام: «أسألك بما نطق فيهم من مشيتك، فجعلتهم معادن لكلماتك، وأركاناً لتوحيدك وآياتك، ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان، يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك، فتقها ورتقها بيدك، بدؤها منك وعودها إليك»^(٣).

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٤٠ ب ٩٣ / علمه ع وأن النبي علمه ألف باب وأنه محدثاً ص ١٦٥ ح ٥٤.

(٢) نجات الهالكين - الشيخ محمد بن أبي خمسين: ص ٣٥٤.

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٩٥ ب ٢٣ / أعمال مطلق أيام شهر رجب ولباليها وأدعيتها ص ٣٩٢.

هذا هو مجمل كلام الشيخ الأوحـد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كيفية سفر العارف إلى مبدئه، وقد اختزلها في قوله :

(واعلم أن هنا وجهاً آخر غير ما ذكر كله، وهو سهل التناول على الأفهام، وهو أنك إذا عرفت نفسك بأنك أثر عرفت المؤثر؛ لأن معرفة الأثر تستلزم معرفة المؤثر، فإذا نظرت إلى نفسك وعرفت أنك مصنوع، عرفت أن لك صانعاً، وإذا نظرت إلى أنك أنت أنت لم تعرف بهذا أن لك صانع؛ لأن إنيتك ظلمة، والظلمة لا يبصر بها الناظر؛ لأنها صفتك، وصفة الشيء لا يعرف بها غيره، بخلاف حقيقتك منه تعالى من فعله، فإنها أثر، والأثر يدل على المؤثر؛ لأنه صفة استدلال على المؤثر، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له»^(١)^(٢).

(١) غرر الحكم - الأمدى: ص ١٣٣

(٢) رسائل الشيخ الأوحـد - الشيخ أحمد الأحساني: ص ٢٤.

المطلب السادس

مقامات توحيد العارفين عند الشيخ الأوحـد قدس سره

لا بأس بعد أن انتهينا من ذكر دليل الحكمة عند الشيخ الأوحـد قدس سره ،
وبينا مقصوده منه ، أن نبين هنا مقامات ومنازل العارفين على ضوء
منهجه^(١) ، فنقول :

إن الإنسان بعد نزوله من غيب الإمكان إلى عالم الشهادة ، يصعد أو
يعود إلى مبدئه الحادث عن طريق الترقى في منازل أو مقامات .

وفي كل منزل يتوقف فيه في سيره إلى الله ﷻ ، يترقى من حالة توحيده
الأولى التي كان عليها إلى حالة توحيد أعلى منها ، وهكذا هو في ترقٍ ما دام
سائراً ؛ حتى يبلغ مقام الحقيقة التي يطلبها من المعرفة .

ومقدمة السير نحو الله ﷻ يكون باستشعار عظمته ﷻ بالتفكر في
مخلوقاته ، والتفكر في حقارة النفس وفقرها واحتياجها ، وتطهير الباطن

(١) ذكر تلميذ الشيخ الأحسائي قدس سره . السيد كاظم الرشتي قدس سره هذه المقامات والمنازل بشكل مفصل في
كتابه "تفسير آية الكرسي" : ج ٢ ص ٩٠ . ونحن قمنا بذكرها بصورة أخرى مع بقاء المعنى الذي يصبوا
إليه منهج هذه المدرسة المباركة .

والظاهر بطاعته، والمداومة على الذكر والعبادات والإخلاص فيها، والتخلق بأخلاقهم ﷺ، وبذل الجهد للاتصال بهم في كل حال، وتعلم علومهم وبيان فضائلهم ونشرها، واعتزال الناس خصوصاً في هذا الزمن؛ إلا ما كان فيه أجر وفائدة، كزيارة المؤمنين، وتشجيع الجنـزة، وعبادة المريض، وغيرها من الأمور المشروعة التي تقرب العبد من ربه.

فإذا نجح العارف في ذلك، وأعرض عن الخلق، وتوجه فؤاده إلى المؤثر لا إلى الأثر، صلح ظاهره وقلبه وسره، فانفتح له باب علم الشريعة من صلاح ظاهره، وباب علم الطريقة من صلاح قلبه، وباب علم الحقيقة من صلاح سره.

عندها تكون نفسه قد هيئت لمحو ما فيها من حجب وآثار، لتعلن السفر نحو مبدئها الحادث؛ أي: نحو حقيقتها التي هي من فعل ربها، - هذا تقريباً مختصر ما تكلمنا فيه سابقاً..

وقد ذكر أهل البيت ﷺ مصطلح العارف، وبينوا ماهية قواعده، وطريقة سفره إلى الله ﷻ، فهم ﷺ لم يهملوا هذا الجانب الروحي؛ بل غذوه بخطبهم وكلماتهم وأدعيتهم. فقد قال الإمام الصادق عليه السلام - في صفة العارف -: «العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله لو سها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه، والعارف أمين وقائع الله، وكنز أسرارهِ، ومعدن أنواره، ودليل رحمته على خلقه، ومطية علومه، وميزان فضله وعدله، قد غني عن الخلق والمراد والدينا، ولا مؤنس له سوى الله، ولا نطق ولا إشارة

ولا نفس إلا بالله ومع الله ومن الله، فهو في رياض قدسه متردد، ومن لطائف فضله إليه متزود، والمعرفة أصل وفرعه الإيمان»^(١).

وقال سيد العارفين بالله عليه السلام، أمير المؤمنين عليه السلام، - في ذكر توحيد مقامات العارفين بالله عليه السلام -: «أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف»^(٢).

ويمكننا على ضوء هذا الحديث بيان تلك المقامات والمنازل، طبقاً لما تم ذكره في منهج المدرسة التكاملية، وهي:

١- مقام المعرفة (أول الدين معرفته)

إن للمعرفة مقامات أولها مقام المعرفة عند عوام الناس، وهو مقام معرفة العبد بأن له صانعاً ليس بمصنوع، وليس كمثلته شيء.

وهو مقام العبادة عند سائر الموجودات؛ لأن الواقف في هذا المقام يوحد الله عليه السلام بصفة المعبودية، قال الله عليه السلام: ﴿تَسْجُدُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مَثِيءٌ إِلَّا يَسْجُدُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(٣). وهو أدنى مقامات المعرفة، كما روي عن الفتح بن

يزيد، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: سألته عن أدنى المعرفة.

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٣ ب ١ / ثواب الموحيدين والعارفين ... ص ١٤ ح ٣٥.

(٢) نهج البلاغة - الشريف الرضي: ج ١ ص ٦٨.

(٣) سورة الإسراء - الآية: (٤٤).

فقال: «الإقرار بأنه لا إله غيره، ولا شبه له ولا نظير، وأنه قديم مثبت موجود غير فقيد، وأنه ليس كمثلـه شيء»^(١).

وهو مقام (العوام من أهل الصورة، أي الترب الموصدة، ومن الذين أراد الله بهم خيراً، ولا يجوز إلقاء الشكوك والشبهات على هؤلاء)^(٢)؛ لأنهم يوحـدونـه وينزهونه ويقـدسونه عن النقائص والعيوب بحسب استعداد قابليتهم، وبما ظهر لهم من (ظاهر الكتاب والسنة، ودل عليه الدليل القطعي العقلي الظاهري القشـري)^(٣) لديهم.

فهم يعبدونه في مقام الذات والصفات والأفعال والعبادة بالظاهر، من دون الالتفات إلى غاية الأمر؛ أي: إلى غاية التكليف الوجودي، وهو المعرفة العقدية؛ أي: معرفة كنه التوحيد، كما قال الإمام الحسين عليه السلام: «أيها الناس! إن الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه»^(٤).

٢- مقام التصديق (وكمال معرفته التصديق به)

إن قوله عليه السلام: (وكمال معرفته التصديق به)؛ إن أخذت هذه كمقدمة قياساً إلى المقدمات التي تليها- وكمال التصديق به توحيدـه، وكمال توحيدـه الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه-، فإن المتشكل لدينا

(١) الكافي- الشيخ الكليني: ج ١ ك/ التوحيد ب/ أدنى المعرفة ص ٨٦ ح ١.

(٢) تفسير آية الكرسي- السيد كاظم الرشتي: ج ٢ ص ١٧.

(٣) تفسير آية الكرسي- السيد كاظم الرشتي: ج ٢ ص ١٦.

(٤) بحار الأنوار- العلامة المجلسي: ج ٥ ب ١٥ / علة خلق العباد وتكليفهم... ص ٣١٢ ح ١.

يكون قياساً مركباً من النوع المفصول^(١)؛ ونتيجته هي: كمال معرفته نفي الصفات عنه. وإن أخذت بغض النظر عن القياسات التي تليها، تكون مقاماً ومنزلةً من منازل العرفان.

فقضية (وكمال معرفته التصديق به) تعتبر مقدمة لمقامات العارفين بالله ﷻ بلحاظها من مقدمات القياس المركب، وهي مقام بلحاظها بنفسها، فتأمل الفرق بين إطلاق المقدمة والمقام فيما يأتي.

وهذا المقام هو مقام توحيد العبادة من عوام أهل الحقيقة، وهم أهل القشور من اللب. وهو أعلى من المقام الأول - مقام معرفة عوام الناس -؛ لأنه مقام التصديق المقالي والإذعاني بوجود الصانع؛ لأن من عرف الله ﷻ قلباً ولم يصدق به ولم يطمئن فهو ناقص المعرفة.

وواجبه أن لا تشرك معه أحداً عند توجهاتك في الأعمال الصالحة، وفي إقبالاتك العبادية، فكل ما يشغلك عن التوجه إليه في جزء ما من عبادتك فهو صنمك، خلقته نفسك بانشغال توجهها إلى من سواه، كما قال الله ﷻ: ﴿لِيَأْتِ تَعْبُدُونِ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْ ثَانًا وَّخُلُقُونَ إِفْكًا﴾^(٢)، وكما قال النبي ﷺ: «كلُّ ما شغلك عن الله فهو صنمك»^(٣).

(١) القياس المركب: هو ما تألف من قياسين فأكثر لتحصيل مطلوب واحد. والقياس المركب المفصول: هو الذي فصلت عنه النتائج وطويت فلم تذكر. الشيخ محمد رضا المظفر - المنطق: ص ٢٠٧، ٢٠٨. فتكون المقدمة الصغرى - هي المقدمة التي تشتمل على الجزئي الذي يطلب معرفة حكمه - لهذا المركب: (وكمال معرفته). إما المقدمة الكبرى - هي التي تؤلف القاعدة الكلية التي يعمد إلي تطبيقها على الجزئي لمعرفة حكمه - : (نفي الصفات عنه).

(٢) سورة العنكبوت - الآية: (١٧).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن - الأصفهاني: مفردة (صنم) ص ٤٩٣.

ومفتاح هذا المقام هو التصديق التام، والتذلل والانقياد، وإظهار الفقر والاحتياج^(١).

٣- مقام التوحيد (وكمال التصديق به توحيده)

من هذا المقام يتدبّر سفر العارف الحقيقي في مقامات العرفان، وهو مقام الصورة؛ أي: الصورة المجردة من المادة العنصرية؛ لأن (أهل هذه المرتبة يوحّدون الحق ﷻ بملاحظتهم الآفاق والأنفس، وتلاوتهم كتاب الله التكويني، فتحصل لهم المعرفة على بصيرة من أمرهم)^(٢). وسره: إعراض القلب عن الخلق، ومفتاحه: الصمت، والنظر والتفكير في الآثار.

فأهل هذا المقام يستدلون على الله بخلقه؛ أي: يستدلون على الحق بالخلق؛ لأن الله ﷻ لما خلق الخلق وأمرهم بالمعرفة، كما قال الإمام الحسين عليه السلام: «أيها الناس! إن الله جلّ ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه»^(٣)، جعل صفة توحيده في ذواتهم؛ أي: جعل أثر فعله في أنفسهم ليعرفوا ربهم بما وصفه لهم به نفسه، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فألقي في هويتها مثاله فإظهر عنها أفعاله»^(٤). وهي - أي صفة توحيده - من شعاع أنوارهم عليهم السلام، كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «رحم الله شيعةنا خلقوا من فاضل طينتنا، وعجنوا بماء ولايتنا»^(٥).

(١) مفاتيح الأنوار - الشيخ محمد بن أبي خمسين: ج ١ ص ١٤٢-١٤٣.

(٢) تفسير آية الكرسي - السيد كاظم الرشتي: ج ٢ ص ١٧-١٨.

(٣) علل الشرائع - الشيخ الصدوق: ج ١ ب ٩ / علة خلق الخلق واختلاف أحوالهم ص ٩ ح ١.

(٤) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٤٠ ب ٩٣ / علمه وأن النبي علمه ألف باب وأنه محدثاً.. ص ١٦٥ ح ٥٤.

(٥) شجرة طوبى - الشيخ محمد مهدي الخاتري: ج ١ المجلس ١ / في علائم الشيعة وصفاتهم وفضائلهم ص ٣ ح.

فهذه الصفة الإلهية المستودعة فيك جعلها آية لتعرفه بها، وهي صفة الربوبية؛ أي: كنه ذاتك، التي ذكرها الإمام الصادق عليه السلام، في قوله: «العبودية جوهرة كنهها الربوبية، فما فقد في العبودية وجد في الربوبية، وما خفي في الربوبية أصيب في العبودية»^(١). وهي الآية التي يستدل بها عليه، كما في قوله عليه السلام: «سَوَّرَ لَهُمْ آيَاتِي لِأَنَّ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْمُخْلَقُ أَوْ لَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»^(٢).

وهو مقام توحيد الذات؛ لأن تلك الصفة الإلهية المستودعة فيك، هي آية من آيات توحيد الذات^(٣).

٤- مقام الإخلاص (وكمال توحيده الإخلاص له)

وهو مقام التوحيد الشهودي، ومقام التجرد، ومقام العقول والجبروت، والمقام الذي ذكره الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفه: «أَيُّكُونُ لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك، عميت عين لا تراك عليها رقيب»^(٤). وأصحاب هذا المقام (يستدلون على الخلق بالحق)^(٥)، ويرون كل شيء مضمحلاً، ومعدوماً سواه، كما

(١) مصباح الشريعة - المنسوب للإمام الصادق عليه السلام: ص ٧.

(٢) سورة فصلت - الآية: (٥٣).

(٣) مفاتيح الأنوار - الشيخ محمد بن أبي خمسين: ج ١ ص ١٢٥.

(٤) مفاتيح الجنان - الشيخ عباس القمي: ص ٢٧٢.

(٥) تفسير آية الكرسي - السيد كاظم الرشتي: ج ٢ ص ٢٢.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «وأن كل معبود من دون عرشك إلى قرار الأرضين السابعة السفلى باطل؛ ما خلا وجهك الكريم»^(١).

٥- مقام نفي الصفات عنه (وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه)

وهو (مقام السفر بالحق في الحق، ومقام الجمع وجمع الجمع، ومقام المحبة والمعلوم والجلال، والسرّ، والنور المشرق من صبح الأزل)^(٢)، وهو مقام التوحيد الحقيقي؛ لأن التوحيد الحقيقي هو توحيد أهل هذا المقام - بلحاظ أن المقامات السابقة مقدمات له في القياس المركب وهو النتيجة: (وكمال معرفته نفي الصفات عنه) .. ومحل معرفة هذا المقام هو النفس أو الفؤاد؛ لأنه أثر فعل الله ﷻ، وآية توحيدِهِ، وعين معرفته، كما قال الرسول ﷺ: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»^(٣).

فهذه المعرفة مستودعها ومحلها الفؤاد، كما بينها الإمام الصادق عليه السلام في قوله: «وإذا تجلّى ضياء المعرفة في الفؤاد هاج ریح المحبة، وإذا هاج ریح المحبة استأنس في ظلال المحبوب»^(٤).

وسره: تجريد النفس عن التعدد، والكيف والكم، والإشارة بحال من الأحوال؛ لأنه ليس (مقام الكلام، ولا مقام الإشارة، ولا العبارة)^(٥).

(١) الكافي - الشيخ الكليني: ج ٣ ك/ الصلاة ب/ صلاة الخوانج ص ٤٧٣ ح ٣.

(٢) تفسير آية الكرسي - السيد كاظم الرشتي: ج ٢ ص ١٧-١٨.

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٦٧ ب ٤٤ / القلب صلاحه وفساده ... ص ٣٥ ح ١.

(٤) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٦٧ ب ٤٣ / حب الله تبارك وتعالى ورضاه ص ٢٣ ح ٢٢.

(٥) تفسير آية الكرسي - السيد كاظم الرشتي: ج ٢ ص ٢٢.

المطلب السابع

حول دليل الحكمة عند الشيخ الأوحّد قدس سرّه

بعد أن تنوعت المناهج الفكرية في الإسلام، وتشعب تفسير الرؤية الكونية إلى شعبٍ عديدة؛ منها الصحيح ومنها السقيم، تعاملت أغلب الحوزات العلمية منذ فترة طويلة - وما زالت - مع النظريات والأطروحات والأفكار التي فيها خروج عن ظاهر الدين؛ كالنظريات الفلسفية والعرفانية، وغيرها، بشيء من الصرامة والحزم.

فقامت بحذف المناهج التاريخية والفلسفية والعرفانية من نشاطها العلمي، التي اعتُقد بأن جهد البحث فيها وتحصيلها لا يخدم غرض طالب العلم، ولا يوصله إلا إلى طريق مليء بالوعورة الاعتقادية؛ فاقصر جلّ جهدها على منهجي الفقه والأصول، اللذين تطورا ووصلا مع مرور الزمن إلى الصورة المعروفة حالياً.

ومن المعلوم بأن ترك التحصيل والتنظير في تلك المناهج - وإن كان فيها الغث والسمين -، والاقتصار على القشور منها، الذي انطوى غالبه على

النقد والجرح ؛ مخافة خلق مزيدٍ من الصراعات ، أو مخافة انتشار العديد من الشكوك والشبهات في الأمة عموماً ، وعند الطالب المحصل لها خصوصاً ، لم يخدم غرضها المنشود ؛ بل أدى إلى حدوث مزيد من الاشتباه والخلط والافتراء ، حتى وصل الحد إلى التكفير من قبل البعض للبعض في ساحة المعتقد الإلهية ؛ لأنه لنكن منصفين بأن المنهج الإسلامي لم يـقم على مباحث الفقه والأصول فقط - وإن كانت مهمة - ؛ بل قام على ركن أهم بكثير منها ، وهو ركن الاعتقاد الدائر حول محاور الوجود الأساسية ، أو ركن تفسير الرؤية الكونية.

وقد جعل هذا الفعل - وغيره - عملية البحث في تلك المناهج مجرد تطفل ؛ لفقدان الباحث فيها المرتكز الأساسي لها ، وهو العلم بما حوته وتضمنته ، ولو بشكل مجمل لا مفصل.

وأدى هذا التطفل في هذا المجال إلى خلق غيمة سوداء أخرى ، اشتملت على التحريف التاريخي والفكري - فزاد الطين بلة - ، ظهرت من خلال المحاورات والكتابات حول تلك المناهج المدثورة ، التي لا يشم منها رائحة التحقيق ، ولا نور التدقيق ؛ بل إن أغلبها قام على عملية النقد التي ترسخت جذورها من أثر العزوف الذي شيد بنيانه في داخل تلك الحوزات العلمية ، أكثر من عملية الطرح بصورة علمية محققة.

فأصبحت أغلب الأفكار المطروحة مردودة من الأساس عند الإنسان المنصف ؛ لأن فاقد الشيء لا يمكن أن يعطي تصوراً صحيحاً عنه ، خصوصاً

حينما تؤثر النزعة السلبية المتروكة في الساحة العلمية فيه، ويلعب التوجه الفكري والرأي الشخصي مكانة عالية في بحثه، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، لا يمكننا أن نغفل من أن عملية البحث في تلك المناهج الفكرية، هو أمر فوق طاقة العالم بها، فما بالك بمن يجهلها؛ لأنها قد اشتملت على دقائق وحقائق هي بحاجة إلى بحاث أو حدي ذي هممة ودراية وبعد تنظر في تنقيحها؛ لاشتمالها على مباحث شائكة عميقة، وكتابات مرمزة دقيقة، أخفى أصحابها مقاصدهم ومعانيهم في باطنها؛ كمبحث العرفان الذي لا يخلو كتاب منه من ذلك.

ويزيد البحث صعوبة أيضاً؛ حينما تكون الجهة المبحوث فيها قد اشتملت على شخصية مظلومة في ساحة التاريخ؛ كشخصية الشيخ الأوحـد ﷺ.

فهناك أمور عجيبة تدور حول هذه الشخصية في سطور التاريخ، ومنها النظرة التاريخية المهمشة حوله، والإنكار الدائر في ساحة أطروحات فكره، فنحن لا نجد من الكتابات التي صورت منهجه بالصورة المرادة منه؛ إلا من خلال أتباعه وتلامذته - رحم الله الماضين وحفظ الباقين منهم -، وما قلّ وندر من غيرهم؛ ولكن أغلب الكتابات من الأطراف الأخرى - غير تلامذته -، اشتملت على خلط وتدليس وتزييف في أغلب جوانبها.

وأمر آخر نعجب منه حينما ننظر التاريخ حول هذه الشخصية؛ فإنه على الرغم من معاداة وبغض المبغضين له، وتكفيره من قبل البعض، فنحن

حينما نبحث في التاريخ بدقه متناهية ، لا نكاد نجد هؤلاء قد طالوه بالقدح في مكانته العلمية أو الأخلاقية ؛ بل أثنوا عليه ومدحوه ، هذا بغض النظر عن تناولهم على أفكاره التي لم يفهموها بسبب قصور إدراكهم فيها ، فالكلام ليس واقعاً فيها هنا ؛ بل هو واقع من حيثية مكانة هذه الشخصية من زاوية مبحث الرجالين وقواعده .

على أي حال ، لا أحد يمكنه أن ينكر بأن التاريخ له ساق مكسورة ، تلاعب في كسرهما المزيفون والمدلسون ، وساق صحيحة قائمة من شأن قرائنها أن تشهد عليها ، وهي التي يمكن أن نركن إليها في مطامح الوصول إلى حقيقة أي مبحث تاريخي لمن سبقنا .

ومن تلك القرائن ، ما خلفه لنا هؤلاء الفطاحلة من مصنفات وكتابات ورسائل وغيرها ، التي يمكننا من خلال التنظير الدقيق فيها ، الوصول إلى الحكم الفيصل في مكانة صاحبها التاريخية ، وفي محتوى إرثه العلمي الذي خلفه وراءه ، هذا مع غض النظر عما كُتب حوله من كتابات مطبلة على وتر دون وتر .

ونحن في هذا المبحث قد قمنا باستعراض العديد والعديد من كلمات الشيخ الأوحـد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أوردناها بنص ما قاله ، وبيننا منها مراده على قدر سعة اطلاعنا وكسبنا من منهجه ، من دون أخذ موضع العاطفة أو الانتماء الفكري كمنهج لنا أثناء البحث . والله يعلم بأننا لم ندخر جهداً ، ولم نركن إلى قصور في عملية البحث ؛ بل قمنا بتكريس الوقت ، وتعطيل الشئون ،

والانعزال عن الأصحاب والأهل مدة من الزمن، والبحث فيما توفر لدينا من مصادر ومراجع؛ جاء كله من أجل الوصول إلى الحقيقة التي نصبو إليها في مبحثنا.

ولم نجد في القضية التي باحثناها، وهي قضية دليل الحكمة أو العرفان عنده؛ إلا الموافقة الصحيحة لما ورد في الكتاب والسنة، وما حكم به العقل المستتير بنورهما، والإبداع الحكمي في بناء نصه.

فكلماته بمجرد أن تبدأ فيها تأخذك نحو عالمٍ آخر مليء بما ورد عنهم ﷺ من معارف وأسرار إلهية، لا تترك قلبك من حين شد الرحال إليها إلا بثلمه بثلمة الإيمان، وبوسمه بنور الكمال.

ويؤيد صحة ما توصلنا له شهود القرائن التي ذكرناها أثناء البحث،

والتي منها - على سبيل المثال لا الحصر -:

١- شهادة العلماء له

حيث إن المعرفة العلمية بدليل الحكمة عند الشيخ الأوحـد ﷺ يمكن كشفه عن طريق المعرفة الظاهرية؛ أي: عن طريق شهادة من يعرفه مباشرةً ممن هم بمستوى الشهادة من العدالة والوثاقة. ونحن حينما ننظر إلى الإجازات والكلمات التي حاز عليها الشيخ الأوحـد ﷺ، يظهر لنا منها صريح الإشارة، ووضوح العبارة في صلوح طريق دليل الحكمة (العرفان) لديه، وأنه كان من عرفاء الإمامية وفضلائهم، كما قال^(١):

(١) قد ذكرنا سابقاً هذه الإجازات. وهنا نقبس حاجتنا منها لإثبات صحة الكشف عند الشيخ الأحسائي ﷺ. بإثبات عدالته ووثاقه علمه اعتماداً على تقييمات الرجاليين القدامى له.

السيد محمد مهدي الطباطبائي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، في إجازته له :

(... زبـدة العلماء العاملين ونخبـة العرفاء الكاملين ، الأخ الأسعد

الأمجـد ، الشيخ أحمد بن الشيخ زين الدين الأحسائي...) ^(١).

والشيخ حسين آل عصفور البحراني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، في إجازته له :

(... لعراقته في العلوم الإلهية على الحقيقة لا المجاز ، ولسلوكة طريق

أهل السلوك وأوضح المجاز...) ^(٢).

والسيد علي الطباطبائي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، في إجازته له :

(... إنَّ من أغلاط الزمان وحسنات الدهر الخوان اجتماعي بالأخ

الروحاني والحل الصمداني...) ^(٣).

والشيخ الميرزا محمد باقر الخوانساري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - في حق الشيخ الأوحـد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

(... ترجمان الحكماء المتألهين ، ولسان العرفاء المتكلمين... وجوده

السليقة وحسن الطريقة وصفاء الحقيقة...) ^(٤).

والشيخ عباس القمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - في حق الشيخ الأوحـد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

(الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي البحراني الحكيم المتأله ،

الفاضل العارف العالم العابد) ^(٥).

(١) إجازات الشيخ أحمد الأحسائي - حسين علي محفوظ : ص ٢٩.

(٢) إجازات الشيخ أحمد الأحسائي - حسين علي محفوظ : ص ٤٣.

(٣) إجازات الشيخ أحمد الأحسائي - حسين علي محفوظ : ص ٢٣.

(٤) روضات الجنات - الخوانساري : ج ١ ص ٩٧.

(٥) أعلام هجر - السيد هاشم الشخص : ج ١ ص ١٨٣ . نقلاً عن الفوائد الرضوية.

والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء قَدَسَتْهُ :

(... والحق أنه من أكابر علماء الأمامية وعرفائهم، وكان على غاية

من الورع والزهد والاجتهاد في العبادة كما سمعناه ممن نثق به (...)^(١).

والعلامة الشيخ عبد الله بن معتوق القطيفي قَدَسَتْهُ :

(... موضح الحقيقة والطريقة، ومحبي الشريعة على الحقيقة، الحكيم

الرباني والعارف السبحاني... العارف بالله والمقتضي في مطالبه لأولياء الله،

والمتخلق بأخلاق الروحانيين، والمتمسك بجبل الله المتين (...)^(٢).

والشيخ الميرزا علي التبريزي قَدَسَتْهُ :

(... العالم الرباني والفاضل الكبريائي الصمداني... جامعاً بين

الشريعة والحقيقة، مرتاضاً زاهداً، معرضاً عن الدنيا وأهلها، ساعياً

في إظهار ما أَرَادَهُ اللهُ مِنْ التَّدْبِيرِ فِي آيَاتِ النَّفْسِ وَالْآفَاقِ (...)^(٣).

ومما تسالم عليه العلماء - في أصول علم الرجال - أن اشتهاً عدالة

الرجالي في الأوساط العلمية، والثناء عليه من قبل العلماء؛ كافٍ في ثبوت

عدالته، والوثوق به وبعلمه، قال الشيخ المامقاني: (الاستفاضة والشهرة:

فمن اشتهرت عدالته بين أهل العلم من أهل الحديث وغيرهم، وشاع الثناء

عليه بها، كفى في عدالته، ولا يحتاج مع ذلك إلى معدّل ينص عليها)^(٤).

(١) الآيات البينات - محمد حسين كاشف الغطاء: ص ١١١.

(٢) أعلام هجر - السيد هاشم الشخص: ج ١ ص ١٨٤. عن الأزهاري الأرجية.

(٣) مرآة الكتب - التبريزي: ج ١ ص ٢٦٠-٢٦١.

(٤) مقياس الهداية - المامقاني: ج ٢ ص ٦٣.

ونحن لم نرَ قدحاً من هؤلاء العلماء العظماء، لا في الشيخ الأوحـد رَضِيَ، ولا في دليل الحكمة الذي استخدمه في تحصيل معارفه؛ بل كل ما يظهر لنا من عباراتهم هو المدح والثناء عليه وعلى منهجه، وكما يقال أهل الدار أدري بمن فيها، فهم أدري منا في ذلك.

٢- نقده للمنهج الصوفي ومبانيهم

خلال مطاوي البحث، نحن لم نرَ للشيخ الأحسائي رَضِيَ تعظيماً لعلماء الصوفية، كما فعل بعض العلماء كاملاً صدرا الشيرازي. وكذلك لم نرَ أي استخدام لقواعدهم ومبانيهم، أو حتى لمصطلحاتهم في منهجه؛ ولو كان تابعاً لهم لشمنا رائحة ذلك في كتاباته. بل أن كل ما رأيناه أنه قد شن الحرب على مبانيهم وطرقهم في موارد عديدة من كتبه ورسائله، وهذا ليس محل ذكر ردوده وتحليلها؛ ولكننا نورد كلمات له في ما نحن فيه:

قوله - في جوابه للسيد محمد البكاء -: (وأما ما ذكره أهل التصوف وأصحاب التقشف من الرياضات والأذكار، التي لم ترد عن الأئمة الأطهار، فذلك زخرف القول يفعلونه غروراً)^(١).

وقوله - للملا علي أكبر بن محمد سميع -: (وأما ما أشرت إليه مما هو مشتهر الآن بين الناس من الطرق إلى معرفة الله، هو الرياضات والأذكار المستحدثة، وذلك سنة أهل (التصوف) أتاهم الشيطان عن أيانهم، وأمرهم

(١) رسائل الحكمة - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي: ص ١٥٣.

بالأذكار، وضرب الطار، وترجيع الغناء، وندمات المزمار، وقال لهم: إن النفس خلقت من حال الأفلاك؛ فإذا روحت بالألحان الموسيقية غابت عن ذلك العالم، وتذكرت عالمها الأعلى، ومركزها الأصل فتطلبه^(١).
ولو كان ممن يرتضي منهجهم لما تطرق لشن الهجوم عليهم في كل شيء، وإنكار ما اشتهروا به، وصرحوه من أفكار ضالة مظلة.

أخيراً نقول:

بعد طي جملة هذه المطالب، قد اتضح لك - عزيزي القارئ -: بأن الشيخ الأوحَد ﷺ، هو حكيم الحكماء، وسيد العارفين بالله، وأن منهجه قد قام على طريقة محمد وآله ﷺ، وأن ما أثير حوله من ضجيج - سواء كان في قضية دليل الحكمة (العرفان) أو في غيرها -؛ فغير صحيح ولا دليل عليه. ومن يقول بعكس ذلك؛ فليأت بالدليل عن طريق البحث العلمي الذي يستند عليه المقام في النقض والإبرام، أما شطحات وخرافات العجائز التي تناقلها وكتبها البعض، الخالية من روح البحث والتحقيق والتدقيق؛ فهي لا تكفي عند الإنسان المؤمن المنصف الناظر بنور ربه.

إلى هنا انتهى مبحثنا..

الحمد لله على التوفيق والسداد، وأسأله جعل ما تم ذكراً ليوم المعاد،
يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم...

(١) رسائل في كيفية السلوك إلى الله تعالى " ضمن جوامع الكلم" - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي: ج ٩

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- أبحاث في التصوف - د. عبد الحليم محمود: دار الكتاب

البنباني، الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

٣- أبواب الهدى - الميرزا مهدي الأصفهاني - تحقيق / حسين مفيد:

مركز فرنكي، الطبعة الأولى ١٣٨٧م.

٤- ابن عربي سني متعصب - السيد جعفر مرتضى العاملي:

بيروت - المركز الإسلامي للدراسات، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٥- إجازات الشيخ أحمد الأحسائي - الدكتور حسين محفوظ: بغداد

١٣٧٦هـ.

٦- إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي: بيروت - دار الكتاب

العربي.

٧- إحقاق الحق - الميرزا موسى الأسكوئي: الكويت - مكتبة الإمام

الصادق عليه السلام العامة، الطبعة الرابعة ١٤٢١هـ.

٨- أسس الفلسفة - د. توفيق الطويل: القاهرة - مكتبة النهضة

العربية، الطبعة السابعة ١٩٧٩م.

٩- أصول الفلسفة - السيد محمد الطباطبائي : المؤسسة العراقية للنشر والتوزيع .

١٠- أصول الفلسفة الإشرافية عند شهاب الدين السهروردي - د. محمد علي أبو ريان : القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولى ١٩٥٩م .

١١- أعلام هجر من الماضيين والمعاصرين - السيد هاشم الشخص : قم - مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر ، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ .

١٢- أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين العاملي : بيروت - دار التعارف .

١٣- إقبال الأعمال - رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس : بيروت - مؤسسة الأعلمي ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .

١٤- أمالي الشيخ الصدوق - الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الشهير بـ(الصدوق) : بيروت - مؤسسة الأعلمي ، الطبعة الخامسة ١٤٠٠هـ .

١٥- أمالي الشيخ الطوسي - الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي : بيروت - مؤسسة الوفاء ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ .

- ١٦- أمالي الشيخ المفيد - الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان العكبري البغدادي الشهير بـ(المفيد): بيروت - دار التيار الجديد.
- ١٧- أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين - الشيخ علي بن حسن البلادي - تصحيح / محمد علي الطبسي : بيروت - دار المرتضى ، ١٩٩١م.
- ١٨- إيضاح المكنون - إسماعيل باشا بن محمد البغدادي : بيروت - دار إحياء التراث العربي.
- ١٩- إيقاظ الهمم في شرح الحكم - ابن عجيبة.
- ٢٠- إيران والإسلام عطاء وإسهام - مرتضى مطهري : بيروت - دار الحق ، ١٩٩٣م.
- ٢١- إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين - الشيخ مقداد السيوري الحلبي - تحقيق / السيد مهدي الرجائي : قم - منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي ، ١٤٠٥هـ.
- ٢٢- اصطلاحات ابن عربي - محمد بن علي بن عربي - تحقيق / بسام الجابي : بيروت - دار الإمام ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ٢٣- اصطلاحات الصوفية - عبد الرزاق القاشاني - تحقيق / عبد العال شاهين : القاهرة - دار المنار ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٢٤- آخر الفلاسفة - الدكتور حسن محمد الشيخ : بيروت - مؤسسة الفكر الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٢٥- الاختصاص - للشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد النعمان العكبري البغدادي الشهير بـ(المفيد): بيروت - مؤسسة الأعلمي ١٤٠٢هـ.

٢٦- الأنوار النعمانية - السيد نعمة الله الجزائري - تحقيق / السيد محمد علي القاضي : بيروت - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ.

٢٧- الاحتجاج - أبو منصور أحمد علي بن أبي طالب الطبرسي : قم المقدسة - انتشارات أسوة ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٢٨- الانتصار - الشريف المرتضى : قم - مؤسسة النشر الإسلامي ، ١٤١٥هـ.

٢٩- الأحذية - محمد بن علي بن عربي - ضمن رسائل ابن عربي : حيدرآباد - دائرة المعارف العثمانية ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٣٠- الإثنا عشرية في الرد على الصوفية - الحر العاملي : قم المقدسة - دار الكتب العلمية.

٣١- الأعلام - خير الدين الزركلي : بيروت - دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة ١٩٨٠م.

- ٣٢- الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف - أنا ماري شيميل
- ترجمة / محمد إسماعيل السيد: بغداد - منشورات الجمل ، الطبعة
الأولى ٢٠٠٦م.
- ٣٣- الإرشاد - للشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد النعمان العكبري
البغدادي الشهير بـ(المفيد): قم المقدسة - المؤتمر العالمي لألفية الشيخ
المفيد ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- ٣٤- الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة- أنور الجندي : لبنان -
الشركة العالمية للكتاب ، ١٩٨٧م.
- ٣٥- الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل - الشيخ
عبدالكريم الجيلي - تصحيح / فاتن محمد: بيروت - مؤسسة التاريخ
العربي : الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- ٣٦- الإيديولوجية المقارنة - الأستاذ محمد تقي مصباح اليزدي -
ترجمة / عبدالمنعم الخاقاني : بيروت - دار المحجة البيضاء ، الطبعة الأولى
١٤١٣هـ.
- ٣٧- الأمدي - عبدالواحد التميمي : بيروت - دار القارئ ،
١٤٠٧هـ.
- ٣٨- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار - الشيخ محمد
باقر المجلسي : بيروت - دار إحياء التراث ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.

- ٣٩- بداية الحكمة - السيد محمد حسين الطباطبائي: بيروت -
مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة السابعة والعشرون ١٤٣١هـ.
- ٤٠- بصائر الدرجات - أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ
الصفار: بيروت - مؤسسة النعمان، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.
- ٤١- بين التصوف والتشيع - السيد هاشم معروف الحسني: بيروت
- دار التعارف للمطبوعات، ١٤٢٧هـ.
- ٤٢- تاج العروس - محمد مرتضى الزبيدي: بيروت - مكتبة الحياة.
- ٤٣- تاريخ بغداد - أحمد بن علي البغدادي: بيروت - دار الكتب
العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- ٤٤- تاريخ الإسلام - حسن إبراهيم حسن: بيروت - دار إحياء
التراث العربي، ١٩٦٤م.
- ٤٥- تاريخ الإسلام - شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي - تحقيق/
عمر عبدالسلام تدمري: بيروت - دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية
١٤٠٩هـ.
- ٤٦- تاريخ التصوف في الإسلام - قاسم غني - ترجمة / صادق
نشأة: القاهرة - مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠م.
- ٤٧- تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني -
عبدالرحمن بدوي: وكالة المطبوعات، الطبعة الثانية ١٩٨٧م.

- ٤٨- تاريخ الفلسفة في الإسلام - دي بور - تعريب / محمد أبو ريده :
القاهرة - مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الخامسة .
- ٤٩- تاريخ الطبري - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري : بيروت -
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .
- ٥٠- تاريخ الفلسفة والتصوف - الشيخ علي النمازي الشاهرودي :
بيروت - دار المحجة البيضاء ، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ .
- ٥١- تاريخ الفلسفة اليونانية - يوسف كرم : مصر - مؤسسة هنداوي
للتعليم والثقافة ٢٠١٢م .
- ٥٢- تاريخ الفلسفة الإسلامية - هنري كوربان - مراجعة وتقديم :
السيد موسى الصدر : بيروت - عويدات للنشر والطباعة ، الطبعة الثانية
١٩٩٨م .
- ٥٣- تاريخ فلاسفة الإسلام - محمد لطفي جمعة : مؤسسة هنداوي
للتعليم والثقافة ٢٠١٤م .
- ٥٤- تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري -
عماد الدين إسماعيل بن عمر ابن عساكر : بيروت - دار الكتاب
العربي ، ١٤٠٤هـ .
- ٥٥- تحفة السالكين ودلالة السائرين - محمد المنير السمنودي -
تصحيح / محمد محمود : القاهرة - المكتبة المحمودية .

- ٥٦- تحف العقول عن آل الرسول - أبو محمد بن علي بن الحسين بن
شعبة الحراني: بيروت - مؤسسة الأعلمي، الطبعة الخامسة ١٣٩٤هـ.
- ٥٧- تذكرة الأولياء - فريد الدين النيساوري - تحقيق / منال
عبدالعزيز: الهيئة المصرية العامة ٢٠٠٦م.
- ٥٨- تراجم الرجال - السيد أحمد الحسيني: قم - مكتبة آية الله
المرعشي النجفي، ١٤١٤هـ.
- ٥٩- تصحيح اعتقادات الإمامية - محمد بن محمد بن النعمان ابن
المعلم أبي عبد الله العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد - تحقيق /
حسين دركاهي.
- ٦٠- تفسير آية الكرسي - السيد كاظم الرشتي - تحقيق وتعليق /
الشيخ عبدالمنعم العمران: بيروت - دار المحجة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.
- ٦١- تفسير مجمع البيان - أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن
الطبرسي: بيروت - مؤسسة الأعلمي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- ٦٢- تلبس إبليس - أبو الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي: مصر -
إدارة الطباعة المنيرية، الطبعة الثانية ١٣٦٨هـ.
- ٦٣- توحيد الشيخ الصدوق - الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن
الحسين بن بابويه القمي الشهير بـ(الصدوق): قم المقدسة - مؤسسة النشر
الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٣٨٧هـ.

- ٦٤- تهافت الفلاسفة - أبو حامد الغزالي: القاهرة ١٣٧٤هـ.
- ٦٥- تمهيد القواعد الصوفية - التركية الأصفهاني - تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي: بيروت - دار الكتب العلمية.
- ٦٦- التحقيق في مدرسة الشيخ الأوحّد - آية الله المعظم الميرزا عبدالرسول الحائري الإحقاقي.
- ٦٧- التدييرات الإلهية - ابن عربي - ضمن كتاب الطريق إلى الله من كلام ابن عربي؛ لأحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية - تحقيق / محمد بن عودة: الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- ٦٨- التصوف الإسلامي وتاريخه - نيكلسون - ترجمة / د. أبي الوفاء العيفي: القاهرة.
- ٦٩- التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة - د. إبراهيم هلال: القاهرة - دار النهضة العربية، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ.
- ٧٠- التعريف لمذاهب أهل التصوف - أبو بكر محمد الكلاباذي - تقديم وتحقيق / محمود أمين النوي: مصر - مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ.
- ٧١- جمهرة الأولياء وأعلام التصوف - محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني: القاهرة - مطبعة الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى ١٣٧٨هـ.

- ٧٢- جواهر المعاني من فيض أحمد التيجاني - علي حزام: القاهرة
- مكتبة الكليات لأزهرية، الطبعة الأولى.
- ٧٣- جوامع الكلم - الشيخ أحمد الأحسائي: البصرة - مطبعة
الغدِير ١٤٣٠هـ.
- ٧٤- جواهر الكلام - الشيخ محمد حسن النجفي: إيران - دار
الكتب الإسلامية، الطبعة الثانية ١٣٦٥هـ.
- ٧٥- الجوهر النفيس على صلوات ابن إدريس - محمد خليل
الحنفاوي: القاهرة - مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٨٧م.
- ٧٦- حقائق عن التصوف - عبدالقادر عيسى: حلب - مكتبة
العرفان، الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ.
- ٧٧- حكم شطح الولي - عبد الغني النابلسي، ضمن كتاب
شطحات الصوفية - عبدالرحمن بدوي: الكويت - وكالة المطبوعات،
الطبعة الثانية ١٩٧٦م.
- ٧٨- حل الطلاسم من صلاة القاسم - محمد بن معطي الكتاني:
القاهرة - المطبعة العامة الشرقية، الطبعة الأولى ١٣٢١هـ.
- ٧٩- حياة النفس - الشيخ أحمد الأحسائي.
- ٨٠ - الحدائق الناظرة في أحكام العترة الطاهرة - الشيخ يوسف
البحراني: قم المقدسة - مؤسسة النشر الإسلامي.

- ٨١ - الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية - الشيخ فاضل الصفار: بيروت - دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ.
- ٨٢ - الحقيقة في نظر الغزالي - سليمان دنيا: القاهرة - دار المعارف، الطبعة الخامسة.
- ٨٣ - الحكمة المتعالية في الإسفار الأربعة - الملا صدرا الشيرازي: بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة ١٩٨١هـ.
- ٨٤ - الحكمة المتعالية عند صدر المتألهين - د. علي الحاج حسن: دار الهادي، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.
- ٨٥ - خاتمة المستدرك - الشيخ حسين النوري الطبرسي: قم - مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- ٨٦ - خلاصة علم الكلام - الشيخ عبدالهادي الفضلي: الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
- ٨٧ - الخلوة المطلقة - ابن عربي - مراجعة/ عبدالرحمن حسن محمود: القاهرة - عالم الفكر.
- ٨٨ - دليل المتحيرين - السيد كاظم الرشتي: الكويت - منشورات مكتبة الإمام الصادق عليه السلام، الطبعة الثانية.
- ٨٩ - ديوان الحقائق - عبد الغني النابلسي: بيروت - دار الجليل، ١٢٧٠هـ.

- ٩٠- ديوان الحلاج - الحسين بن منصور: بيروت - دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.
- ٩١- الدين بين السائل والمجيب - الميرزا حسن الأحقـاقـي: الكويـت - منشورات مكتبة الإمام الصادق عليه السلام ١٩٩٢م.
- ٩٢- الذريعة في تصانيف الشيعة - آغا بزرك الطهراني: بيروت - دار الأضواء، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.
- ٩٣- رجال النجاشي - أحمد بن علي بن أحمد النجاشي: قم المقدسة - مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة السابعة ١٤٢٤هـ.
- ٩٤- رسائل الحكمة - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي: بيروت - الدار العالمية، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- ٩٥- رسائل ابن عربي - تحقيق / قاسم محمد عباس وحصين محمد عجـيل: أبوظبي - منشورات المجمع الثقافي، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- ٩٦- رسالة في الحدوث - الملا صدرا الشيرازي - تحقيق / د. سيد حسين الموسوي: الطبعة الأولى ١٣٧٨هـ.
- ٩٧- روضات الجنات - محمد باقر الخوانساري: إيران ١٣٠٦هـ.
- ٩٨- الرسالة الخراسانية - الشيخ محمد أبي خمسين: بيروت - دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

- ٩٩- الرسالة القشيرية - عبدالكريم القشيري - تحقيق / عبدالحليم محمود ومحمود بن شريف: القاهرة - دار الشعب، ١٤٠٩هـ.
- ١٠٠- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر - محمد خليل المرادي: بيروت - دار البشائر، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.
- ١٠١- سيرة الشيخ أحمد الأحسائي - د. حسين محفوظ: بغداد - دارا لمعارف ١٩٥٧م.
- ١٠٢- سيرة أعلام النبلاء - شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي: بيروت - مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ.
- ١٠٣- سيدى أحمد الدردير - عبدالحلم محمود: القاهرة - دار الكتب الحديثة.
- ١٠٤- السلفية بين أهل السنة والإمامية - السيد محمد الكثيري: بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- ١٠٥- شجرة طوبى - الشيخ محمد مهدي الحائري: النجف - منشورات المكتبة الحيدرية، الطبعة الخامسة ١٣٨٥هـ.
- ١٠٦- شذارت الذهب في أخبار من ذهب - الشيخ عبد الحي بن أحمد العكري: بيروت - درا الكتب العلمية.
- ١٠٧- شرح توحيد الصدوق - القاضي سعيد محمد القمي - تصحيح وتعليق / نجفقلی حبيبي: طهران. الطبعة الأولى ١٧١٥هـ.

- ١٠٨- شرح المشاعر - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي :
بيروت - مؤسسة البلاغ ، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.
- ١٠٩- شرح نهج البلاغة - عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد
بن أبي الحديد المعتزلي : بيروت - دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثانية
١٣٨٥هـ.
- ١١٠- شرح الزيارة الجامعة الكبيرة - الشيخ أحمد بن زين الدين
الأحسائي : كرمان - مطبعة السعادة ، الطبعة الأولى.
- ١١١- شرح العرشية - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي :
بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.
- ١١٢- شرح آية الكرسي - السيد كاظم الرشتي - تحقيق / الشيخ
عبد المنعم العمران : بيروت - دار المحجة البيضاء ، الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ.
- ١١٣- شرح الفوائد - الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي :
بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.
- ١١٤- شرح إحقاق الحق - السيد نور الله المرعشي : قم - مكتبة آية
الله العظمى المرعشي النجفي.
- ١١٥- شرح فصوص الحكم - عبد الرزاق القاشاني : مصر - مكتبة
مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ.

- ١١٦- شرح فصوص الحكم المسمى : مطلع فصوص الكلام -
داود بن محمود القيصري: أنوار الهدى ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ.
- ١١٧- الشواهد الربوبية - الملا صدرا الشيرازي : بيروت - مؤسسة
التاريخ العربي ، الطبعة الأولى ١٣٦٠ هـ ش.
- ١١٨- الشيخية - محمد حسن آل الطالقاني : بيروت ، ١٤٢٠ هـ.
- ١١٩- صحيفة الأبرار في مناقب الأطهار - الميرزا محمد تقى بن
الميرزا محمد المامقاني الشهير بـ (حجة الإسلام) : بيروت - دار الجليل
١٤١٤ هـ.
- ١٢٠- صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل : بيروت - دار الكتب
العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ.
- ١٢١- الصحيفة السجادية - الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام.
- ١٢٢- الصلة بين التصوف والتشيع - كامل مصطفى الشيبى :
بيروت - دار الأندلس ، الطبعة الثالثة ١٩٨٢ م.
- ١٢٣- طبقات ابن سعد : بيروت ، ١٩٥٧ م.
- ١٢٤- طبقات الصوفية - أبو عبد الرحمن محمد السلمي : القاهر -
مطبعة دار التأليف ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩ هـ.
- ١٢٥- الطبقات الكبرى ، المسماة : لوائح الأنوار في طبقات الأختار
- عبد الوهاب الشعراني : بيروت - دار الجليل ، ١٤٠٨ هـ.

١٢٦- الطريق إلى المهدي المنتظر - سعيد أيوب: بيروت - الغدير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

١٢٧- الطواسين - الحسين بن منصور الحلاج: القاهرة - مكتبة الكليات الأزهرية.

١٢٨- علل الشرائع - الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الشهير بـ(الصدوق): بيروت، مؤسسة الأعلمي، الطبعة الأولى.

١٢٩- علم المحجة - الميرزا محمد حسين المامقاني: بيروت - لجنة إحياء تراث مدرسة الشيخ الأوحـد، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

١٣٠- علم الكلام ومدارسه - د. فيصل بدير عون: القاهرة - دار الثقافة للتوزيع والنشر.

١٣١- عقيدتنا - الشيخ عبد الله نعمة: مؤسسة عز الدين، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

١٣٢- عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية - أحمد بن عبدالعزيز القصير: الرياض - مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

١٣٣- عوالي اللئالي - الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم بن أبي جمهور الأحسائي: قم المقدسة - دار سيد الشهداء عليه السلام، الطبعة الأولى

- ١٣٤- عوارف المعارف - عبد القاهر السهروردي: بيروت - دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
- ١٣٥- عيون أخبار الرضا عليه السلام - الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي الشهير بـ(الصدوق): بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- ١٣٦- عيون الأنباء في طبقات الأطباء - الشيخ أحمد السعدي - تحقيق / د. نزار رضا: بيروت - دار مكتبة الحياة.
- ١٣٧- العرفان والسلوك - الملا محمد محسن الفيض الكاشاني: بيروت - دار الصفوة، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.
- ١٣٨- العرفان الإسلامي - السيد محمد تقي المدرسي: بيروت - دار البيان العربي، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ.
- ١٣٩- العرفان الشيعي - السيد كمال الحيدري.
- ١٤٠- غرر الحكم ودرر الكلم - الشيخ عبدالواحد الأمدي - تصحيح / حسين الأعلمي: بيروت - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
- ١٤١- الغدير - عبد الحسين أحمد الأميني النجفي: بيروت - دار الكتاب العربي، الطبعة الرابعة ١٣٧٩هـ.
- ١٤٢- فصوص الحكم - محيي الدين ابن عربي الطائي الأندلسي: بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

- ١٤٣- فقه الرضا عليه السلام - الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام : مشهد المقدسة - المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- ١٤٤- فلاسفة الشيعة - الشيخ عبد الله نعمة : بيروت - دار الفكر، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.
- ١٤٥- فلسفتنا - السيد محمد باقر الصدر : دار الكتاب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ١٤٢٥هـ.
- ١٤٦- فلسفة الحكمة المتعالية - مجموعة من الباحثين : إيران - دار المعارف الحكومية ، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.
- ١٤٧- فهرست تصانيف الشيخ الأوحـد- رياض طاهر : مكتبة الحائري.
- ١٤٨- فهرست تصانيف الشيخ أحمد الأحسائي - أبو القاسم الإبراهيمي : كرمان ١٣٦٧هـ.
- ١٤٩- فهرست ابن النديم - أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالوراق : طبعة مصر.
- ١٥٠- الفتح الرباني والفيض الرحماني - عبدالغني إسماعيل النابلسي : بيروت - دار الكتب العلمية ، ٢٠١٠م.
- ١٥١- الفضائل - أبو الفضل شاذان بن جبرئيل القمي : قم المقدسة - دار الرضي ، الطبعة الثانية ١٣٦٣هـ.

١٥٢- الفلسفة - الشهيد مرتضى مطهري: بيروت - دار الولااء،
الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ.

١٥٣- الفلسفة الإغريقية - د. محمد غلاب: مكتبة الأنجلو المصرية،
الطبعة الثانية.

١٥٤- الفوائد المدنية - محمد أمين الإستريادي: قم المقدسة - مؤسسة
النشر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

١٥٥- الفتوحات المكية - محيي الدين ابن عربي الطائي الأندلسي:
بيروت الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١٥٦- الفيلسوف الإيراني الكبير الملا صدر الدين الشيرازي
- أبو عبدالله الزنجاني: إيران - مطبعة كيهان، الطبعة الثانية
١٤١٩هـ.

١٥٧- الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية - إسماعيل
القادري: القاهرة - شركة مصطفى البابي الحلبي.

١٥٨- قصص وخواطر - الشيخ عبد العظيم البحراني: بيروت -
مؤسسة البلاغ، الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ.

١٥٩- قضية التصوف المدرسة الشاذلية - عبد الحلیم محمود:
القاهرة - دار المعارف، الطبعة الثانية.

١٦٠- القاموس المحيط - الفيروز آبادي.

١٦١- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد - العلامة الحلي - تعليق /
آية الله الشيخ حسن حسن زادة الآملي : قم - مؤسسة النشر الإسلامي ،
الطبعة السابعة ١٤١٧هـ .

١٦٢- كشف الظنون - حاجي خليفة : بيروت - دار إحياء التراث
العربي .

١٦٣- كامل الزيارات - أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه
القمي : قم المقدسة - مؤسسة النشر الإسلامي .

١٦٤- كنز الفؤاد - أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان
الكراجكي الطرابلسي : قم المقدسة - دار الذخائر ، الطبعة الأولى
١٤١٠هـ .

١٦٥- كنز العمال - علاء الدين علي المتقي الهندي : مؤسسة
الرسالة ١٤٠٩هـ .

١٦٦- الكلام والعرفان في الحكمة العملية - مرتضى مطهري : قم
المقدسة - دار الكتاب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٢٤١هـ .

١٦٧- الكافي - الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني : بيروت -
دار الأضواء ١٤٠٥هـ .

١٦٨- الكليني والكافي - الدكتور الشيخ عبدالرسول الغفار : قم -
مؤسسة النشر الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

- ١٦٩- الكلمات المكونة في علوم أهل الحكمة والمعرفة - الملا محسن الفيض الكاشاني - ترجمة وتحقيق/ السيد علي عاشور: بيروت - مؤسسة التاريخ العربي ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.
- ١٧٠- الكشف عن حقيقة الصوفية - محمود عبدالرؤوف القاسم: عمان - المكتبة الإسلامية ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.
- ١٧١- لسان العرب - ابن منظور: قم - أدب الحوزة ، ١٤٠٥هـ.
- ١٧٢- لوامع العارفين في أحوال صدر المتألهين - محمد خواجهوي: إيران - انتشارات مولى ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- ١٧٣- مبادئ الفلسفة الإسلامية - عبدالجبار الرفاعي : دار الهادي ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- ١٧٤- مبادئ الفلسفة - ا.س. رايبورت - ترجمة/ أحمد أمين: شركة نوابغ الفكر.
- ١٧٥- مجلة التصوف الإسلامي: المجلس الصوفي الأعلى ، القاهرة.
- ١٧٦- مجموعة الرسائل والمسائل - ابن تيمية - تعليق / السيد محمد رشيد رضا: لجنة التراث العربي.
- ١٧٧- مجموعة الأوراد الكبير - محمد عثمان الميرغني: القاهرة - مكتبة القاهرة.

١٧٨- مجموعة الرسائل - الشيخ لطف الله الصافي : مؤسسة الإمام

المهدي .

١٧٩- مجموعة مصنفات شيخ الإشراف - تصحيح وتقديم / هنري

كوربان : طهران ١٣٧٣ .

١٨٠ - محاكمة الشيخ الأوحـد - الدكتور حسن محمد الشيخ :

بيروت - دار الرأي العربي ، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ .

١٨١ - مختصر البصائر - الشيخ عز الدين الحسن بن سليمان الحلبي :

قم المقدسة - مؤسسة النشر الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ .

١٨٢- مدخل إلى العلوم الإسلامية - الشهيد مطهري : بيروت - دار

الولاء ، الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ .

١٨٣- مدخل إلى فلسفة الشيخ الأوحـد - الميرزا حسن فيوضات -

تقديم / الشيخ توفيق ناصر البوعلي : بيروت - مؤسسة الإحقاقي :

الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ .

١٨٤- مدينة المعاجز - السيد هاشم البحراني : بيروت - مؤسسة

النعمان ، ١٤١١هـ .

١٨٥ - مذاهب فلسفية - محمد جواد مغنية : بيروت - دار الجواد .

١٨٦ - مرآة الكتب - علي بن موسى بن محمد شفيع التبريزي : قم -

مكتبة آية الله العظمة المرعشي ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

- ١٨٧- مرآة العقول في شرح أخبار آل رسول - الشيخ محمد باقر المجلسي : دار الكتب الإسلامية ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.
- ١٨٨- مسار الفلسفة في إيران والعالم - السيد محمد الخامنئي : طهران - مؤسسة صدرا للحكمة الإسلامية ، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.
- ١٨٩ - مستدرك الوسائل - الميرزا حسن النوري الطبرسي : قم المقدسة - مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
- ١٩٠ - مستدرك سفينة البحار - الشيخ علي النمازي الشهرودي : قم المقدسة - مؤسسة النشر الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- ١٩١ - مستطرفات السرائر - محمد إدريس الحلي : قم المقدسة - مؤسسة النشر الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.
- ١٩٢- مصباح الكفعمي - الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمد العاملي الكفعمي : بيروت - مؤسسة الأعلمي ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- ١٩٣- مصباح المتهجد - الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي : بيروت - مؤسسة الأعلمي ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- ١٩٤- معاني الأخبار - الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الشهير بـ(الصدوق) : قم المقدسة - مؤسسة النشر الإسلامي ١٤٠٣هـ.

- ١٩٥- معارج أنوار اليقين في أصول الدين - الشيخ محمد السبزواري: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- ١٩٦- معارج اليقين في أصول الدين - الشيخ محمد السبزواري - تحقيق / علاء آل جعفر: بيروت - مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- ١٩٧- معالم الفلسفة الإسلامية - محمد جواد مغنية: بيروت - دار القلم ١٩٧٣م.
- ١٩٨- معالم الفتن - سعيد أيوب: إيران - مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
- ١٩٩- معجم مقاييس اللغة - أحمد بن فارس بن زكريا: القاهرة - دار أحياء الكتب العربية ١٣٦٦هـ.
- ٢٠٠- معجم المؤلفين - عمر كحالة: لبنان - دار إحياء التراث العربي.
- ٢٠١- معجم مصطلحات الصوفية - د. عبد المنعم الحنفي: بيروت - دار المسيرة، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.
- ٢٠٢- معراج التشوف إلى حقائق التصوف - أحمد ابن عجيبة - تصحيح / محمد التلمساني: دمشق - مطبعة الإعتدال، الطبعة الأولى ١٣٥٥هـ.

- ٢٠٣- معنى بسيط الحقيقة كل الأشياء - الشيخ أحمد الأحسائي - تحقيق / الشيخ صالح الدباب: بيروت - دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.
- ٢٠٤- مفاتيح الغيب - الملا صدرا الشيرازي: بيروت - مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
- ٢٠٥ - مفاتيح الأنوار في بيان معرفة مصايح الأسرار - الشيخ محمد آل أبي خمسين: بيروت - دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
- ٢٠٦ - مفاتيح الجنان - الشيخ عباس القمي.
- ٢٠٧ - مفردات ألفاظ القرآن الكريم - الراغب الأصفهاني: بيروت - دار القلم والدار الشامية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- ٢٠٨- مقباس الهداية في علم الدراية - الشيخ عبدالله محمد حسن المامقاني.
- ٢٠٩- منطق المشرقين - ابن سينا: قم - منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٥هـ.
- ٢١٠ - من لا يحضره الفقيه - أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الشهير بالشيخ (الصدوق): قم المقدسة - مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ.

- ٢١١- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة - الميزرا حبيب الله الهاشمي الخوئي : قم - منشورات دار الهجرة ، الطبعة الرابعة ١٣٦٠هـ .
- ٢١٢- موسوعة مؤلفي الشيعة - مجمع الفكر الإسلامي : قم - مجمع الفكر الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ .
- ٢١٣- موسوعة من حياة المستبصرين - مركز الأبحاث العقائدية : قم - ستارة ، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ .
- ٢١٤- موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين - مصطفى صبري : بيروت - دار إحياء التراث العربي .
- ٢١٥- ميزان الحكمة - محمد الريشهري : دار الحديث ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .
- ٢١٦- المخازن - الميزرا حسن الشهير بكوهر : بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ .
- ٢١٧- المدخل إلى التصوف الإسلامي - أبي الوفا التفتازاني : دار الثقافة ، الطبعة الثانية .
- ٢١٨- المذاهب الصوفية ومدارسها - عبد الحكيم قاسم : القاهرة - مكتبة مدبولي ، الطبعة الثانية ١٩٩٩م .
- ٢١٩- المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية : استانبول - دار الدعوة ١٩٨٩م .

- ٢٢٠- المعجم الفلسفي - د. جميل صليبا: بيروت - دار الكتب اللبناني، الطبعة الأولى ١٩٧٣م.
- ٢٢١- المقدمة - ابن خلدون: بيروت - دار القلم، الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ.
- ٢٢٢- المكتوبات - أحمد الفاروقي السرهندي: بيروت - دار الكتب العلمية، ١٣١٧هـ.
- ٢٢٣- اللمع - عبدالله بن علي الطوسي السراج - تعريب: عبدالحليم محمود وطه سرور: مصر - دار الكتب الحديثة، ١٣٨٠هـ.
- ٢٢٤- الملل والنحل - أبو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني: بيروت - دار المعرفة.
- ٢٢٥- المنقذ من الضلال - أبي حامد الغزالي - تحقيق / محمد أبو العلا
- ٢٢٦- المنهجيات المعاصرة للمباحث العقلية عند الشيعة الإمامية - فالح حسن جبار: مكتبة الروضة الحيدرية ١٤٣٢هـ.
- ٢٢٧- المنطق - العلامة محمد رضا المظفر: بيروت - مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الأولى.
- ٢٢٨- المذاهب الصوفية ومدارسها - عبد الحكيم عبد الغني قاسم: القاهرة - منشورات مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى ١٩٨٩م.

- ٢٢٩- الموسوعة العربية الميسرة - إشراف محمد شفيق غربال :
القاهرة- دار إحياء التراث العربي ، ١٩٦٥ م
- ٢٣٠- المواقف - القاضي عبدالرحمن الإيجي : بيروت - دار الجيل ،
الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- ٢٣١- الميزان في تفسير القرآن - السيد محمد حسين
الطباطبائي : مدينة قم المقدسة - لجنة جماعة المدرسين في الحوزة
العلمية.
- ٢٣٢- نشأة التصوف الإسلامي - د. إبراهيم بسيوني : القاهرة - دار
المعارف بمصر ، ١٩٦٩ م.
- ٢٣٣- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام - د. علي سامي النشار :
القاهرة - دار المعارف ، الطبعة الثامنة.
- ٢٣٤- نظرية المعرفة - الشيخ جعفر السبحاني : بيروت - الدار
الإسلامية ، ١٩٩٠ م.
- ٢٣٥- نفحات الأنس من حضرات القدس - عبد الرحمن الجامي :
مصر - دار التراث العربي .
- ٢٣٦- نور البراهين في أخبار السادة الطاهرين - السيد نعمة الله
الموسوي الجزائري : قم المقدسة - مؤسسة النشر الإسلامي ، الطبعة
الأولى ١٤١٧هـ.

- ٢٣٧- نهاية المرام في علم الكلام - العلامة الحلي - تحقيق: فاضل العرفان: قم - مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- ٢٣٨- نهج البلاغة - الشريف المرتضى: قم المقدسة - دار الأسوة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- ٢٣٩- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - جمال الدين يوسف بن بردى الأتابكي: دار الكتب.
- ٢٤٠- النور المضي في معرفة الكنز الخفي - الشيخ محمد آل أبي خمسين - تحقيق وتعليق / الشيخ عبد المنعم العمران: بيروت - دار المحجة البيضاء.
- ٢٤١- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: محمد بن الحسن الحر العاملي: قم المقدسة - مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- ٢٤٢- وفيات الأعيان - ابن خلكان: قم المقدسة - مؤسسة الشريف الرضي ١٣٦٤هـ.
- ٢٤٣- الوافي بالوفيات - الصفدي.
- ٢٤٤- الهدف السامي للحياة الإنسانية - الشهيد مرتضى مطهري: الكويت - مكتبة سفينة النجاة.

٢٤٥- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكاير -

عبدالوهاب الشعراني: مصر - مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي،

١٣٦٩هـ.

الفهرس

٥	الإهداء
٧	شكر و عرفان خاص
٩	مقدمة المراجع
٢٣	مقدمة المؤلف
٣٥	المبحث الأول / في المطالب التمهيدية
٣٧	المطلب الأول: الرؤية الكونية الإلهية
٤١	المطلب الثاني: نشأة الحياة الفكرية في الإسلام
٥٥	المطلب الثالث: أشهر المناهج الفكرية في الإسلام
١٠٥	المبحث الثاني / التصوف في الإسلام
١٠٧	المطلب الأول: نشأة التصوف في الإسلام

- المطلب الثاني : معنى التصوف لغةً واصطلاحاً ١١٥
- المطلب الثالث : الزهد الصوفي ليس من الإسلام ١١٩
- المطلب الرابع : أشهر أعلام الصوفية في الإسلام ١٢٩
- المبحث الثالث / مصادر وعقائد الصوفية ١٤٧
- المطلب الأول : مصادر المعرفة لدى الصوفية ١٤٩
- المطلب الثاني : الكشف عند الصوفية ١٥٥
- المطلب الثالث : وحدة الوجود والاتحاد والحلول ١٦٥
- المطلب الرابع : المشترك المعنوي ١٧٧
- المطلب الخامس : الأدلة العقلية والعقلية على فساد عقائد الصوفية .. ١٨٩
- المبحث الرابع / حقيقة العرفان عند الشيخ الأوحـد قدس سره ١٩٥
- المطلب الأول : مختصر حياة الشيخ الأوحـد قدس سره ١٩٧
- المطلب الثاني : دور الشيخ الأوحـد قدس سره في الفكر الإسلامي ٢٢٧
- المطلب الثالث : مصادر منهج الشيخ الأوحـد قدس سره ٢٣٥
- المطلب الرابع : أدوات منهج الشيخ الأوحـد قدس سره ٢٤٥
- المطلب الخامس : سفر العارف إلى مبدئه عند الشيخ الأوحـد قدس سره ... ٢٦٣
- المطلب السادس : مقامات توحيد العارفين عند الشيخ الأوحـد قدس سره .. ٢٨١

الفهرس ٣٣٥

المطلب السابع : حول دليل الحكمة عند الشيخ الأوحى ؑ ٢٨٩

المصادر والمراجع ٢٩٩

الفهرس ٣٣١

